

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

مترجمات شكسبير ١

هنري السادس

الجزء الأول والثاني

شكسبير

وليم

٤٥



دار المعارف بمصر

مسرديات شكسبير
المجلد الأول

هُنريّ السّادس

الجزء الأول والثاني

قامت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بهذه الترجمة
بتوجيه الدكتور طه حسين
رئيس اللجنة الثقافية

هزرى السادس الجزء الاول

ترجمة الأستاذ محمد فنحى

ومراجعة

الدكتور محمد عوض محمد الدكتورة سهير الفلماوى

هزرى السادس الجزء الثانى

ترجمة الأستاذ مصطفى حبيب

ومراجعة

الدكتور محمد عوض محمد الدكتورة سهير الفلماوى



دار المعارف بمصر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر - ه شارع ماسبيرو - القاهرة

مقدمة لمسرحيات هنرى السادس

كانت معالجة الموضوعات التاريخية العامة ، وتاريخ إنجلترا بوجه خاص من أهم ما عنى به المسرح الإنجليزى فى عصر الملكة إليزابث . لذلك لم يكن بد أن يشتمل إنتاج شيكسبير قطعاً عديدة فى هذا الباب . ويوشك أن يكون هناك اتفاق فى رأى على أن « هنرى السادس » أول مجهود فى التأليف المسرحى للشاعر الناشئ . . وأن ذلك قد تم فى عام ١٥٩١ أو ١٥٩٢ ولما يتجاوز شيكسبير الثامنة والعشرين .

هنرى السادس ، إذن ، أول مجهود أدبى لشيكسبير . . وقد وصفنا هذا النتاج الأدبى بأنه « مجهود » وليس من قبيل التأليف لأن شيكسبير لم يستقل بتأليف هذه المسرحية ذات الأجزاء الثلاثة ، ولا يجرء واحد منها .

ومن المهم أن نذكر أن شيكسبير عندما انتقل من بلدته ستراتفورد إلى لندن ، التحق ببعض الفرق التمثيلية ، مبتدئاً عمله فيها من أدنى ثم أخذ يتدرج وينتقل إلى وظائف أرقى . وفى وقت هجرته إلى العاصمة كان التأليف المسرحى ميداناً لا يحتله سوى بضعة أسماء لامعة ، يوشك أن تحتكر هذا الضرب من الإنتاج ، ولعل ألمع هذه النجوم فى تلك الفترة مارلو Marlowe وبيل Peele وجرين Greene ولا بد لمن يحاول أن

يدخل هذا الميدان أن يقترب منه بحذر وتأدب حتى لا يستثير حفيظة هؤلاء الكبار .

كان المؤلف المسرحي الكبير مثل مارلو يختار الموضوع ويؤلف المسرحية من تلقاء نفسه أحياناً ، لأن له من المكانة ما يضمن لنتاجه الفني القبول لدى الفرق المسرحية ذات النفوذ والجاه . ولكنه في الغالب يستأنس برأى أصحاب تلك الفرق في اختيار الموضوع وطريقة معالجته . وربما اقترح على المؤلف موضوع خاص يرى المهتمون بالمسرح أنه سيلقى إقبالا عظيما ، أو ربما كان التأليف استجابة لرغبة من شخصية ذات نفوذ كالمملكة نفسها أو بعض رجال حاشيتها .

والمؤلف المسرحي الكبير إما أن يؤلف ويكتب مسرحيته كلها ، أو قد يسمح لزميل صغير أن يكتب بعض فصولها بتوجيه وإرشاده . وكل من مارلو وبيل كان يعطف على شيكسبير ويشجعه ، أما جرّين فكان يحسده ويحاول أن ينال منه .

وقد تتسلم الفرقة المسرحية من مؤلفها ، ثم ترى من المناسب أن تجري فيها بعض التغيير القليل أو الكثير ، وهذا العمل كثيراً ما كان يسند إلى مؤلف ناشئ . وهذا فيما يبدو هو ما حدث لشيكسبير في مسرحية هنري السادس بأجزائها الثلاثة . فليست المسرحية كلها من تأليف شيكسبير ، ولكنه راجع فصولها وأضاف إليها ، واستبدل بالكثير من سطورها أبياتاً من تأليفه ، وربما أضاف منظراً جديداً لم يكن موجوداً من قبل .

ويقول هارت H.E.Hart في مقدمته للجزء الثالث من المسرحية :
 « نستطيع أن نتصور أن تأليف المسرحيات الثلاث قد تطور على
 النحو الآتي : قرر جرین وبييل ومارلو - أو اقترح عليهم - أن يجعلوا
 من عصر هنرى السادس موضوعاً لمسرحية فقسّموا العصر ثلاثة أقسام ،
 بحسب الترتيب الزمني ، فاختص جرین بالجزء الأول ، وبييل بالجزء
 الثانى ، ومارلو بالجزء الثالث . . وقد عاون شيكسبير كلا من بييل ومارلو
 فى الجزئين الثانى والثالث ، وذلك بموافقتهم وإرشادهما ، بحيث يعزى له
 أن نصيبه يبلغ النصف فى الجزء الثانى ، ونحو الثلثين فى الجزء الثالث .
 » أما جرین فلم يخالفه التوفيق ، واضطر أصحاب المسرح أن يسلموا
 مسودة مسرحيته إلى شيكسبير ليقيم اعوجاجها ، ويكمل نقصها ، فنهض
 بهذا العمل بسرعة وعلى أكمل وجه ممكن . وقد تم تأليف المسرحية كلها
 بأجزائها الثلاثة فى عام ١٥٩٢ » .

وظاهر من هذا أن نصيب شيكسبير فى هذه المسرحيات الثلاث
 يرجح نصيب الثلاثة الآخرين ، وفى هذا ما يبرر نسبتها إليه وحده .

* * *

أما الأجزاء الثلاثة للمسرحية فإن كلا منها يتناول موضوعاً يوشك أن
 يكون مستقلاً عن الآخرين . لقد ولد الملك هنرى السادس عام ١٥٢١
 وقتل عام ١٥٧١ ، ولكن وفاة أبيه هنرى الخامس فى وقت مبكر جعلته
 يتولى الملك ولم يزل فى المهد صبياً ، فكان عهد حكمه طويلاً

وإن لم يكن هو نفسه يحتل مكاناً بارزاً في أى جزء منه ، وذلك لحدائثة سنه في المرحلة الأولى ، ولضعف إرادته وشخصيته في المراحل الأخرى .
والجزء الأول يمتاز بأن حوادثه تجرى جلها في فرنسا ، بينما الجزعين الثانى والثالث تجرى حوادثهما في إنجلترا بوجه خاص .

وقد كانت إنجلترا منشغلة في ذلك الزمن بحروب لا تكاد تنتهى ، أهمها حرب « المائة عام » بين إنجلترا وفرنسا ، ومسرحها عادة فرنسا ، وحرب الوردتين التى استغرقت معظم عصر الملك هنرى السادس وإدوارد الرابع ورتشارد الثالث ، ولم تنته إلا عندما تولى الملك هنرى السابع الملك في أواخر القرن الخامس عشر وأسس أسرة جديدة وهى أسرة تيودور Tudor وتزوج من أسرة يورك ، حتى يربط العرش بصلة النسب بين بيتى لانكاستر ويورك . ولكن هذه النهاية الحميدة لم تتم إلا بعد حروب واضطهادات وحشية يجد القارئ صورة منها في الجزعين الثانى والثالث من هذه المسرحية .

تبدأ حوادث الجزء الأول في أول عهد الملك هنرى السادس وهو بعد صبي كما ذكرنا . ولكن الشاعر رأى من الضروري أن يكبره ، ويتجاوز عن التاريخ ، لأنه لا بد له أن يلعب دوراً وأن تخطب له زوجة فرنسية في نهاية المسرحية ، وهذا كله لا يتفق مع سن الرضاع . والخروج على التاريخ للضرورة أمر يستحله الكتاب ولا يعترض عليه الجمهور .

وقد كان هنرى الخامس أخضع جزءاً عظيماً من فرنسا لسلطانه

بحيث أصبح يدعى ملكاً لفرنسا ، وتوَّج أميرةً فرنسية ، وورث هنرى السادس عرش فرنسا فيما ورث . ولكن الجيش الإنجليزي تلقى الهزيمة إثر الهزيمة ، وظهرت جان دارك فى هذا الوقت ، وكان لاشتراكها أثر عظيم فى هزائم الإنجليز ، وقد ظفروا بها فى النهاية ولكنهم لم يستردوا ما خسروه ، واضطروا بعد فقد بطلهم «تالبوت» إلى عقد صلح تحفظ بمقتضاه إنجلترا بالسيادة الاسمية والأمير الفرنسي بالسيادة الفعلية .

* * *

أما الجزء الثانى والجزء الثالث فمخصصان للنزاع العنيف بين بيت لانكاستر (وشعاره الوردة الحمراء) وبيت يورك (وشعاره الوردة البيضاء) ؛ وقد اشتد النزاع واحتدم ، وكان الملك هنرى السادس ضعيفاً لآحول له ولا قوة ، وهو الذى يمثل حق بيت لانكاستر . ولكن الملكة مرجريت تولت توجيهه وتحريضه ، ولت شمل الأنصار والقواد ، وأمكن لجيشها أن يظفر برتشارد دوق يورك الأكبر ، وبموته تنهى مرحلة من مراحل هذه الحرب الأهلية . وتبدأ مرحلة جديدة بتولى ابنة إدوارد مكان أبيه ، وهو أشد من الأب مراساً ، وأكثر عنفاً وقسوة ووحشية . . وقد شن الحرب فى غير هوادة على أنصار الملك هنرى السادس ، وأمكنه أن يأسر الملك ويخضعه ، ويتولى الملك بوصفه إدوارد الرابع ، وفى نهاية المأساة يموت الملك هنرى نفسه بيد الدوق جلومستر أخى الملك إدوارد .

وقد يجوز لنا أن نتساءل لماذا بدأ شيكسبير نتاجه المسرحى بموضوع

الملك هنرى السادس مع أنه من الملوك المتأخرين ، بينما عالج موضوعات الملوك المتقدمين أمثال الملك جون ورتشارد الثانى وهنرى الرابع والخامس فى زمن متأخر ، أى أن شيكسبير لم يتبع الترتيب الزمنى فى اختيار موضوعات مسرحياته الخاصة بتاريخ إنجلترا .

لعل الرد على هذا السؤال أن شيكسبير لم يكن دائماً يختار الموضوع ، بل يقترح عليه من الفرقة التى يعمل فيها . وهذه كانت الحال بوجه خاص فى هنرى السادس ، فلم يكن هو المبتكر للموضوع ، بل لم يكن المؤلف الأول للمسرحية كما قدمنا .

وقد حدث فى زمن الملكة إليزابث أن ذهب جيش إنجليزى إلى نورماندى وحاول الظفر بمدينة روان عاصمة الدوقية . ومع أن هذه الحملة باءت بالفشل ، فإنه قد وجد من المناسب أن تؤلف مسرحية تعرض تاريخ الحملة التى كان بطلها تالبوت مثال البطولة فى نظر البريطانيين ، وكيف مات فى الدفاع عن حق إنجلترا فى فرنسا .

وهكذا سيجد القراء فى هذه المسرحيات الثلاث ، وإن لم تكن من أحسن إنتاج شيكسبير ، صورة لعصر خطير من تاريخ أوروبا فى نهاية القرون الوسطى وبداية الأزمنة الحديثة .

محمد عوض محمد

هُنَرِ السَّادِسُ

وَلِيمُ شِكْسِير

الجزء الأول

ترجمة : الأستاذ محمد فتحى

مراجعة

الدكتورة سهير القلماوى

الدكتور محمد عوض محمد

هنرى السادس

الجزء الأول

المنظر : موزع بين إنجلترا وفرنسا

أشخاص المسرحية

Henry VI

الملك هنرى السادس

عم الملك والوصى .

همفري دوق جلوستر

Duke of Bedford

عم الملك والوصى على فرنسا

جون ، دوق بدفورد

Thomas Beaufort

من أعمام الملك غير المباشرين

توماس بوفرت ، دوق إكستر

Henry Beaufort (Winchester)

هنرى بوفرت ، أسقف ونشستر ، وكاردينال فيما بعد عم غير مباشر للملك

Somerset

دوق سمرست

ريتشارد بلانتاجنت ، فيما بعد دوق يورك ، ابن ريتشارد إيرل كمبردج المتوفى

(Richard Plantagenet)

Earl of Warwick

إيرل وريك

Earl of Salisbury

إيرل سالسبورى

لورد تالبوت ، فيما بعد إيرل شروزييري

Lord Talbot (Earl of Shrewsbury)

John Talbot جون تالبون ، ابنه

إدموند مورتيمر Edmund Mortimer إيرل مارش

John Falstaff سير جون فولستاف

William Lucy سير وليم لوسي

William Glansdale سير وليم جلانسدال

Thomas Gargrave سير توماس جارجراف

عمدة لندن

Woodville وودفيل — ملازم القلعة

Vernon فيرنون من أنصار الوردة البيضاء أو حزب يورك

Basset باميث ، من أنصار الوردة الحمراء أو حزب لانكستر

محام .

سجّانو مورتيمر

Charles (Dauphin) شارل ولي عهد ملك فرنسا ، فيما بعد ملك فرنسا

Reignier رينيه ، دوق أنجو ، وحامل لقب ملك نابولي

Burgundy دوق برجندى

Alençon دوق أالنسون

Bastard of Orleans دعى أورليان

محافظو باريس

كبير مدفعية أورليان وابنه

قائد القوات الفرنسية في بوردو

شرطى . جمال

راع شيخ ، أبو جان لا بوسل Father to Joan la Pucelle

مرجريت ، ابنة رينيه ، تتزوج فيما بعد الملك هنرى Margaret (Reigner)

كونتس أوفرنى Countess Auvergne

جان لا بوسل المعروفة باسم جان دارك . Joan of Arc (Joan la Pucelle)

لوردات ، حراس القلعة ، أتباع ، ضباط ورسل وحاشية

شياطين تراءى لبوسل

الملك هنرى السادس

(الجزء الأول)

الفصل الأول - المنظر الأول

(كنيسة وستمنستر)

(موسيقى حزينة - يدخل حثان الملك هنرى الخامس محمولا ، يشيعه دوق بدفورد
الوصى على عرش فرنسا والدوق جلوستر الوصى على العرش ، والدوق لاكستر ،
وليرل وريك أسقف ونشستر ، والدوق سميرست مع رسل وغيرهم .)

بدفورد : فلتجلى السموات بالسواد وليسلم النهار لليل !
وأنت أيتها الشهب المنبئة عن تغير الأزمان والدول
انشرى ذوائبك البلورية عبر السماء ، وارجمى بها
النجوم الثائرة المشثومة ،
التي ارتضت موت هنرى الملك هنرى الخامس
الذى عز على الموت أن يتركه يعمر طويلا وهو
ذو الصوت البعيد !
إن إنجلترا لم تخسر ماكاً مثله ، رفعة شأن وعلو مكان ،

جلوستر

: بل إنه لم يكن لإنجلترا ملك حتى عهده .
كان رجل تقوى وفضيلة ، وكان خليقاً بأن يحكم
ويسود ،

وكان سيفه وهوي شهره يعشى أبصار الرجال بيريقة
الحافظ ،

وذراعه أعرض من امتداد جناحي التنين ،
وعينه البراقتان وهما تقدحان بشرر الغضب ،
أفعل في أعدائه من شمس الظهيرة الحامية ، مسلطة
على وجوههم ،

تبهرهم وتدفع بهم إلى الوراء .
ماذا أقول ؟ لقد جلت فعالة عن كل وصف .
ما رفع يده يوماً ، إلا كان الفتح طوع بانه .
: إننا نشح بالسواد حزناً عليه وأولى بنا أن نسفح الدم
حداداً وحزناً .

مات هنرى ولن يبعث مرة أخرى .
إننا نلتف حول نعش خشبي ،
في أبهة وعظمة .

لنمجد انتصار الموت الشائن ،
كأننا أسرى ربطوا بعجلة المنتصر .

عجباً ! — أفنلن كواكب النحاس
 التى دبّرت انهيار مجدنا بهذه الصورة ؟
 أم هل نطن أن دهاة السحرة والمشعوذين الفرنسيين
 بترانيمهم السحرية دبّروا خاتمته
 خوفاً منه ووجلاً ؟

٢٥

ونشستر : كان ملكاً ، باركه مالك الملك ،

لم يكن يومُ القيامةُ بأخوف للفرنسيين ،
 ولا أبشع ، من لقائه .

٣٠

جاهد فى سبيل إله السماوات
 ومنحته صلوات الكنيسة البركات والتوفيق .

جلوستر : الكنيسة ! وأين هى ؟

لو أن رجالها صلوا ، ما انقطع جبل حياته بهذه
 السرعة .

فما تحبون ، يا أهل الكنيسة ، غير أمير مخنث
 لترهبوه كما لو كان تلميذاً .

٣٥

ونشستر : أيا كان الذى نحب ، يا جلوستر ، فأنت الوصى

على العرش

والتطلع للسيطرة على الأمير والمملكة .

إنك لتراع من روحك المتغطسة

أكثر مما تراعى من الله أو رجال الكنيسة المتدينين .

٤٠

جلوستر

: لا تذكر اسم الدين فالشهوات طلبتك وغايتك .

وإنك لا تذهب إلى الكنيسة طوال العام

إلا حينما تريد الدعاء على أعدائك .

: كفا بالله عن هذه المشاحنات وليسد بينكما السلام .

بدفورد

هلموا إلى المذبح : أيها المتنادون قوموا بخدمتنا .

٤٥

سنقدم السلاح قربانا بدل الذهب .

فلم تعد للسلاح جدوى بعد موت هنرى .

فليرقب الخلف من بعد هذا أعواما من الشقاء ؛

يرضع فيها الأطفال دمع عين أمهاتهم .

وتصبح جزيرتنا مستنقعا من الدمع الأجاج ،

٥٠

فلا يبقى عليها إلا النساء ينحن ويعولن على الموتى .

إني أناشد طيفك ، أيا هنرى الخامس ، وأتوسل

إليه :

أسعد هذه المملكة واحفظها من المعارك الأهلية ،

وصارع الكواكب المعادية لها هناك فى السماء !

فلروحك ، إذا ما صالت ،

٥٥

ستكون ، من كوكب يوليوس قيصر ، ألمع وأسطع .

(يسنل رسول)

: عافاكم الله جميعاً ، أيها السادة الأشراف !

إني لآتيكم بأخبار مخزنة من فرنسا

خسائر ومذابح وهزائم ،

جيين وشامباني وريمس وأورليان ،

٦٠

وباريس وجيزور وبواتيه^(١) ضاعت كلها ضياعاً

بدفورد : ما هذا الذي تقوله ، يارجل ، أمام جثمان هنرى ؟

اخفض من صوتك وإلا أثاره ضياع هذه المدن

العظيمة ،

فهب من موته ليحطم رصاص النعش

٦٥ جلوستر : أو ضاعت باريس ؟ وهل استسلمت روان^(٢) ؟

لو أن هنرى بُعث حياً

لأسلم الروح مرة أخرى من هول هذه الأنباء .

إكسترا : كيف ضاعت ؟ أية خيانة حدثت ؟

رسول : لم تكن ثمة خيانة : كل ما فى الأمر نقص فى

الرجال والمال .

٧٠ إن الجنود لتهماس

بأنكم منقسمون شيعاً متعددة ،

(١) Guienne, Champagne, Rheims, Orleans, Paris, Guysors, Poitiers.

(٢) Rouen.

وبينما ينبغي أن تخاض المعركة بسرعة، أو تنتهى،
تتجادلون وقادتكم فيما بينكم :
فأحدهم يريد حرباً طويلة الأجل قليلة النفقات ،
وآخر يريد أن ينقض كالطير سريعاً ولكن تعوزه
الأجنحة .

٧٥

وثالث يرى أن السلم تنال بالكلام الماكر المعسول ،
دون حاجة إلى بذل شيء أبداً .
هبوا من رقادتكم أيها النبلاء الإنجليز ، اصحموا !
لا تدعوا الكسل يسود صفحة أمجادكم الحديثة
المشرقة .

٨٠

إن زهرة الزنبق^(١) قد انتزعت من دروعكم
كما انتزع من درع إنجلترا نصف أمجاده^(٢) .
(يخرج)

إكسترا : لو أن دمعنا في هذا المأثم كان مدراراً ،
لفاض عند سماع هذه الأخبار أنهاراً غزاراً .
بدفورد : لأنها لتعنيني وحدي ، فأنا الوصي على عرش فرنسا .
إلى برداى المدرع فسأحارب من أجل فرنسا ؛

٨٥

(١) شعار السلاح الفرنسى .

(٢) كناية عن ضياع نصف البلاد التي طهرت بها إنجلترا .

ولأخلع عني ملابس النواح المخزية هذه .
 سأبدل الفرنسيين جراحاً بدل العيون
 التي يذرفون بها الدمع من حين لحين
 بكاء على بؤسهم وشقائهم .
 (يدخل عليهم رسول آخر)

٩٠ ثارت فرنسا على الإنجليز ثورة شاملة ،
 فيما عدا بضع مدن صغيرة قليلة الخطر .
 توج شارل ، ولي العهد ، ملكاً في ريمس^(١)
 وانضم إليه دعي أورليان .
 وحذا حذوه رينيه دوق أنجو
 وهرع إليه دوق أنسون
 ٩٥ (يخرج)

إكستر : ولي العهد يتوج ملكاً ! والكل يهرعون إلى جانبه !
 أنى لنا أن نهرع نحن إلى الفرار من هذا اللوم
 والخزي ؟

جلوستر : لن نفر إلا إلى رقاب أعدائنا نطبق عليها .
 إذا أنت أبطأت ، يابدفورد ، فسأتولى أنا المعركة .

١٠٠ بدفورد : ولم تظن الظنون يجرأني وإقدامي ؟
 إنى لأكاد أرى أنى حشدت جيشاً

توصل بالفعل إلى دحر فرنسا .

(يدخل رسول آخر)

الرسول : سادتي الأماجد ، أجدني مضطراً إلى أن أزيد من
أحزانكم ،

١٠٥ في الوقت الذي تبللون فيه بالدمع جثمان الملك هنري
قامت معركة رهيبة بين اللورد تالبوت البحريء
والفرنسيين

ونشستر : انتصر فيها تالبوت ؟ أليس كذلك ؟

الرسول : كلا ، بل هزم فيها لورد تالبوت :

وسأقص عليكم تفصيل الأمر :

في العاشر من أغسطس الماضي ،

بينما كان هذا اللورد المرهوب ١١٠

ينسحب من حصار أورليان

بقواته التي لم تكد تبلغ ستة آلاف جندي ؛

إذا جيش فرنسي ، قوامه ثلاثة وعشرون ألفا ،

يحيط به ويغير عليه .

لم يكن لديه وقت لينظم صفوفه ، ١١٥

كان في حاجة إلى حراب يفرسها أمام الرماة ،

فاستعاض عنها بعيدان حادة اقتلعهما من الأحراش ،

ودقت في الأرض بغير نظام .

لكي تمنع اقتحام الفرسان لصفوفنا .

ودام القتال أكثر من ثلاث ساعات ؛

أبدى فيها تالبوت الباسل ، بسيفه ورمحه ، العجب

العجاب ،

وأتى بما لا يتصوره عقل ،

أرسل مئات القتلى إلى الجحيم ، ولم يستطع الثبات

أمامه أحد ،

كان يندفع حائقاً هنا وهناك في كل مكان ،

حتى لقد صاح الفرنسيون إنه « الشيطان المدجج

بالسلاح » ،

ووقف الجيش كله ينظر إليه محملاً مندهشاً ،

ولما رأى جنوده قوة بأسه وغلبته

انطلقت صيحتهم بكل قوة :

« تالبوت ! تالبوت ! » واندفعوا وسط المعركة في

تحمس ملتهب .

وهنا كان من الممكن أن تنتهي المعركة بنصر عظيم .

لو لم يقيم السير جون فولستاف بدور الجبان ،

فقد كان في المقدمة وراء الصفوف المحاربة ،

١٢٠

١٢٥

١٣٠

ليخفف عنهم العبء ويحمي ظهرهم ،
ولكنه قرّر دون أن يضرب ضربة واحدة .

ومن ثم حلت النكبة العامة والمذبحة ،

١٣٥

وأطبق العدو عليهم من كل جانب ؛

ويمكن ^(١) والوفى حقير ، لينال رضا ولى العهد ؛

من أن يطعن تالبوت بحربة فى ظهره ،

وهو الذى لم تجرؤ فرنسا بكل قواتها مجتمعة

أن تقابله وجهاً لوجه .

١٤٠

: أقتل تالبوت ؟ لأقتلن نفسى ، إذن ،

بدفورد

أعيش هنا فى كسل ، عيشة أبهة ويسار ،

بينما يترك قائد عظيم مثله دون نجدة

حتى تسلمه الخيانة إلى أعدائه الجبناء .

: كلا ، كلا ، إنه حتى ولكنه أخذ أسيراً ؟

١٤٥ الرسول

وأسر معه كذلك اللورد سكليز ^(٢) واللورد هنجرفورد ^(٣)

وجل من كان معه ، إما أسير ، أو قتيلى .

: لن يدفع فديته هناك أحد سوى .

بدفورد

سأجرّ ولى العهد ، من فوق عرشه ،

(١) (Walloon) نسبة إلى والون (Walloon) إقليم فى بلجيكا الواقع على حدود فرنسا .

Lord Hungerford. (٢)

Lord Scales. (٢)

وسيكون تاجه فدية صديقي .

١٥٠

وكل سيد من سادتنا سأستبدل به أربعة منهم ،
الوداع ، أيها السادة ، سأذهب إلى فرنسا لأداء
واجبي .

سأقيم هناك الألعاب النارية

احتفالاً بعيد « القديس جورج » .

وسأخذ معي عشرة آلاف من الجنود .

١٥٥

وسوف ترتجف من هول أعمالهم أوروبا بأسرها .

: ما أحوجك إلى المبادرة ، فأورليان محاصرة ،

الرسول

والجيش الإنجليزي قد حل به الضعف والهزال ؟

وليرل سالسبرى يطالب بالمدد ؛

وبشق الأنفس يمنع رجاله من التمرد ،

١٦٠

لأذ يرون أنفسهم قلة إزاء الجموع الضخمة .

(يخرج)

: تذكروا ، أيها السادة ، ما أقسمت عليه لهنرى .

إكسترا

فقد عاهدتموه على أن تسحقوا ولي العهد سحقاً ،

أو يأتىكم خاضعاً ذليلاً .

: إنى لأذكر . والآن ائذنوا لى

١٦٥ بدفورد

بالذهاب لأعد العدة .

(يخرج)

جلوستر : أما أنا فسأبادر بالذهاب إلى الحصن ،
لتفقد المدفعية والذخيرة ،
ثم أعلن بعد ذلك هنرى الصغير ملكا .
(يخرج)

١٧٠ إكسترا : وأنا إلى إلثام^(١) ، حيث يقيم الملك الصغير ،
فقد عينت المحافظ الخاص لجلالته ،
وهناك سأحسن تدبير أمر سلامته .
(يخرج)

ونشستر : أصبح لكل مكانه ومنصبه :
أما أنا فقد أغفلت ، ولم يبق لى شىء .
ولكن ذلك لن يدوم طويلا .
١٧٥
فلقد عزمتم أن أنخطف الملك من « إلثام »
وبعد ذلك أتبوا أعلى مكان فى المملكة .
(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثانى

فرنسا — امام اورليان

(بوق. يدخل شارل وألنسون ورينيه يسيرون ومعهم طول وحنود .)

شارل : ليس يعرف أحد حتى اليوم حقيقة مسرى مارس

إله الحرب

لا فى السماء ولا فى الأرض .

لقد أشرق أخيراً فوق الجانب الإنجليزى .

فالآن نحن المنتصرون وهو يطل باسماً من فوقنا ،

أى المدن ذات الخطر لم تصبح ملكاً لنا ؟

وها نحن أولاء نرابط قرب أورليان كيفما نشاء .

بينما الإنجليز ، وقد أضناهم الجوع ، باتوا كالأشباح

الشاحبة ،

يحاصروننا حصاراً هيناً ساعة فى الشهر .

ألنسون : تعوزهم عصيدهم ، واللحم البقرى السمين ،

فهم إما أن يطعموا كالبغال ،

وقد شدت مغاليهم إلى أفواههم ،

١١

أو تبدو وجوههم تعسة كالفيران الغارقة .

رينيه : هلنك الحصار : لم نعيش هنا في ركود وفتور ؟

تالبوت الذى نخشاه أسير ،

ولم يبق غير سالسبورى المجنون ،

١٥

وهو الخلق بأن يتميز من الغيظ ؛

فلا مال لديه ، ولا رجال يستطيع بهم الحرب .

شارل : لتنفخوا في البوق ! سنشن عليهم غارة . .

الآن من أجل شرف الفرنسيين البائسين المنكوبين

حلال سفك دمي

٢٠

لمن يرانى أتقهقر قدماً واحدة أو أفرّ .

(يهاجمون)

(بوق) يهزمهم الإنجليز بخسارة كبيرة . فيمود شارل وألسون ، ورينيه .)

شارل : هل رأى أحد شيئاً كهذا ؟ أى صنف من الرجال

رجالى ؟

كلاب ! جبناء ! أنذال ! ما كنت لأولى الأدبار

قط

لو لم يتركوني وسط أعدائى .

رينيه ٢٥ : إن سالسبورى يحارب .

في يأس المنتحر الذي سئم حياته ،
واللوردات الآخرون كالأسود الجائعة يهاجمونا كما
لو كنا فريستهم .

النسون : إن مواطننا فرواسار^(١) يروى

أن الإنجليز في عهد إدوارد الثالث

كانوا جميعاً فرساناً من طراز أوليفر ورولان^(٢) .

٣٠

وقد تجلى صدق قوله الآن ،

فإنجلترا لا ترسل إلى القتال إلا رجالاً

في قوة شمشون وجالوت ! واحد لعشرة !

هؤلاء الأوغاد ذوو الأبدان الهزيلة والعظام البارزة!

من كان يظن أنهم يمثل هذه البسالة والجرأة ؟

٣٥

شارل : لنترك هذه المدينة فهم عبيد في شراسة الأرنب

الوحشي ؛

وسيزيدهم الجوع عتوا وعزماً :

عهدي بهم يؤثرون

أن يأكلوا الأسوار بأسنانهم

(١) (Froissart) فرنسي سجل الحرب التي انتصر فيها الإنجليز على الفرنسيين

عام ١٣٧٦ .

(٢) أوليفر (Olivers) ورولان (Rowlands) : راسا شارلمان ، ويصرب هما

المثل في العروسية .

على أن يفكوا حصاراً ،

٤٠

رينييه : أعتقد أن سلاحهم

يعمل كالساعة تديره آلة خاصة ،

وإلا لما استطاعوا أن يشبثوا كما فعلوا ،

فلندعهم وشأنهم .

٤٥ : أالنسون : وهو كذلك .

(يدخل دعى أورليان)

الدعى : أين الأمير ولى العهد ، فلدى أنباء تهمه .

شارل : مرحباً بك يا دعى أورليان .

الدعى : إنك لتبدو حزيناً شاحب الوجه :

أمن أجل هزيمتك الأخيرة كل هذا ؟

٥٠ لا تحزن فالنجدة قريبة . . .

إنى آتيتك بعذراء مقدسة .

قد تجلت لها من السماء رؤيا . . .

وأوحى إليها أن تفك هذا الحصار المظنى ،

وتطرد الإنجليز من فرنسا .

٥٥ إن روح النبوة متغلغل فى نفسها ،

ولها قدرة هائلة على التنبؤ بالأحداث ،

بل إنها لتفوق في ذلك كاهنات روما القديمة
التسع^(١).

إذ تستطيع أن تنبئ عن الماضي وعن المستقبل ..
تكلم ، أأدعوها ؟ ولتصدق قولي فهو حق صراح ..
٦٠ شارل : اذهب وادعها (يخرج الدعى) ولكن لنختبر
مهارتها أولاً .

قف أنت يارينية مكاني كما لو كنت أنت ولي
العهد . . .

واسألها في عظمة وكبرياء ، وقطب أسارير وجهك
فسنعرف بهذه الوسيلة مدى مهارتها ،
(يخطو وراء الآخرين)

(يدخل أورليان ثانية ومنه حوان لا بوسل)

٦١ رينية : أأنت التي سوف تحقّقين هذه الأعمال العجيبة ،
أنت أيتها الفتاة المليحة ؟ !

٦٥ بوسل : رينية ، أأنت الذي تريد خداعي ؟ أين ولي العهد ؟
تقدم : فأني أعرفك جيداً ، واو أني لم أرك من قبل .
لا تدهش فليس يحجب شيء عنى :
سأتكلم معك على حدة .

(١) تسع عذارى قيل انهن تشابهن بطهور المسيح

فلترجعوا إلى الوراء أيها السادة
واثذنوا لنا لحظة .

٧٠

رينيه

: بداية جريئة موفقة ! (ينسحبون)

بوسل

: يا ولي العهد ، إنني بمولدى ، ابنة راع من الرعاة
لم تتلق مداركى تدريباً فى أى نوع من المعرفة .

غير أن السماء ، والعدراء الطاهرة ،
أرادتا أن تشرقا فى أفق حياتى الوضيعة

٧٥

عندما كنت أرعى غنمى ،

وحر الشمس يلفح خدى ،

تنازلت العدراء وظهرت لى

فى رؤيا مجيدة ،

وشاءت إرادتها أن أترك مهنتى الحقيرة .

٨٠

وأن أحرر بلادى من الويلات :

ووعدتنى عونها وأكدت لى النجاح .

لقد ظهرت لى فى كمال مجدها ،

فبعد أن كنت سمراء دكناء

أصبحت بفضل إشعاعاتها الصافية .

٨٥

ذات جمال مبارك هو هذا الذى تراه .

سلى أى سؤال تريد ،

فسأجيبك على الفور دون تفكير .

واختبر في القتال بسالتي ،

ستجدني أبز بنات جنسي .

٩٠

كن واثقاً أن سيكون السعد حليفك

إذا اتخذتني شريكة لك في القتال .

: لقد أدهشتني بقصصتك

شارل

غير أني سأتحقق من شجاعتك في مبارزة بيني

وبينك

فإذا انتصرت كان قولك حقاً

٩٥

وإلا كان من حق أن أنبذه .

: إني على استعداد : وهذا سيني مرهف الحد

بوسل

تزينه خمس من زهرات الزنبق في كل جانب ،

اخترته من بين كوم كبير من الحديد القديم

١٠٠

في كنيسة القديسة كاترين « بتورين »^(١).

: تعالى إذن باسم الله فلست أخشى امرأة .

شارل

: وأنا لن أفر من رجل ما حييت .

بوسل

(يتسارزان وتنتصر جان لابوسل)

شارل : كفى يدك . . . كفى ، إنك لعمرى لمن سلالة
الأمازون^(١)

وسيفك سيف ديورا^(٢) . ١٠٥

بوسل : العذراء تناصرنى وإلا لاستول على الضعف .
شارل : أيا كان الذى يناصرك فإنك أنت التى يجب أن

تناصرينى

إننى أتحرق شوقاً إليك ،

فلقد أخضعت قلبى كما أخضعت سبنى .

بوسل أيتها الحسنة ، إن يكن ذلك اسمك ، ١١٠

(ينحنى)

فاقبلينى تابعاً من مواليك لا واليا ؛

إن صاحب عرش فرنسا هو الذى يناشدك القربى .

بوسل : لست أملك أن أستجيب ، مهما تكن شرعيته

فرسالتى مقدسة من السماء

أمهلنى حتى أفرغ من طرد أعدائك من هنا ، ١١٥

وعندئذ أفكر فى الجزاء .

شارل : وإلى أن يمين ذلك الوقت ، بربك امنحى العبد

نظرة العطف والرضى .

(١) Amazon المحاربات .

(٢) Delorah امرأة عبرانية جاء ذكرها فى سفر القضاة

- رينيه : إن حديث مولاي قد طال .
- النسون : لا شك أنه يتفحصها متعمقاً مدققاً ،
١٢٠ وإلا لما طال حديثه معها كل هذا الوقت .
- رينيه : أنعكر عليه الصفو ما دام قد أفلت منه زمام نفسه ؟
- النسون : قد يكون مراده فوق ما ندرك ،
فللنسة السنة شديدة التأثير والإغراء (يتقدمان)
- رينيه : أين أنت يا مولاي ؟ علام عزمت ؟
١٢٥ أنترك أورليان أم لا ؟
- پوسل : أقول كلا ، أيها المتخاذلون المستضعفون !
قاتلوا حتى آخر رمق فيكم ، وسأكون حارستكم .
- شارل : إني أؤيد قولها : سنقاتل إلى النهاية .
- پوسل : لقد قدر لي أن أكون للإنجليز سوط عذاب .
١٣٠ والليلة سأفك الحصار فكا لاريب فيه .
- والآن ، وقد دخلت هذه الحروب ،
ترقبوا أيام دفء وهدوء . ،
إنما المجد كالدائرة في الماء
تظل أبداً في اتساع .
- ١٣٥ حتى إذا ما بلغت غايتها ، تشتت وتبددت وانتهت
إلى لا شيء .

كذلك الإنجليز : تبدد بموت هنرى اتساع دائرتهم
وضاع مجدهم وتشتت .

وما أحسبني إلا كيوليوس قيصر فى سفينته العاتية
إذ قال لربانها لا تخش بأساً ، ففعلك قيصر
ونجمه البازغ كلاهما على السفينة .

١٤٠ شارل : إن يكن محمد^(١) قد ألهمته حمامة^(٢) ،

فقد ألهمك النسر .

ليس يعدلك أحد حتى هيلين^(٢) أم قسطنطين العظيم .
بل حتى بنات القديس فيليب

يا كوكب الزهرة الوضاء وقد نزل على الأرض .

أنسى لى من العبادة والإجلال ما يكفى لأن أقدمه ١٤٥

بين يديك ؟

النسون : فلنمض بغير إبطاء لفك الحصار .

رينيه : ابذلى أيتها المرأة ما فى طاقتك لإنقاذ شرفنا .

اطرد بهم من أورليان يُكتب لك الخلود .

شارل : سنحاول ذلك على الفور ، هلم بنا لنعد العدة .

لئن ظهر كذبها فلن أومن بنبي بعد اليوم . ١٥٠

(يخرجون)

(١) (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .)

(٢) هيلين القديسة التى قيل إنه^(١) اكتشفت الصليب الحق مدفوناً وقد ساقها إلى
سكانه رؤيا رأتها .

المنظر الثالث

لندن . أمام البرج

(يدخل دوق جلوستر وخدمه في ثياب زرقاء)

جلوستر : جئت اليوم لأتفقد حالة البرج ،
فإن موت هنرى وأنا أخشى الدسائس والمكائد .
أين هؤلاء الحراس ، ولم لا يقفون في أماكنهم ؟
افتحوا الأبواب ، إن جلوستر هو الذى ينادى .
(الخدم يدقون الأبواب)

الحارس الأول : (من الداخل) منذا الذى يدق بمثل هذه الحدة والجرأة ؟
الخدام الأول : إنه النبيل الدوق جلوستر .
الحارس الثانى : (من الداخل) أيا كنت فلن يسمح لك بالدخول .
الخدام الأول : أيها الأوغاد أهكذا تحييون السيد الوصى على العرش ؟
الحارس الثانى : (من الداخل) الله يحفظه . . وهذا ردنا عليه :
إننا لا نفعل إلا ما نؤمر به .
جلوستر : ومنذا الذى أمركم ؟ وهل هناك أوامر غير أوامرى ؟
ليس هناك وصى للمملكة سوى .

حطموا الأبواب وأنا المسؤول .

أفيسخر منى خدام الاصطبل هؤلاء ؟

(يهجم رجال جلوستر على أبواب البرج ويتكلم الملازم وودفيل من الداخل)

١٥ وودفيل : ما هذا الضجيج ؟ أى خونة هنا ؟

جلوستر : أهذا أنت الذى أسمع صوتك أيها الملازم ؟

افتح الأبواب . هذا جلوستر يريد أن يدخل .

ودفيل : مهلا أيها الدوق النبيل فلست مخولا أن أفتح لك

الباب .

إن الكاردينال ونشستر يمنع ذلك ،

وأوامره صريحة بألا أسمع لك

أو لأتباعك بالدخول .

٢٠

جلوستر : يالاك من ضعيف القاب يا وودفيل ! أتفضله على ؟

ونشستر ، ذلك الأسقف المتعطرس

الذى لم يكن المغفور له الملك هنرى يطيق ؟

إنك لست مخلصاً لله ولا للملك :

٢٥

افتح الأبواب وإلا سجنئك .

خدام : افتحوا الأبواب فوراً للسيد الوصى

وإلا فتحناها عنوة .

(يدخل إلى الوصى عند أبواب البرج ونشستر ورجالهم فى ثياب نحرارية داكنة)

- ونشستر : ما خطبك أيها الطموح ههفرى ! وما معنى هذا ؟
- ٣٠ جلوستر : أيها الكاهن الخليق الرأس أتأمر بمنع من الدخول
- ونشستر : أجل أيها الخائن المغتصب ،
- فلست بوصى على الملك أو المملكة .
- جلوستر : مكانك أيها المتآمر المفضوح ،
- يا من تأمرت على اغتيال الملك الفقيد ،
- يا من تمنح العاهرات رخصاً لممارسة الرذيلة .
- ٣٥ فسأشدك في قبعتك الكاردينالية العريضة
- إذا تماديت في وقاحتك .
- ونشستر : مكانك . . لن أترشح عن مكانى قيد أنملة ؟
- فلتك هذه دمشق ، إن شئت ، ولتكن أنت قابيل
- اللعين
- جلوستر : لن أذبحك ولكنى سأدفع بك إلى الوراء .
- سأحملك بشيابك القرمزية كما يحمل الطفل في
- ثوب التعميد .
- وأقذف بك من هذا المكان .
- ونشستر : هل تجرؤ . . ؟ إلى أتحداك . .

٤٥ جلوستر

: يا للجرأة أتتحداني؟

فلتكروا ، أيها الرجال ، على هذا الحرم .
 الثياب الزرقاء ضد النحاسية حذار أيها الكاهن ،
 فسأشد ذقنك وأكيل لك اللكمات ،
 وسأدوس تحت قدمي قبعتك الكاردينالية ،

٥٠

غير عابئ بالبابا أو بأقطاب الكنيسة .
 وسأقبض عليك من خديك ثم أرفعك وأخفضك
 مرة بعد مرة .

ونشستر

: سوف تحاسب على هذا أمام البابا ، يا جلوستر .

جلوستر

: يا لك من ملوث حقير ! اضربوهم واطردوهم من هنا ،

أما أنت فأنا كفيل بك أيها الذئب في زى حمل !

٥٥

أنحسأوا ، يا ذوى المعاطف المعصفرة ،

وأنحسأ أيها المنافق الأحمر !

(وهنا يصرب رجال جلوستر رجال الكاردينال . وأثناء

المرح والمرج يدخل عمدة لندن وضابطه .)

العمدة

: ألا بشس ما تفعلان أيها السيدان إذ تعكران الأمن

بهذه الصورة المهينة ، رغم مكانتكما الرسمية الكبيرة !

جلوستر

: مهلا أيها العمدة ، إنك لا تعرف شيئاً عما ارتكب

في حق :

إن بوفورت هذا ، الذى لا يأبى بملك ولا برب ،
يريد أن يستولى على البرج نفسه .

٦٠

وفشستر : جلوستر هذا عدو الشعب ،

لا يزال يغلب الحرب ولا يريد السلام أبداً ،
يثقل كاهل الناس بالضرائب
ويرمى إلى هدم الدين .

٦٥

ويفضل وصايته على المملكة ،
يريد أن يستولى على السلاح من البرج .
لينصب نفسه ملكاً ويقضى على الأمير .

جلوستر : لن أرد عليك بالكلام بل باللكمات

(يتشاكاه مرة أخرى)

لم يبق لى إزاء هذا العراك الصاحب
إلا أن أذيع إعلاناً على الملأ .

٧٠ العمدة

أعلن أيها الضابط بأعلى صوتك .
أعلن :

إلى كل المتجمعين هنا اليوم ، والمسلحين

ضابط

بما لا يرضى ، باسم سلام الله والملك ،
نطالبكم ونأمر باسم سموه أن تعودوا إلى
مساكنكم ، وألا تتقلدوا سيفاً أو سلاحاً

٧٥

أو خنجراً أو تحملوه أو تستخدموه ابتداء

من اليوم . إن جزاء المخالف الموت .

: أيها الكاردينال لن أخرق القانون :

٨٠ جلوستر

ولكننا سوف نتلاقى ونكشف عما تكنه الصدور .

: نعم سوف نلتقى ، يا جلوستر ، وثق بأنك

ونشستر

سوف تدفع دم قلبك ثمناً لما بدر منك اليوم .

: إذا لم تنصرفوا استخدمت العصا !

العمدة

إن هذا الكاردينال أكثر غطرسة من الشيطان .

٨٥

: الوداع أيها العمدة ، إنك ما فعلت إلا ما يجب

جلوستر

عليك .

: جلوستر ، أيها اللعين احرص على رأسك

ونشستر

فإني قررت الظفر به عما قريب .

(ينسحب جلوستر ونشستر وراحاها متفرقين)

: تأكد من انصراف الجميع وخل الطريق لتنصرف

العمدة

نحن بعد ذلك !

يا إلهي كيف يطيق هؤلاء النبلاء مثل هذا الهياج .

٩٠

فأنا نفسي لم أقاتل مرة واحدة خلال أربعين عاماً .

(يخرجون)

المنظر الرابع

أورليان

(يدخل كبير المدفعية وولده)

كبير المدفعية : إنك تعلم يا بني كيف حوصرت أورليان ،
وكيف ظفر الإنجليز بالضواحي .

الغلام : أعلم يا أبتاه ، ولطالما أطلقت عليهم قذائقي ،
ولكن أبي سوء حظي إلا أن أخطئ المرمى .

كبير المدفعية : ولكنك لن تفعل ذلك الآن . استمع لما أقوله لك :

إنني كبير المدفعية في هذه المدينة ؟

ولا بد لي من أن أعمل شيئاً يرفع قدري .

لقد أبلغني مخبرو الأمير أن الإنجليز ،

وهم مخندقون في الضواحي القريبة ،

سوف يتسللون من خلال القضبان الحديدية

١٠

ليشرفوا من هناك على المدينة

وبذلك يكشفون عن مواطن الضعف

التي أصابونا فيها بقذائفهم أو هجومهم .

فلكى أفسد عليهم خطتهم المؤذية ،

رصدت لهم قطعة من المدفعية ،

وقضيت هذه الأيام الثلاثة

متربصاً بهم لعل أراهم .

والآن ستأخذ دورك فى المراقبة

إذ تدعونى الضرورة إلى ترك مكانى .

فإذا ما رأيت شيئاً فبادر بإبلاغى ، وستجدنى فى

ديوان الحاكم . (يذهب ناحية)

الغلام - اطمئن يا أبى ، ولا تملق

فإنى إذا رأيت شيئاً فلن أزعجك .

(يذهب ناحية أخرى)

(يدخل السورى وتالبوت فى البرج الصغير ومعهما

جلاندیل وجار حریف وآخرود)

السورى : تالبوت يا حياى وبهجى ، لقد عدت إلينا !

كيف عاملوك فى الأسر ؟

وكيف غدوت طليقاً ؟

تكلم ببربك ونحن فوق قمة هذا البرج الصغير .

: كان من بين أسرى إيرل بدفورد

تالبوت

محارب شجاع اسمه لورد بونتون دى سانتراى

استبدلت به وفديت .

٣٠

ولقد أرادوا - تحقيرا لى - مباداتى
بـجارب حقير لا تكافؤ بينى وبينه ،
ولكننى ازدريت عرضهم وآثرت الموت
على قبول هذا الخط من كرامتى .
وأخيراً كان لى ما أردت

٣٥

ولكن جراح قلبى لن تشفى ، حتى أرى ذلك الحائن
« فواستاف » لو وقع فى يدى لمزقته لربا .

سالسبورى :

ولكنك لم تقل لى كيف عوملت فى الأسر .

تالبوت :

عرّضونى ، بالسب والشتم والسخرية والتعنيف

المقذع ،

فى ميدان عام لاكون

٤٠

مشهداً يهيج الناس أجمعين .

وقالوا هذا هو باعث الرعب فى نفوس الفرنسيين
ومخيف أطفالهم . . .

وغافلت الضباط الذين كانوا يحرسونى ،

وحفرت الأرض بظافرى واستخرجت منها حجارة

أقذف بها من شهدوا عارى .

٤٥

وَقَر الكثيرون لمنظر وجهى المكفهر .

ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منى
خوفاً من موت مباغت .

واعتقدوا أنه لا مأمّن منى حتى بعد وضعى وراء
الجدران الحديدية . .

فلقد انتشر بينهم الرعب ، من ذكر اسمى
وظنوا أننى أستطيع كسر قضبان الصلب ؛
وأنى قادر على أن أركل بقدمى ، أعمدة من الحجر
الصلد فتهدى وتنحطم .

لذلك أقاموا على حراستى نفرّاً مختاراً ،
مدججاً بالسلاح لا يفارقنى لحظة ؛

بحيث إذا بدرت من فراشى مجرد حركة ،
صوبوا النار على الفور نحو قلبى .

(يدخل العلام مشعل قذيفة المدفع)

سالسبورى : يحزننى أن أسمع بالعذاب الذى قاسيته .

ولكننا سوف نثار لك ثأراً عظيماً . .
والآن وقت العشاء فى أورليان :

وأستطيع ، من بين هذه القضبان ، أن أحصى
كل شخص ،

وأن أرى كيف يحصن الفرنسيون مواقعهم .

٥٠

٥٥

٦٠

فلنلق نظرة، وستسرون لما ترون .

أحب أن أعرف رأيكما بوضوح

يا سير توماس جريف، وسير وليام جلانسديل ،

عن أصلح مكان تدكه بطارية مدفعيتنا .

٦٥

جار جريف : أظن عند الباب الشمالى فمركز اللوردات هناك .

جلانسديل : ورأى . . هنا . . عند الجسر . .

تالبوت : الذى أراه هو أن نسلط على هذه المدينة الجوع

بمنع القوت عنها

وأن نهكها بالمناوشات الخفيفة .

(هنا يسمع صوت مدفع . يستط سالسورى وجار جريف)

٧٠ سالسورى : رحمتك يا إلهى ! أغفر لنا خطايانا !

جار جريف : يارب ارحمنى واغفر لى ذنئ !

تالبوت : أى نجم مفاجئ هذا الذى مر بنا ؟

انطق ياسالسورى ولو بكلمة واحدة إن استطعت .

كيف حالك ، يازينة المقاتلين ، اقدأطاحت الضربة

بإحدى عينيك وبشطر من خدك !

٧٥

سحقاً لك أيها البرج ! وتباً لليد المشئومة

التي دبرت هذه المأساة المروعة !

ثلاث عشرة موقعة انتصرت فيها ياسالسورى ،

وأنت الذى درب على يد هنرى الخامس على
الحروب ،

ماكل سيفك ولا توقف ما نفخ فى المعركة بوق
أو دق طبل .

٨٠

إنك ما زلت حياً ياسالسيورى ،
وإن خفت صوتك وفقدت إحدى عينيك ،
لتنطلع إلى السماء سائلاً الرحمة ،
فالشمس تنظر إلى الكون كله بعين واحدة . .

٨٥

لأنزلت رحمة من السماء على كائن حى
إذا لم تنزل عليك ياسالسيورى !
احملوا جثمانه وسأعاونكم على مواراته التراب .
وأنت يا سير جارجريف ، أفيك رمق من حياة ؟
رد على تالبوت . . ارفع إليه عينيك . .

٩٠

فلتطمئن روحك ياسالسيورى .
فلن تموت هدرًا . .

إنه يشير إلى بيد ويتسم لى
كأنما يقول « عندما أموت وأمضى
تذكر أن تثار لى من الفرنسيين »

وسأفعل يا بلانناجنت .

ومثل نيرون سأعزف على العود ، والمدن الفرنسية
تحترق :

والويل لفرنسا من مجرد اسمي .

(نفخ بوق ورعد ورق)

ما هذه الحركة وهذا الهياج في السماوات ؟
من أين يأتي صوت هذا البوق ومن أين هذه الضجة
(يسلخ رسول)

١٠٠ رسول : مولاي ، مولاي ، حشد الفرنسيون قوة مسلحة .
وقد قدم ول العهد

ومعه نبية مقدسة . ظهرت أخيراً ،
على رأس قوة كبيرة لرفع الحصار .
(هنا يرمع السورى جسمه ويئن)

تالبوت : أنصت أنصت ! كيف يئن سالسورى وهو يلفظ
أنفاسه ؟

إن قلبه ليتمزق لأنه لا يملك الثأر .

أيها الفرنسيون سأكون لكم سالسورى .
بوسل أو غير بوسل . . ولي العهد أو ولي المهدي .
سأدوس قلبكم أيها الفرنسيون بمخاخر خيلي

وَأَسْحَقُ رَأْسَكُمْ حَتَّى يَخْتَلِطَ الْمَخَّ بِالْعِظَامِ .
 أَحْمَلُوا سَالِسُورَى إِلَى خَيْمَتِهِ .

ولنرَ بعد ذلك ما يجري وعلية هؤلاء الفرنسيون الجبناء
 (بوق . يحملون سالسورى وحارجرىف)

المنظر الخامس

(هما يسمع بوق مرة ثانية . تالبوت يتعقب ولى العهد ويدفعه أمامه : ثم تدخل جان لا بوسل تدفع إنجليزياً أمامها ، ثم تتعقبهم . ثم يدخل تالبوت مرة ثانية .)

تالبوت : أين قوتي وبسالي وجنودي ؟
قواتي الإنجليزية تنسحب ولا أستطيع أن أقف
انسحابها .

امرأة في دروعها تطاردهم . . ! (تدخل لا بوسل)
هاهى ذى قادمة . لا بد لي من منازلاتك
وسواء أكنت الشيطان أم زوجته ، سأعيدك
إلى الجحيم

وسأريق دمك وأخلص من سحرك ، فما أنت إلا
ساحرة مارقة

وسأبعث في الحال بروحك إلى هذا الذى تعبدن .
: هلم إذن فأنا التى لا بد لها من أن تلحق بك
الحزى . (يتقاتلان)

بوسل

تالبوت : رباہ أترضى أن تسود زبانية الجحيم ؟

إن صدرى سينفجر من كثرة ما سأجمع فيه من
بسالى . .

وسينخلع ذراعى من كتنى شجاعة وإقداماً . .
ولكن لابد من أن تلقى هذه البغى الطموح
جزاءها . (يتقاتلان ثانية)

پوسل

: الوداع يا البوت لم تدن ساعتك بعد ،

فحتم على أن أزود أورليان بالقوت

(بوق قصير . ثم تدخل المدينة مع جنود)

الحق بى إن استطعت ، إنى أهزأ بقوتك

اذهب إلى جنودك الجائعين وطيب خاطرهم ،

وخذ بيد سالسبورى ليكتب وصيته :

اليوم يومنا وستكون لنا أيام كثيرة فى المستقبل .

(تخرج)

تالبوت

: إن رأسى يدور كعجلة الخراف ،

ولست أدرى أين أنا ولا ماذا أفعل .

ساحرة تدفع أمامها قواتنا

وتغزو ، كما تشاء بالخوف لا بالقوة ، قوة هانبال^(١) ،

كالنحل يطرده الدخان من خلاياه ،

(١) قائد ، قرطاجى مشهور كانت له مع الرومان مواقع معروفة .

والحمام تطرده من مساكنه الرائحة الكريهة والضوضاء .
لقد أستمونا لصلابة عودنا وشدة مراسنا كلاباً
إنجليزية . .

٢٥

والآن نولي الأدبار كالأجراء صارخين . (بوق قصير)
أنصتوا يا بني وطني ! إما أن تجدوا القتال
أو تنزعوا الأسود من شعار إنجلترا .
تبرأوا من أرضكم . واتخذوا الغنم مكان الأسود .
فالغنم لا تفر من الذئب ،

٣٠

والخيل والثيرة لا تفر من الفرس ، في هلع وذعر ،
كما تفرون من عبيدكم الذين طالما أخضعتموهم .
(بوق - المناوشة أخرى)

إن هذا لن يكون ! عودوا إلى خنادقكم :
لقد قبلتم جميعاً أن يقتل سالسبوري ،
إذ لا يريد أحد منكم أن يضرب ضربة واحدة
للثأر له .

٣٥

ولقد دخلت بوسل أورليان
بالرغم منا ، وبالرغم من كل ما نستطيع عمله ،
ألا ليتني مت مع سالسبوري ، فسيضطرن العار
الذي لحق بنا لأن أدفن رأسي . (يخرج)

الفصل الأول

المنظر السادس

(يدخل على الأسوار : لا بوسل ، وولى العهد ، ورينيه ، والنسبون ، وجنود)

بوسل : ارفعوا أعلامنا الحفاقة فوق الأسوار ،
فقد أنقذنا مدينة أورليان من الإنجليز :
وهكذا وفّت جان لا بوسل بعهدا ..
شارل : أيها المخلوق السماوى يا ابنة إستريا^(١) ،
كيف أمجدك من أجل هذا النجاح ؟
إن وعودك كمجنات آدونيس^(٢) .

التي ازدهرت ذات يوم وفى اليوم التالى آتت
أكلها .

اهنئى يا فرنسا بنيتك المحبذة التى حققت لك
النصر !

لقد استردّت مدينة أورليان :

(١) إستريا - إلهة العدالة ، عاشت فى العصر الذهبى بين الناس ثم هجرت الأرض
فيما بعد إلى السماء .

(٢) آدونيس - حبيب أفروديت أعياده أعياد الخصب والخصاء تسمى لاسمه بعض
الناتات .

حادث مبارك لم يصادفنا له مثيل .

١٠

رينيه : لم لا تقررعون الأجراس - مُدويةً في جميع

أنحاء المدينة ؟

مُر ، يا ولي العهد ، المواطنين بأن يشعلوا نيران

الفرح .

ويقيموا الأعياد والمآدب في الطرقات

احتفالاً بهذا النصر الذي من الله به علينا .

: ستمتلي فرنسا كلها فرحاً وغبطة

١٥ النسون

عند ما تعلم دور الرجولة الذي قمنا به .

: إن جان هي التي أكسبتنا اليوم ، لا نحن ،

شارل

لذلك سأقاسمها تاجي .

وسيسير كل الكهنة والرهبان في مملكتي

في موكب ينشدون فيه أناشيد الثناء ، والتمجيد

المطلق ، لها .

٢٠

وسأبني لها هرمًا .

أفخم من هرم رودوبيه^(١) أو منفيس ،

وإحياءً لذكراها بعد موتها

(١) رودوبيه - حورية أونسية تذكر في أساطير الإغريق ويسب إليها خطأ

- سأحفظ رمادها في وعاء
 ٢٥ أؤمن من صندوق جواهر دارا^(١) ،
 يحمل في الأعياد الكبرى
 أمام ملوك فرنسا وملكاتهن .
 ولن نحتفل بالقديس دينيس^(٢) بعد اليوم ،
 فقديسة فرنسا ستكون جان « لا پوسل » .
 ٣٠ هلموا بنا لنحتفل في مأدبة ، احتفالاً ملكياً
 بعد نصر هذا اليوم الذهبي .
 (بوق . يجرحود)

(١) دارا - اسم لأول ملوك المرس ، وباسمه تسمى كثير من ملوكهم ، لكن المشهور شهرة سليمان بالثراء هو « جم » المعروف بمحميد .
 (٢) القديس دنيس - أول قساوسة باريس يمثل جداً رافعاً نفسه ليصل إلى رأسه المفصول . يوم عيده ٩ أكتوبر وهو قديس منطقة « الحول » .

الفصل الثانى

المنظر الأول

(نفس المنظر بعد منتصف الليل فى اليوم التالى . يدخل شرطى فرنسى معه حارسان)

الشرطى : الزما مكانكما ولترهفا السمع والبصر :

فإذا طرق سمعكما صوت .

أو لمحكما جندياً بالقرب من الأسوار .

فأخطرا مركز الحراسة بإشارة واضحة .

• الحارس الأول : سمعاً وطاعة أيها الشرطى . (يخرج الشرطى)

هكذا الجند المساكين .

عند ما ينام الآخرون فى فراشهم الهادئ .

يتحتم عليهم السهر للمراقبة فى الظلام والمطر

والبرد . (يجلسان)

(يدخل تالوت و بدفورد و رجندى وحدود ومعهم جملة

سلام مختلفة)

تالوت : أيها السيد الوصى وأيها المهيب برجندى .

يا من إليهما يرجع الفضل فى ولاء أقاليم

آرتوا^(١) والون^(٢) وبيكاردى^(٣) لنا ،
 إن الفرنسيين ينامون في هذه الليلة السعيدة آمنين
 بعد نهار قضوه كله في الطعام والقصف .
 فلنغتم هذه الفرصة المواتية

لنرد لهم كيدهم الذي دبروه بإحكام وبسحر
 أثيم .

١٥

بدفورد : يا لجبن الفرنسي ! لكم أساء إلى سمعته ،
 إذ ينضم إلى صفوف السحرة ويلتمس العون من
 جهنم

يائساً من جدوى بأسه وقوته .

برجندي : ليس للحونة رفاق غير هؤلاء .

ولكن من تكون هذه اليوسل التي يسمونها

الطاهرة ؟

٢٠

تالبوت : عذراء . . فيما يقولون . .

بدفورد : عذراء تقاتل هذا القتال !

برجندي : إذا كانت في البداية

(١) آرتوا . Artois

(٢) والون Wallon إقليم في بلجيكا على الحدود الفرنسية .

(٣) بيكاردى picardy

قد حملت السلاح تحت علم الفرنسيين
فالله نسأل ألا تحمل في النهاية شيئاً .

تالبوت : على كل حال دعهم يمارسوا السحر ويناجوا
الأرواح :

٢٥

فالله حصننا . وباسمه القاهر عزّ منا
على أن نتسلق أسوارهم الحصينة .

بدفورد : تسلق أيها الشجاع تالبوت ونحن من ورائك .
تالبوت : كلا لا نتسلق كلنا في مكان واحد بل يحسن
أن نتباعد ،

٣٠

بحيث يكون دخولنا من جهات متعددة ،
حتى إذا ما قُدِّر لأحدنا أن يفشل
نهض الآخر ليلقي جندهم .

بدفورد : سأفعل ذلك ، سأذهب إلى ذلك الركن .
برجندى : وأنا إلى ذاك .

تالبوت : أما تالبوت فسيصعد هنا أو يذهب إلى قبره .

٣٥

والآن . . من أجلك يا سلسبوري .

ون أجل حق هنرى الإنجليزى .

سوف تبدى هذه الليلة كم أنا مدين لكما .

(يصيح الإنجليز وهم يتسلقون الأسوار « سانت
حورح . . وتالدوت ثم يدخلون المدينة) .

الحارس (مستيقظا) : السلاح ! السلاح ! إن العدو يهجم !

(يقفز الفرنسيون فوق الأسوار بقمصانهم ومن بينهم دعى
أورليان وألسون ورينيه لم يستكملوا استعدادهم . .)

ألسون : ما هذا أيها السادة ؟ أهكذا لم تستكملوا

استعدادكم ؟

الدعى : لم نستكمل استعدادنا ! أجل وسعداء بفرارنا

هكذا . .

٤٠

رينيه : لم نضيع دقيقة واحدة لنهض ونغادر فراشنا

عند سماعنا الإنذار يندق أبواب حجراتنا .

ألسون : ما شهدت في كل المعارك التى خضتها

معركة كثيرة الأهوال والمخاطر

كهذه المعركة . .

٤٥

الدعى : أنى لأحسب هذا المدعو « تالبوت » شيطانا

من شياطين الجحيم . .

رينيه : إن لم يكن من الجحيم فالسما بلا شك تؤثره

وترعاه .

ألسون : ها هو ذا شارل قادم : لشد ما أعجب كيف

طار بهذه السرعة .

الدعى

: صه فالقديسة جان كانت حارسه الذى يحميه .

(يدخل شارل واليوسل)

٥٥ شارل

: أهكذا تمكرين بنا أيتها المخادعة ؟

تداهنيننا أول الأمر

بكسب يسير .

ثم تتزلين بنا الخسائر الآن أضعافاً مضاعفة ؟

يوسل

: ما بال شارل ضجراً حانقاً على صديقه ؟

أفتحسب قوى واحدة فى كل أوان ؟

٥٥

أفحتم أن أسيطر على الموقف ، نائمة كنت أو

يقظانة ؟

فإن لم أفعل لمتنى وحملتنى وزر الآخرين ؟

تبا لجندك الغافلين . لو أن الحراسة كانت يقظة

ما حل بنا هذا الشر المفاجئ .

٦٠ شارل

: هذه غلطتك يا دوق ألينسون ،

فإنك وأنت قائد الحراسة الليلة

لم تنهض بهذا العبء الكبير .

أالنسون

: لو أن مراكرك كلها كانت فى حراسة آمنة

كالمرکز الذى كنت أحرسه ،

ما فوجئنا هذه المفاجأة المخزية .

٦٥

الدعى : إن مركزى كان آمناً

رينيه : وكذلك مركزى يا سيدى

شارل

: أما أنا فقد كنت طوال الليل راثماً غادياً

بين مقرها ومقر إشرافى مشغولاً بإراحة
الحراس :

٧٠

فكيف استطاع العدو الدخول إذن ومن أين
تسرب أولاً ؟

بوسل

: لا جدوى أيها السادة فى مواصلة التساؤل

كيف أو من أين ؛ فلا شك أنهم وجدوا
ثغرة ضعيفة الحراسة نفذوا منها

وليس أمامنا الآن إلا شىء واحد ننصرف إليه ،

٧٥

وهو أن نلم شتات جندنا .

ومن ثم نفتح ميادين جديدة لإنزال الحسائر
بالعدو .

(إنذار . يدخل جندى لإنجليزى صائحاً « تالبرت !
تالبرت ! » . فيفرون تاركين ثيابهم وراءهم .)

جندى

: حلال لنا ما خلفوه .

إن صيحة « تالبوت » تفعل فعل السيف .

فبفضلها ، بفضل الاسم وحده

دون استخدام أي سلاح آخر ، غنمتَ هذه

٨٠

الغنائم الكثيرة .

(يجمع الشياطين ويخرج)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

أوليان — داخل المدينة

(يدخل تالبوت وبدفورد ورجندى وضابط برتبة كابتن وآخرون)

بدفورد : طلائع النهار تتفتح وجحافل الليل تولى
رافعة عن الأرض نقابها الأسود الحالك .
فلتنفخوا فى البوق نوبة التقهقر ، ولتوقفوا تلك
المطاردة الحامية . (يتهىخ فى البوق للتقهقر)
تالبوت : هاتوا جثمان الشيخ سالسبورى
وسيروا به إلى الميدان الرئيسى .
وسط هذه المدينة اللعينة
فالآن قد وفيت بعهدى الذى عاهدت روحه
عليه .

إن فى مقابل كل قطرة سكبها من دمه
قد أزهرت على الأقل أرواح خمسة من

الفرنسيين الليلة .

١٠

ولكنها تشهد الأجيال القادمة
مدى الدمار الذي حل أخذاً له بالثأر ،
فلأقيم له في أكبر معابدهم
قبراً يكون مثوى لجهنمه ؛
ولأنقش عليه ، لكل من يقرأ ،
نبأ الاستيلاء على أورليان ،
ومأساة موته الغادر .

١٥

ثم وصف مدى الرعب الذي كان يثيره في
قلوب الفرنسيين .
ولكنني لأعجب ، أيها السادة ، كيف أننا
في خلال هذه المجزرة الدموية كلها
لم نلق سمو ولى العهد ، ولا بطلته الجديدة ،
جان دارك الطاهرة ،

٢٠

أو أحداً من حلفائه الزائفين . .

بدفورد : أتظن ، أيها اللورد تالبوت ، أنه عند ما بدأت الحرب

وهبوا من فراشهم الناعس ، مذعورين ،
ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار . .

وسط صفوف قواتهم المسلحة لتقيهم شر الممعة؟

٢٥

برجندي

: إن الذي أعلمه علم اليقين ،
 رغم الدخان وضباب الليل ،
 أننى ألقيت الرعب فى قلب ولى العهد وعاهرته ،
 عند ما انطلقا على عجل ، ذراعه فى ذراعها ،
 كأليفين من حمام القمرى العاشق .

٣٠

لا يستطيعان الفراق بالليل أو بالنهار .
 ولسوف نجد فى أثرهما بكل ما لدينا من قوة ،
 بعد أن ننظم أمورنا هنا . (يدخل رسول)

رسول

: سلام عليكم أيها السادة !
 من من هذه الزمرة الرفيعة الشأن تسمونه المحارب
 « تالبوت »

٣٥

ذلك الذي طبق صيته آفاق فرنسا واستحوذ على
 إعجاب بنينا ؟

تالبوت

: هو ذا طلبتك : فن ذا يريد أن يخاطبه ؟

رسول

: إن السيدة المصونة كونتس أوثرني (١) ،

وهى المعجبة فى تواضع بمجدكم ،
 تناشدكم يا سيدى العظيم أن تولوها عطفكم ،

٤٠

فتزوروا قصرها المتواضع الذى تسكن فيه ؛
حتى يمكن لها أن تفخر بأنها شهدت
الرجل الذى ملأ صيت مجده سمع العالم فى دوى
سريع .

برجندي : أياكون هذا ؟ ! إننى لأرى حروبنا

تنقلب إلى رياضة سلم مضحكة ، ٤٥

إذ تلتمس الحسان اللقاء .

أرجو يا سيدى ألا تخيب رجاءها الرقيق .

تالبوت : أخشى ألا أكون موضع ثقتكم

فحيث يُخفيق عالم من الرجال بكل ما أوتوا من
بلاغة وبيان ،

ننجح المرأة بعطفها ورقتها : ٥٠

فلتبلغها شكرى وقبولى دعوتها فى خضوع .

هلا تكرمتم يا سادة على بصحبتكم ؟

بلدفوردي : لا وأيم الله . . فهذا ذوق ما تحتمل آداب

السلوك :

لقد سمعت قولاً مأثوراً

بأن الضيف غير المدعو كثيراً ما يلقي أعظم ٥٥

الترحيب عند انصرافه .

تالوت : لا حيلة لي إذن . سأذهب وحدي

لأجامل هذه السيدة الكريمة . .

تعال أيها الضابط (يمس إليه) أعرفت قصدي ؟

الضابط : نعم يا سيدي وسأقوم على تحقيقه . .

(ينصرفون)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

أوثرنى - قصر الكونتس

(تدخل الكونتس وبواها)

الكونتس : أيها البواب تذكر ما قلت لك .
وعند ما تفعل ما أمرتك به أحضر إلى المفاتيح .

البواب : سمعاً وطاعة يا سيدتى (يخرج)

الكونتس : لقد حبكت المؤامرة :

فإذا سارت الأمور على النهج المرسوم لها
فلأشهرن كتوميريس^(١) الإسكيدية التى قتلت

قورش^(٢) .

إن شهرة هذا الفارس المروع عظيمة ،

(٢ ، ١) توميريس : Tomyris . يقول هيرودوت إنها ملكة ماساجتاي . وقصتها

أن قورش (Cyrus) أسر ابنها وقتله ثم أسرته هى فيما بعد وقطعت رأسه وألقت به فى وعاء
ملء بالدم البشرى وهى تقول « اشرب من الدم الذى طالما طمئت إليه . »

وفعاله لا تقل عنها عظمة وجلالا ،
ولكم أرغب في أن تشهد عيناى ما سمعته أذنائى ،
لتصدر حكمها على هذه الفعال النادرة .
(يدخل رسول وتالبوت)

١٠

رسول : سيدتى ، لقد أتى السيد « تالبوت »
تلبية لرغبتك ورجائك .
الكونتس : مرحباً به . . ماذا ؟ أهذا هو الرجل ؟
رسول : أجل يا سيدتى .
١٥ الكونتس : أهذا هو جلا د فرنسا وسوط عذابها ؟
أهذا هو « تالبوت » الذى يملأ القلوب رعباً فى
الخارج

وباسمه تسكت الأمهات صغارهن ؟
إن الذى ذاع عنه فيما أرى خرافة وبطلان .
حسبت أنى سوف أرى هرقل فى الرجال ،
أو خليفة لهكتور ذى الوجه الصارم
٢٠ والجسم الضخم والعضلات المفتولة . . .
واحسرتاه . . لست أرى أماى غير صبى . .
قزم . . ضئيل !

وليس بممكن أن يوقع هذا الضعيف الهزيل
الذى يشبه برغوث البحر -
مثل هذا الرعب فى قلوب أعدائه .

تالبوت : يا صاحبة العصمة ، أحسبني جاوزت حدى
بإزعاجك .

٢٥

أما وعصمتك مشغولة ،
فسأنتهز فرصة أخرى أحظى فيها بزيارتك .

الكونتس : ما الذى يعنى بقوله هذا ؟ اذهب وسله أين
ينذهب .

رسول : فلتبقى أيها اللورد تالبوت . إن سيدتى
تتوسل إليك

٣٠

هلا أبلغتها سر انصرافك المفاجئ
تالبوت : ما دام هذا هو رأيها فسأمضى
لأثبت لها أن الذى كان موجوداً هو تالبوت ؛
لتصحح رأيها .

(يدخل البواب مرة ثانية ومعه المفاتيح)

الكونتس : إذا كنته فأنت إذن سجين .

تالبوت : سجين ! وسجين من ؟

الكونتس : . . سجينى . . أيها اللورد الظالمى للدماء

من أجل ذلك استدرجتك إلى منزلى ،

٣٥

لقد ظل شبحك رفيقاً لى زماناً طويلاً
وبرهان ذلك فى صورتك المعلقة بالبهو .

أما الآن فسأستبدل الحقيقة بالخيال ،

سأضع الأغلال فى هذه الأرجل والأذرع .

أرجلك وأذرعك التى استنزفت طوال هذه السنين ،

بلدنا وذبحت أبناء وطننا ،

ودفعت بالأبناء والأزواج إلى الأسر والذل .

تالبوت : ها ، ها ، ها !

الكونتس : أتضحك أيها الشقى التعس ؟ لسوف ينقلب

فرحك أنيناً وحسرات .

٤٥ تالبوت : إننى أضحك إذ أرى عصمتك من الغفلة

بحيث تظنين أن بين يديك شيئاً غير شبح

تالبوت

تنزلين به صنوف تنكياتك وقسوتك .

الكونتس : ماذا ؟ أأست الرجل ؟

تالبوت : أجل أننى هو .

الكونتس : إذن فليس الذى بين يدي مجرد خيال بل

هو مادة هى جسم أيضاً .

٥٠ تالبوت : كلا كلا فلست إلا شبح نفسى :

إنك مخدوعة فجسدى ليس هنا .
وليس الذى ترين إلا أضال جزء منى
وأقل نسبة من الإنسان :
سأشرح لك يا سيدتى ، لو أن هيكلى كله
كان هنا

٥٥

لضاق سقف بيتك عن احتوائه
لعظم مقداره ولضخامته .

الكونتس : ما هذه الألباز التى تصطنع :

هو هنا ومع ذلك ليس هنا .

كيف تتواءم هذه المتناقضات ؟

٦٠

تالبوت

: ذلك ما سوف أبين لك على الفور . . .

(ينفخ فى بوقه : تدق طبول . ويقصف مدفع :
وتدخل حنود)

والآن يا سيدتى هل اقتنعت

بأن تالبوت ليس إلا شبحاً لنفسه ؟

هؤلاء هم مادته وعضلاته وسواعده وقوته ،

الذين يشد بهم رقابكم المتمردة إلى النير ،

ويعحق مدنكم ويدمر بلدانكم ،

وفى طرفه عين يحيلها خراباً .

٦٥

الكونتس

: أيها الظافر المظفر تالبوت ! اغفر لى زلتى :

لقد تبين لى أنك لا تقل قدراً عن الذائع من صيتك ،
إنك لأعلى منزلة مما قد يوحى به شكلك ومظهرك .

٧٠

ناشدتك ألا تكون عجرفى متاراً لغضبك

فالأسى يملأ جوانحي أن قد لقيتك

بغير ما أنت أهل له من الإجلال .

تالبوت

: لا بأس عليك يا حسنائى ، لا تأسى ولا تحزنى ،

ولا تظنى « بتالبوت » الظنون فتسيئى فهمه ،

كما أسأت تأويل مظهر جسمه .

٧٥

إن الذى فعلته ما ساءنى وما كدرنى ؛

وليس لى ترضية أطلبها إليك ،

اللهم إلا إذا أذنت لنا

أن نتذوق أنبذتك ، وما لديك من لذات .

فبطون الجند دائماً مرهقة الشهية .

٨٠

الكونتس

: على الرحب والسعة ؛ وإنه لمن دواعى الشرف

أن أكرم فى بيتى محارباً فى مثل منزلتك

(يدخلون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

لندن — (حديقة المعبد)

(يلخل إيرل سمرست وإيرل سافوك وإيرل وريك ورتشارد بلانتاجنت وويرنون ومهام آخر)

بلانتاجنت : أيها اللوردات والسادة ما معنى هذا السكوت ؟
أليس لدى أحد من الشجاعة ما يدافع به عن
قضية حق ؟

سافوك : فى البهو علت أصواتنا فوق ما ينبغى ،
ولكن الحديقة هنا أوفى بالغرض .

بلانتاجنت : خبرونى إذن على الفور أنا على حق ،
أم أن سمرست اللجوج على خطأ ؟

سافوك : الحق أنى كنت أهرب من درس القانون ،
وما استطعت حتى الآن أن أشكل رغبتى
وفقاً له ؛

ولذلك أشكل القانون ليوافق رغبتى .

سمرست ١٠ : فلتحكم أنت إذن بيننا يا سيدي اللورد وريك

وريك

: بين صقرين أيهما أكثر تحليقاً في أجواز الفضاء؛

بين كليين أيهما أعمق فماً ،

بين جوادين أيهما أرشق حركة ،

بين فتاتين أيتهما أفتن دعجاً :

قد يكون لى فى ذلك بعض قدرة سطحية على

الحكم :

١٥

أما فى هذه المسائل الرفيعة من دقائق القانون ،

فإنى أخشى أن مدى إدراكى لها

لا يزيد على إدراك غبى .

بلانتاجنت : كفى ، كفى ، وصبراً يليق بالكرام .

إن الحق يظهر جلياً فى جانبي ،

٢٠

حتى ليسهل على العين الكليلة أن تراه .

صمرست : وهو فى جانبي واضح وضاء بين ،

حتى لينفذ إلى عين الأعمى ،

ويضيء فى ثناياها .

٢٥ بلانتاجنت : ما دامت ألسنتكم معقودة وتأبون الكلام

فلتفصحو عن حكمكم ولتبينوا عنه وأنتم

صامتون :

من كان منكم سيلاً كريم المحتد ،

يحرص على شرف منبته ،

فليقطع معي ، إذا كان يعتقد أني على حق ،

وردة بيضاء^(١) من هذه الحميلة ،

٣٠

: ومن لم يكن منكم جباناً منافقاً ،

سمرست

بل كان جريئاً في مؤازرة الحق ،

فليقطع معي وردة من هذا الشوك .

: أنا لا أحب الألوان ، لذلك ودون اتخاذ أي

وريك

لون من الألوان .

التي ترمز إلى النفاق الرخيص أو تلمح به ،

٣٥

أقطع هذه الوردة البيضاء مع بلانتاجنت .

: وأنا أقطع هذه الوردة الحمراء مع سمرست ،

سافوك

وأقول عن يقين إنه على حق .

: مهلاً أيها اللوردات والسادة

فيرنون

ولتكفوا عن القطف ، حتى تقرروا

٤٠

بأن على صاحب الورود الأقل

أن يسلم للآخر بوجهة نظره .

: اعتراضك مقبول أيها السيد فيرنون ؛

سمرست

(١) الورود بألوانها كانت تتخذ رمزاً وتلبس شارات لتستميز بها أسرة على أخرى

بأشباعها .

فإذا كان نصيبى الأقل فسامتثل فى صمت

٤٥ بلانتاجنت : وأنا أيضاً .

فيرنون : إذن فى سبيل الحق الذى حصحص ،

أقطف هذه النورة العذراء الشاحبة ؛

مصدراً قرارى فى جانب الوردة البيضاء ،

سمرست : حذار من وخز إصبعك وأنت تقطفها ،

٥٠ لثلا يدمى فيصبغ البيضاء بالأحمر القانى .

فتصبح من حزبى رغم أنفك .

فيرنون : إذا كنت فى سبيل الرأى أنزف دى ،

فسيكون الرأى طبيباً لجرحى ،

مبقياً أياى فى الجانب الذى لا أزال فيه

ثابتاً على الرأى .

٥٥ سمرست : حسن حسن . . هلموا هلموا . . من التالى؟

محام : اللهم إلا أن تكون دراستى وكتبى باطلة ،

فرأيتك الذى تمسكت به خاطئ ؛ (سمرست)

ولذلك أقطف أنا أيضاً وردة بيضاء .

بلانتاجنت : والآن يا سمرست أين سندك ؟

٦٠ سمرست : سندی هنا فى الغمد يفكر

كيف يصبغ وردتك البيضاء بالأحمر القانى .

بلانتاجنت : وحتى ننتهي إلى رأى يبدو خدك في لون وردنا،
فهما من الخوف شاحبان إذ يريان الحق في
جانبتنا .

سمرست : كلا يا بلانتاجنت ،

ليس من الخوف بل من الغيظ

٦٥

يحمر خدك نخجلا لتحاكى وردنا،

ومع ذلك فلا يريد لسانك أن يقر بخطئك .

بلانتاجنت : أليس في وردتك سوسة يا سمرست ؟

سمرست : أليس في وردتك شوكة يا بلانتاجنت ؟

٧٠ بلانتاجنت : نعم حادة نفاذة لتحمي حقها ؛

بينما تنخر سوستك بالباطل وردتك .

سمرست : حسن . . لسوف أجد أصدقاء يرشقون وردى

الدامى

فوق صدورهم مؤازرين الحق الذى ذهبت إليه .

ولن تجرأ ورود بلانتاجنت إذ ذاك على الظهور

٧٥ بلانتاجنت : وحتى هذه النواة العذراء فى يدي

إني لأحقرنك أنت وعصبتك ، أيها القتي

المنكود .

سافوك : لا توجه تحقيرك هذه الناحية يا بلانتاجنت .

بلانتاجنت : سأفعل أيها البول^(١) المتعجرف ، وسأزدريكما معاً إياك وإياه .

سافوك : سأسدد سيفي نحو حلقك .

٨٠ سمرست : انصرف انصرف ، أيها الطبيب وليم دي لابلول !
إننا نشرف القروي بالتحدث معه .

وريك : إنك ، وأيم الحق ، تتجنى عليه ، يا سمرست ،
فأبوه « ليونيل » ، دوق كلارنس ،

الابن الثالث ، لادوارد الثالث ، ملك إنجلترا :
وهل ينبت القرويون الأجلاف من أصل كهذا
بعيد الغور ؟

٨٥

بلانتاجنت : إنه يحتمى بجرمة المكان^(٢) .

ولولا ذلك ما جرؤ لجنبه على القول الذي قال .
سمرست : والذي خلقتني لأقولن قولتي هذه ، ولن أعدل عنها ،
في أية بقعة من الأرض ، في عالم المسيحية .

٩٠ ألم يشق أبوك رتشارد ، إيرل كامبردج ،
لارتكابه جريمة الخيانة العظمى في عهد المغفور
له الملك ؟

(١) البول : Pole نسبة إلى أسرة بول يقصد « وليم دولابلول » المذكور ، أحد
أحداه كما يزعم خصمه .
(٢) المعبد .

أو لست . بسبب هذه الحياة ، ملطخاً بالعار ،
مطروداً ، محروماً من شرف الأجداد ؟
إن جرمه لا يزال يجرى حياً في دملك .

٩٥

وحتى يرد اعتبارك ، ستظل قروياً من العامة ،
بلانتاجنت : إن أبى قد اعتقل ، ولكنه لم يطلخ بالعار ،
حكم عليه بالموت للخيانة العظمى ، ولكنه لم
يكن خائناً ،
وسأقيم البرهان على ذلك أمام رجال أسمى من
سمرست
متى أتاحت لي الأيام المقبلة فرصةً أطيب .

١٠٠

أما أنت ونصيرك بول ،
فسأخط اسميكما في كتاب ذاكرتي ،
لاقتص منكما ذات يوم على ما اعتقدتما في
وفي أبى
فلتحفظا ذلك جيداً ، وسلما بأبنى أدبت أمانة
الإلندار : اللهم فاشهد .

سمرست : ليطمئن بالك فسوف تجدنا على استعداد
للاقتاتك

ولتعرف أننا أعدائك بهذه الألوان ، ١٠٥
 التي سوف يحملها أصدقائي بالرغم منك .
 بلانتاجنت : لأقسمن بروحي أن ألبس أنا وزموتي إلى
 الأبد

هذه الوردة الشاحبة الغاضبة ،
 تذكرة لكرهي المتعطش للدماء ،
 إلى أن تدبل معي في قبري ؛ ١١٠
 أو أن تزهو باستراد اعتباري .

سافوك : اذهب . . إلى حيث يخنقك طموحك ؛
 وداعاً لإذن حتى نلتقي مرة ثانية . (يخرج)
 سمرست : خذني معك يابول . وداعاً ، يا رتشارد ،
 الطموح . (يخرج)

١١٥ بلانتاجنت : يا للتحدي . . ومع ذلك لا مناص من احتماله !
 وريك : هذه اللطخة التي ينتقصون بها بيتك ،
 سوف تمحي في دورة البرلمان القادم ،
 الذي دعي للتهادن بين ونشستر وجلوستر .
 ولن أكون جديراً باسمي ،

١٢٠ إذا لم يرد لك اعتبارك تحت اسم « يورك » .
 وحتى ذلك الحين سأضع على صدري ، بوصفي واحداً

من زمرك ،

هذه الوردة الجميلة رمزاً لحبي ومؤازرتي لك

ضد سمست المتعجرف ووليم بول .

وإني لأطلق هذه النبوءة هنا :

١٢٥

إن هذه المشاحنة التي جرت اليوم في حديقة

المعبد

سوف تؤدي إلى صراع بين الوردتين البيضاء

والحمراء .

يلقى بسببه في أتون الموت وسكونه الرهيب ألف

روح .

بلانتاجنت : أيها السيد الكريم فرنون ، إني مدين لك ؛

لاقتطافك زهرة من أجلى .

١٣٠ فرنون : ومن أجلك سأظل محتفظاً بها .

محام : وأنا أيضاً .

بلانتاجنت : شكراً ، سيدي الفاضل ،

هلموا أربعتنا إلى العشاء .

ولترو هذه المعركة بالدماء ، في يوم آخر .

(يخرجون)

الفصل الثاني المنظر الخامس

برج لندن

(يدخل مورتيمر محمولا في مقعد ؛ وبخانون)

مورتيمر : أى حارسىّ ، ما بقى من عمرى الواهى المتداعى ،
ناشدتكما الرحمة . . دعوا مورتيمر الذى
يحتضر يلقى الراحة هنا .
إنى لأشعر بأطرافي ، من طول السجن ،
وكأنما انتزعت الآن من آلة التعذيب :
وأن هذا الشيب الذى يسبق الموت .
والذى أشعله ، كما أشعل شعر نسطور^(١) ،
عمر من المتاعب والهموم ،
لبشير بنهاية آدموند مورتيمر .
وهذه العيون التى تبدو كصباح نغد زيتها
تذبل ويذوى بريقها مقربة من نهايتها .

١٠

(١) حكيم إغريقى ، شبح يضرب به المثل فى الشيخوخة والحكمة .

أكتاف حملت فوق ما تطيق أعباء الأسى ،
وسواعد واهية كالكرم الذابل تدلت أغصانه
الخالفة إلى الأرض :

غير أن هذه الأقدام ، التي أصابها الشلل ،
وفقدت بذلك القدرة على حمل هذه الكتلة
من الطين ، تكاد تطير بدافع الرغبة إلى القبر
بعد أن فقدت كل لون من ألوان الراحة .

ولكن خبرني أيها السجان هل أبني أختي آت ؟

السجان الأول : سيأتي ، رتشارد بلانتاجنت ، يا سيدي اللورد .
لقد أرسلنا إليه في المعبد ، في مقصورته ،
وجاءنا الرد بأنه قادم .

مورتيمر : كفى : فستقر عند ذلك نفسي .

يا للسيد المسكين ! لقد ظلم قدر ما ظلمت ،
فند بزغ نجم هنري مونموث ، وتولى الحكم
أقل نجمي العالي

وانتهيت إلى هذه العزلة الكريهة .

ومنذ ذلك الوقت نفسه دلف رتشارد إلى
الظلام

محروماً من شرف محتده وإرثه

أما الآن فإن مخلص البائسين والتعساء ،
الموت الحق على كل حي ، سوف يهيئ لي
سبيل الخلاص السعيد .

ولكم أرجو أن تنتهى متاعبه ، هو أيضاً ،
حتى يستعيد الذى فقد .

٣٠

(يدخل رتشارد بلنتاجنت)

السجان الأول : سيدى اللورد إن ابن أختك قد أقبل .

مورتيمر : رتشارد بلانتاجنت يا صديقى هل أقبات ؟

بلانتاجنت : أبجل يا خالى النبيل لقد جاء ابن أختك المحقر .

٣٥ مورتيمر : خذوا ذراعى حتى أستطيع أن أضمهما حول

عنقه ؛

وعلى صدره أألفظ آخر أنفاسى :

خبرونى عند ما تلمس شفتائى خده ،

حتى أستطيع أن أجتبيه بقبلة واهية .

والآن تحدث أيها الفرع الطيب من شجرة

« يورك » العظيمة

لماذا قلت منذ قليل إنك محقر ؟

٤٠

بلانتاجنت : أولا أسند ظهرك المسن إلى ذراعى ، لتستريح .

وعندئذ سأقص عليك قصتى ،

اليوم ونحن نتناقش في قضية ،
تبادلت أنا وسمرست بعض الكلمات :
فانزلق أثناءها لسانه ،

٤٥

فعابني بموت أبي وعيرني .
ففققد التعبير لسانی ،

ولإلا لرددت عليه إساءته .

فلةخبرني إذن ، أيها الخال الطيب ،

٥٠

حباً في والدي وفي شرف بلدنا: بنت

عن السبب الذي من أجله أطيح برأس أبي ،
إيرل كمبردج .

مورتيمر : هو نفس السبب يا ابن أختي العزيز ، نفس
السبب اللعين

الذي انتهى بي إلى السجن ،

وضيع على زهرة شبابي في جب كرية ،
أذوى فيه وأذوب . هو نفسه الذي أودى به .

٥٥

بلاذتاجنت : أفصح بربك عن السبب ؛

فلا علم عندي ، ولا أستطيع الخدس .

مورتيمر : سأفعل إذا سمحت لي أنفاسي الواهية .

ولم يأتني الموت قبل أن أتم قصتي .

إن هنرى الرابع جده هذا الملك ،
 قد خلع ابن أخيه رتشارد ، بن إدوارد البكر ،
 والوريث الشرعى للملك إدوارد ، ثالث ملوك
 الأسرة :

وفى أثناء حكمه رأت عشيرة « برسى »^(١) التى
 تقطن الشمال

أن هذا الاغتصاب جده ظالم ،
 فحاولت أن ترشحنى للعرش :

والسبب الذى دفع هؤلاء السادة المحاربين إلى
 ذلك

هو أننى عند ما نحى الملك رتشارد الشاب
 بهذه الطريقة

كنت أنا الذى أليه بميلادى وأبوى .

فن ناحية أمى أنحدر من ليونيل دوق كلارنس
 الابن الثالث للملك إدوارد الثالث ، بينما هو
 ينتمى إلى سلالة « جون جوننت »^(٢)

وترتيبه فى هذه السلالة الباسلة الرابع فحسب .

(١) عشيرة برسى : The Percies

(٢) جون جوننت : John of gaunt

ولكن تأمل : لقد جاهلوا في هذه المحاولة

العظيمة السامية ، ليقيموا الوريث الشرعى .

٧٥

فماذا كانت النتيجة ؟ !

فقدت حريتي وفقدوا حياتهم . . .

وبعد ذلك بزمان طويل ، عند ما ولى هنرى

الخامس الحكم بعد أبيه بولنبورك ،

جاء أبوك إيرل كامبردج

٨٠

وهو ينحدر من سلالة أدمنوند «لانجلى»^(١)

ذائع الصيت دوق يورك ،

وتزوج من أختى التى هى أمك .

وعطفا على حالى التسعة مرة أخرى

جمع جيشاً وأراد أن يفاك إسرائى ،

٨٥

ويضع التاج على رأسى ،

ولكن حظ هذا السيد النبيل

كان كحظ الآخرين :

فقد ضربت عنقه ؛

٩٠

وهكذا قمعت أسرة مورتيمر

(١) أدمنوند لانجلى : Edmund Langley

صاحبة الحق في التاج .

بلانتاجنت : وأنت يا سيدى المجد ، آخر سلالة هذه الأسرة ؟

مورتيمر : أجل . وها أنت ذا ترى أنه ليس لى خاف ،

وكلماتى الواهية إيدان بقرب موت أكيد .

٩٥

فأنت ورثتى ، وأترك لك بقية الأمر ؛

ولكن لتحرص غاية الحرص والحذر فى سعيك

العظيم ،

بلانتاجنت : إلى متقبل تحذيرك الرهيب ،

غير أنى لست أرى لإعدام أبى إلا عملا ظالما

مستبدا .

بالصمت يا بنى أحسن سياستك .

١٠٠ مورتيمر

إن بيت لانكستر ثابت الدعائم ،

راسخ كالجبل لا يمكن أن يزحزح ؛

لقد حان الحين ، ونخالك تارك دنياه ، راضح ؛

كما يروح الأمراء حين يغادرون بلاطهم ؛

وقد أعياهم السرف ، والترف ،

١٠٥

والملال من الإقامة المتطاوله فى مكان واحد .

بلانتاجنت : أيها الخال لو أستطيع أن أفدى عمرك بسنين
من شبابي لافتديتك . . . !

مورتيمر : إنما أنت بذلك تسيء إلى

كذلك القاتل الذي يطعن عدة طعنات

بينما الطعنة الواحدة كافية لتميت :

١١٠

لا تحزن ، إلا أن يكون في الحزن ما يفيدني .

حسبك أن تأمر بإعداد جنازتي :

أستودعك الله ولتكن حلوة أمانيك كلها ،

وموفقة حياتك في السلم والحرب ! (يموت)

فلتنزل على روحك الراحلة سكينه السلام

١١٥ بلانتاجنت

لا الحرب !

لقد قضيت في السجن حجة ،

وكنت كالناسك شديد الرغبة في أن تطول

أيامك فيه ،

والآن سأكم نصيحتك في صدري ،

وسأهدئ من جامح خيالي وتصوري .

أيها السجناءون احملوه من هنا ،

١٢٠

وسأعمل على أن يكون مأتمه خيراً من حياته .

(يحمل السجناءون جثمان مورتيمر)

لقد انطفأت شعلة مورتيمر الواهية .
 خنقها طموح من أدنأ الأنواع وأحطها .
 أما هذه المظالم ، وهذه الإساءات المرة ،
 التي ألحقها سمرست ببني ،
 فلست أشك في أني سأنتزع عنها ترصية شريفة .
 فلأعجل إذن إلى البرلمان ،
 فإما أن يرد إلى اعتباري وحق دمي ،
 أو أجعل من الشر المحيق بي ما يخدم أغراضى .
 (يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الأول

لندن — دار البرلمان

(بوق — يدخل الملك وإكستر وجلوستر ونشستر ووريك وسمرست وسافوك ورتشارد ثلاثاجنت . جلوستر يهيم بتقديم مشروع مرسوم . . ونشستر يخطفه ويمزقه .)

ونشستر : أتأتى بوثائق مكتوبة ، ومذكرات مدروسة

مدبرة ، ياهمفري جلوستر ؟

إذا أردت اتهامى ؛ أو توجيه أى اعتراض إلى ،

فلتفعل ذلك من غير تدبير ، وفى الحال

كما أفعل أنا ، عند ما أرتجل الإجابة

على اتهاماتك واعتراضاتك بمجرد توجيهها إلى .

جلوستر : أيها الكاهن المتعجرف ! إن هذا المكان يفرض

على الصبر والأناة .

وإلا لكنت رأيت مغبة إهانتك .

ولئن كنت أثرت تسجيل جرائمك الفاضحة

الحسيسة كتابة ،

فلا تحسبن أنى لفقت التهمة ،

١٠

أو أننى أعجز عن تكرار ما خطه قلمي كلمة
كلمة :

كلا أيها القسيس ، إن جرأتك وقحتك ،
وفسقك وفجورك ، وألاعيبك ومنازعاتك ،
قد بلغت من الشناعة

أن بات الصبية أنفسهم يثرثرون بعجرفتك .
أجل وإنك لمراب أثيم ،

١٥

الوقاحة طبيعتك ، وإنك لعدو للسلام .
وصفاتك البهيمية وخلاعتك ، واستهتارك ،
لا تتفق بحال مع منزلتك ، وكرامة منصبك ،
أما غدرك فأى شىء أبدى من ذلك وأظهر ؟

٢٠

لقد نصبت لى شركاً ، لاغتيال حياتى ،
مرة على جسر لندن ، ومرة فى البرج ؛
وأخشى ، فضلاً عن ذلك ، أننا لو تبينا
أفكارك

لما سلم الملك نفسه ، مولاك ، من الحقد الدفين
فى قلبك المترع بالشرور .

٢٥ ونشستر

: إني أهزأ بك ، يا جلوستر ،

وأنتم أيها اللوردات ، ناشدتكم الله
أن تستمعوا لما أقول ردا عليه .لو أنني كنت جشعاً طموحاً ، أو منحرفاً عن
الحق ،كما صورني ، لما أمكن أن أبلغ من الفقر هذا
المبلغ .وما بالي لا أعمل على تقدم مركزي أو رفعة
شأني ؟

٣٠

فلا أزال أحتفظ بمهنتي التي ألفتها من زمان .

أما المنازعات والشقاق

فننذا الذي يحب السلام أكثر مني ؟

اللهم إلا أن أستفز .

٣٥

كلا ، أيها السادة الأفاضل ،

ليس هذا هو مصدر ما يثيره ،

ليس هذا هو الذي يملأ قلب الدوق بالغیظ :

إن السبب الحقيقي هو أنه لا يريد أن يكون

لأحد سواه نفوذ ،

ولا يريد أن يكون أحد إلى جانب الملك . .
سواه .

هذا هو الذى يثير الرعود فى صدره ؛ ٤٠

ويجعله يزأر بهذه الاتهامات ؛
لكنه سوف يعلم أننى لست أقل منه .

جلوستر : لست أقل منى !

« أيها الابن الدعى غير الشرعى لجلدى !

أجل سيدي اللورد المبجل ، فمن بالله تكون ؟ ونشستر

إنك لست إلا عاتياً يستوى على عرش غيره ؟ ٤٥

ألمست الوصى أيها الكاهن السليط ؟ جلوستر

وألمست أنا أسقفاً للكنيسة ؟ ونشستر

أجل كطريد فى قصر يحتذى به ويدافع عم جلوستر

سرقه !

جلوستر ، أيها السيد ، غير المبجل ! ونشستر

أنت مبجل : جلوستر

بحكم منصفك الروحى لا بحكم سلوكك ، ٥٠

لسوف ترى روما علاجاً لهذه الحال ونشستر

روما . . هلم أرومها إذن ؟ ورياك

سمرست : سيدى اللورد كان من واجبك أن تصطنع الرفق

والأناة

وريك : نعم وأعمل على أن يخفف الأسقف من غلوائه .

سمرست ٥٥ : أحسب أن سيدى اللورد ديثن يعرف مكانة

هذا المنصب .

وريك : وأحسب أن يكون نيافته أكثر تواضعاً ،

فليس من اللائق بأسقف ، أن يندفع في

اتهاماته كما فعل .

سمرست : بل يليق به عند ما تمس قداسته عن قرب

كما حدث ،

وريك : قداسة أو لاقداسة . . أية أهمية لذلك ؟

أليس رفعته وصيا على العرش ؟

٦٠

بلانتاجنت : (جاناً) ينبغي لبلانتاجنت فيما أرى أن

يكف لسانه ،

لثلا يقال « تكلم يا غلام عند ما يجب الكلام ،

أينبغي أن تقحم نفسك بين اللوردات ؟ » ،

ولولا ذلك لأرسلت قذيفةً نحو ونشستر .

٦٥ الملك : عماى جلوستر وونشستر ،

وكلاهما حامي الوطن الإنجليزى الكبير ،

لو أن الدعوات تستجاب ،
لأمكننى أن أربط قلبيكما بالحب والمودة .
أية فضيحة للتاج ، أن يتشاحن نبيلان كبيران
مثلكما !

صدقوني أيها السادة النبلاء ،

٧٠

إننى رغم عمرى الغض ،
لأستطيع أن أتبين أن الشقاق الداخلى ؟
سوسة سامة تنخر أحشاء الوطن الكبير .
(أصوات من الخارج)

« ليسقط أصحاب الملابس السمراء النحاسية ! »
ما هذه الجلبة ؟

٧٥ وريث : فتنة فيما أعتقد

بدأها الحقد الذى يغلى فى صدور رجال
الأسقف ،

الصيحات مرة أخرى « حجارة .. حجارة ! »
(يدخل العملة)

العملة : أيها السادة الأجلاء ، سيدى هنرى ، صاحب
الساحة ،

رحمة بمدينة لندن رحمة بنا !

إن رجال الأسقف ، ودق جلوستر ،
وقد منعوا أخيراً من حمل السلاح ،
قد ملأوا جيوبهم بالحجارة والحصباء ،
وتجمعوا عصابات في جهات متقابلة ،
وأخذوا يترشقون بالحجارة .

٨٠

يقذفونها في سرعة نحو الرؤوس ،
وقد أصابت الحجارة جماجم الكثيرين :
وحطمت النوافذ في كل شارع ،
واضطربنا الخوف إلى إغلاق الحوانيت .

٨٥

(يدخل أتباع جلوستر وونتستر مشتبهين في مناوشات ورؤوس
العض دامية)

الملك : إننا نطلب إليكم ، بما عليكم لنا من واجب

الولاء ،

أن تكفوا أيديكم عن التناحر ، وأن تحفظوا
الأمم .

رجاؤنا إليك ، أيها العم جلوستر ، أن تسكت

هذا التشاحن .

٩٠

التابع الأول : إذا منعنا عن الحجارة فسنستخدم أنيابنا .

التابع الثاني : إن عزمنا ثابت ، وسنفعل كل ما في طوقنا .

(يتناوشون مرة ثانية)

جلوستر : أيها الأتباع دعوا هذا الشعب الطائش ،

فليس ذلك من عادتكم .

٩٥ تابع ثالث : سيدى إننا نعهد فى رفعتكم العدالة والاستقامة ،

وفى سبيل دمكم الملكى ، وفى سبيل منزلتكم
التي لا تعلو عليها منزلة غير منزلة صاحب
الجلالة ،

سنقاتل نحن وأزواجنا وأبنائنا إلى أن يذبحنا
أعداؤنا ،

حتى لا يتاح لدعى كهذا أن يهين مثل هذا
الأمير

١٠٠

وهو الوالد البر الرحيم للوطن الكبير .

تابع أول : أجل بل إن قلامة أظافرنا ستقاتل فى الميدان ،

بعد أن نوارى التراب ، كفوا ، كفوا !

(يشتبكون مرة أخرى)

وإذا كنتم تحبوننى ، كما تقولون ،

فاتستمعوا لقولى ولتمسكوا عن العراك ،

١٠٥ الملك : لكم يحز هذا الخلاف فى نفسى .

أفهل ترى دموعى وتسمع آهاتى

أيها اللورد ونشستر ثم لا تلين ؟

منذا يرق قلبه أو تفيض رحمته إذا أنت لم
تفعل ؟

وإذا كان رجال الكنيسة ، بقداستهم ،
يستهوهم الشغب والنزاع كما تفعلون ،

١١٠

فإنذا الذى يعنى بالسلم ويعمل للمحافظة عليه ؟

وريك : فلتدعن للأمر يا سيدى الوصى ،

وأنت أيضاً يا ونشستر ،

اللهم إلا إذا كنتم تريدان بعنادكما ، ورفضكما
أن تقضيا على الملك وتخربا المملكة .

١١٥

ألا تريان مدى الضرر بل القتل

الذى وقع بسبب عداوتكما ؟

كفأكما ذلك ولتهدها ، إلا إذا كنتم متعطشين
للدماء .

ونشستر : إما أن يخضع هو أو لا أسلم أبدا .

١٢٠ جلوستر : إن حنانى على الملك يدعونى إلى أن أطأ طئ

الرأس

ولولا ذلك لانتزعت قلب الكاهن من بين جنبيه

قبل أن ينال منى هذا النزول عن حقى .

وريك : ألا ترى يا سيدى اللورد ونشستر

في انبساط وجه الدوق وانفراج أساريره ،
أنه قد زايله غضبه الذي لم يرو ومزاجه المكفهر ؟
فلماذا يظل وجهك متجهماً ترسم عليه علامات
الأسى ؟

١٢٥

جلوستر

: إليك يدي يا ونشستر . .

الملك

: ويحك أيها العم بوفرت لقد سمعتك تعظ

فتقول إن الحق قد ذنب عظيم وحريرة لا تغتفر .
أنهى عن خلق وتأتى مثله ، .

١٣٠

وريك

مخالفاً بذلك التعاليم التي تدعو إليها أنت نفسك ؟ !
: أيها الملك النقي السريرة ، إن عتابك الأسقف
وتأنيبك إياه مشرب بالعطف !

سيلدى اللورد ونشستر عار ، وأيم الحق ، ألا
تلين عريكتك .

١٣٥

عجيب والله أمرك ، أفيرشدك طفل إلى ما ينبغي
أن تفعل ؟

ونشستر

: أيها الدوق جلوستر ، سأسلم لك .

وسأبادلك ، حبا بحب ، ويداً بيد ،

جلوستر

: (جاءاً) نعم ولكنني أخشى أنها ليست صادقة
صادرة من القلب .

- (بصوت مرتفع) اشهدوا أيها الأصدقاء ،
 والمواطنون المخلصون ،
 هذا رمز الهدنة بيننا ، فليشهد كل التابعين لنا ، ١٤
 وليكن الله في عونى فما أنا بالمنافق !
 ونشستر : (جازاً) ليكن الله في عونى فما أنا بالجاد !
 الملك : أيها العم المحب ذو القلب الطيب ، دوق جلوستر ،
 ما أسعدنى بهذا التعاهد !
 انصرفوا أيها السادة ! ولا تعكروا الصفو مرة ١٤٥
 أخرى ؛
 بل تصاحبوا فى مودة كما فعل سادتكم .
 التابع الأول : حمداً لله : سأمضى إلى الطبيب
 التابع الثانى : وأنا كذلك
 التابع الثالث : أما أنا فإلى الحانة لأرى أى صنف دواء يمكن
 أن تقدمه لى (ينصرف العمدة والأتباع)
 وريك : أيها الملك الأكرم رجونا منك أن تقبل هذا
 الملف
 الذى نقدمه لجلالتكم بشأن حق رتشارد بلانفاجنت . ١٥٠
 جلوستر : بورك فى مسعاك يا سيدى اللورد وريك :

وأنت أيها الأمير الشاب
لو أنك درست كل الظروف
ونخاصة تلك التي حدثت بجلالتكم عنها في
ميدان «إلثم»^(١).

١٥٥

لكان لديك أكثر من سبب لإنصاف رتشارد
وتلك الظروف يا عمي كانت قهرية :

الملك

لذلك فإننا نرى أيها السادة الميامين
أن نرد إلى رتشارد اعتباره فتعيد إليه حقه ،
الشرعى .

وريك

١٦٠

: فليعد الى رتشارد حقه الشرعى
وبذلك نعوضه عن المظالم التي استهدف لها أبوه.

ونشستر

: وإني أنادى بما ينادى به الآخرون .

الملك

: وإذا أخلص رتشارد فلن يحصل على ذلك

فحسب ،

بل سنمنحه كل ميراث بيت يورك الذى
تنحدر أنت منه .

بلانتاجنت

١٦٥

إن خادمكم المطيع يعاهدكم على الطاعة
والبذل والخدمة والخضوع حتى الموت !

الملك

: فلتركع إذن . ضع ركبتك إزاء قدمي .

وحزاء لك على أداء هذا الواجب

سأمنطقك بسيف يورك البتار :

فلتهض ، يا رتشارد ، كأى من آل بلانتاجنت

أصيلا .

انهض فقد جعلناك « صاحب السمو اللدوق

يورك »

١٧٠

بلانتاجنت

: لك العزة يا رتشارد . ولخصومك الهوان .

والآن ، وأنا أزداد لكم إجلالا ، أدعو بالويل

على كل من تخطرب بنفسه خالجة حقد على

جلالتكم .

الكل

: تهانينا ، أيها الأمير السامى . يا دوق يورك

العظيم !

: (جلدا) الهلاك لك ، أيها الأمير الحقير ،

يا دوق يورك !

١٧٥ سمرست

جلوستر

: لعل من الخير لجلالتكم

أن تعبروا البحر لتتوجوا فى فرنسا :

فوجود الملك بين رعاياه المخلصين له ،

يولد الحب ، ويقهر العدى .

١٨٠ الملك

: إذا قال جلوستر فعل هنرى .

فالنصيحة الصادقة فيها اندحار العدو .

جلوستر

: إن سفنك على استعداد تام متأهبة للسفر .

(بوق - يخرجون جميعاً عدا لكستر)

لكستر

: حقاً إننا قد نسير فى إنجلترا أو فى فرنسا ،

دون أن نتنبأ بما يحتمل أن يكون .

١٨٥

إن هذا النزاع الناشب أخيراً بين السادة

نار تشتعل تحت رماد سطحى من الحب

المزيف

ولسوف تشب فى النهاية ويشتعل أوارها :

وكما لا يفسد اللحم الحى الموبوء إلا شيئاً فشيئاً ،

إلى أن يتلاشى العظم واللحم والعضلات ،

فعلى هذا النحو سوف ينتهى أمر هذا النزاع

الوضيع المشبع بالحقد . . .

١٩٠

لكم أخشى تلك النبوة المشؤمة

التي من هولها حرمت الطعام

حتى على كل رضيع فى عهد هنرى الخامس .

وهى أن هنرى الذى يولد فى « مونموث »^(١) يظفر

بكل شىء

وهنرى الذى يولد فى وندسور يفقد كل شىء :
 ألا إن صدقها والله ليين ، بحيث يتمنى إكستر
 أن يحين أجله قبل أن يحل ذلك اليوم المشئوم
 (يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

فرنسا — أمام روان . . .

(تدخل لاپوسل متنكرة ومعها أربعة حنود يحملون أكياساً فوق ظهورهم)

لاپوسل : هذه هى أبواب المدينة ، أبواب روان ،

التي ينبغي أن نحتال على دخولها ،

فلتأخذوا الحذر والحيلة عند اختيار ألفاظكم ؛

تكلّموا كما لو كنتم من السوق ،

الذين يبيع حنطتهم . .

فإذا قدر لنا الدخول — والمأمول أن نفعل —

ووجدنا تهاوياً فى الحراسة ، وثغرة ضعيفة

نفذ منها ،

فسأنبه أصدقائنا بإشارة ؟

حتى يلاقهم شارل ولى العهد

١٠ الجندى الأول : ستكون أكياسنا وسيلة لنهب المدينة

ومن ثم نملك زمام روان ونحكم فيها .

فلندق الأبواب (دقات)

حارس : (من الداخل) من هناك ؟

پوسل : فلاحون فقراء من أهل فرنسا ؟

باعة مساكين جاءوا لبيعوا غلالهم ،

١٥ حارس : (يفتح الباب) ادخلوا ، لقد دق جرس البوق

پوسل : الآن ياروان سأدق حصونك دقا وأحيلك تراباً

(يدخلون)

(شارل ، ودعى أورليان وألسون ورئيسه وقوات يقتربون)

شارل : أيها القديس دنيس بارك هذه الخطة الموفقة !

فلسوف ننام آمنين مرة أخرى في روان .

الدعى : لقد دخلت پوسل هي والمتآمرون معها من هنا ،

٢٠ ولكن كيف تعين لنا ، وهي في الداخل ،

أصلح مكان ننفذ منه ، وآمنه ؟

رينيه : سترفع لنا شعلة من ذلك البرج الذي هناك ؟

فتى لمناها كان معنى ذلك

أن المكان الذي دخلته

٢٤ أنسب الأمكنة من حيث ضعف الحراسة .

(تدسل لاپوسل على القمة رافعة شعلة تلتهب)

پوسل : انظروا هذه هي شعلة القرآن المباركة

التي سوف تجمع بين روان وأهلها،
ولكنها نذير سوء المآل « لتالبوت » وأنصاره !
(تسحب)

الدعى : انظر أيها النبيل شارل : إشارة أصدقائنا . . .

٣٠

الشرعة الملتهبة تظهر في ذلك البرج البعيد .
شارل : ألا فلتضئ الآن وكأنها كوكب النجمة
المذنب ،

ولتكن النذير بسقوط جميع أعدائنا !

رينيه : لا تضيعوا وقتاً ، ولا تتأخروا

فالتأخير وخيم العواقب ؛

ادخلوا على الفور ولتكن صيحتكم « ولى العهد » ،

٣١

ثم اقتتلوا الحرس .

(يوق نداء السلاح . يهاجمون الباب في عنف)

(يدخل تالبوت في هجوم من الداخل)

تالبوت : لسوف تندمين ، يا فرنسا ، على هذه الخيانة ،

وتسفعين من أجلها الدمع السخين ،

إذا قدر لتالبوت أن يعيش ويقضى على خيانتك .

لقد دبرت بوسل الساحرة اللعينة هذه المكيدة

٤٠

وأنزلت بنا هذا الشر المباغت ،

الذى كاد يودى بنا ، إرضاء لكبرياء فرنسا .

(يحارب متراحماً)

(دقة . هجوم . يرى بدفورد مريضاً محمولا على مقعد ، ومن ورائه تالбот وبرجندي منسحبين : ومن الداخل يظهر على الأسوار لادوسل وشارل والدعي والنسون ورينييه

پوسل : يومكم مجيد ، أيها البواسل !

أنتشرون حنطة الخبزكم ؟

أكبر ظني أن الدوق برجندي سيؤثر الصوم ٤٥

على أن يشتري مرة ثانية بهذا الثمن الفادح ؟

لقد كيلنا لكم كيلا خاسراً ، فكيف وجدتم

المذاق ؟

برجندي : اهزئي ما شئت أيها الشريرة الفاجرة ؟

فلسوف أجعلك عما قريب تختنقين بطعامك ،

ولتلعنين القمح ، ويوم عرفت القمح ، ٥٠

شارل : أخشى أن رفعتكم تموتون : دعاً قبل ذلك .

بدفورد : الأعمال لا الأقوال سوف تثار لهذه الخيانة ؟

پوسل : ما الذى أنت صانع يا ذا اللحية العتيقة ؟

أتكسر رجحاً أم تسدد سهماً صائباً للموت

وأنت محمول على مقعدك ؟ ٥٥

تالبوت : يا شيطانة فرنسا المريدة ! أيتها الساحرة الشريرة
المطوقة بعشاقها الفساق !
أأنت التي تعيرين هذا الشيخ الباسل الفانى
بالجن ؟

لألقينك مرة أخرى أيتها العذراء
ولا فليمت تالبوت بعاره .

٦٠

بوسل : ألهذا الحد أذت حاد المزاج . . يا سيدى ؟
ومع ذلك الزمى الهدوء يا بوسل
وإلا فالويل لك من تالبوت ، إنه إذا ما أرعد
فما على المطر إلا أن ينهمر .
(يتهاوس الإنجليز متشاورين)

٦٥ وفق الله البرلمان ! من يا ترى سيكون رئيس
المجلس ؟

تالبوت : إن كنتم تجرءون على التقدم فهيا إلى الميدان ؟
بوسل : يبلو أن سيدى اللورد يعدنا من السذج البلهاء .
أينتظر منا أن نتجادل فيما بيننا أهو ملك لنا
أم ليس ملكاً ؟

تالبوت : أنا لا أوجه الخطاب لهذه السحارة العيارة ،
(٨)

هيكيت (١)

وإنما أوجهه لك يا ألسون أنت ورفاقتك

٧٠

تقدموا كما يتقدم الجنود إلى ميدان القتال ؟

ألسون . : كلا يا سيدى

تالبوت : تباً لكم يا أوغاد فرنسا !

تلوذون بالأسوار كغلمان الريف ،

ولا تخرجون على القتال .

٧٥

بوسل : هلموا نبرح الأسوار أيها القادة ؟

إذ ليس في عيون تالبوت غير الشر .

وداعاً أيها السيد ! ما جئنا إلا لنتنبك

بأننا هنا (ينزل الفرنسيون من على الأسوار)

تالبوت : وكذلك سنكون نحن هناك . . عما قريب ،

ولأفليخساً اسم تالبوت وايكلل العار

٨٠

أروع ما نال من فخار ،

لنقسمن يا برجندى بما لبيتك من شرف مؤئل

قسماً تؤكدك النكبات التي حلت بنا في فرنسا

وتستحثه ،

أن تسترد المدينة أو أن تموت دونها .

أها أنا فقسما بحياة هنرى ملك إنجلترا
وبحياة أبيه وفتوحه هنا ، وبحق قاب الأسد
العظيم ،
المدفون فى هذه المدينة ، التى كانت موقع
الغدر أخيراً ،
بحق هؤلاء جميعاً لأستردن المدينة أو أموت
دون ذلك .

برجندى

: إن أيمانى لصنو لإيمانك وقسمى حليف لقسمك
: ولكن قبل أن نبرح ، لنرع هذا الأمير وهو على
فراش موته :

تالبوت

الدوق بدفورد الباسل . هيا يا سيدى اللورد ،
سنهيه لك مكاناً أكثر ملائمة لمرضك
وشيعخوختك .

بدفورد

: بربك لا تعجل شرفى بالعار يا سيدى اللورد
تالبوت :

سأظل هنا أمام أسوار روان
وسأكون شريكاً لكم فى سرائكم أو ضرائكم .
: ليكن فى قولنا ما قد يقنعك ، أيها الباسل
بدفورد ،

برجندى

بدفورد

: لن أبرح مكاني ، فلقد قرأت مرة

أن بندراجون^(١) الباسل حمل إلى ميدان القتال

مريضاً في محفته ، فانتصر على أعدائه :

وأحسب أن وجودي هنا سيبعث الحمية في قلوب

١٠٠

الجنود

الذين وجدتهم دائماً على شاكلي .

تالبوت

: يا للروح الذي لا يفنى في صدر الفاني !

لك إذن ما تريد : واترعلك السموات

وتنشر عليك أمنها وسلامها !

فلنكتف بهذا أيها الشجاع برجندي ،

١٠٥

ولنجمع شتات قوانا ،

ثم لننقض على عدونا المفتون بنفسه

(يخرجون جميعاً ماعدا بدفورد وأتباعه)

(دق طبول : هجمات . يدخل سير جون فولستاف وضابط رتبة كابتن)

كابتن

: إلى أين تمضي بمثل هذه السرعة يا سير جون

فولستاف ؟

(١) أبو آرثر الملك البريطاني الأسطوري القديم الذي حيكت حوله طائفة من القصص أو هو لقب يطلق بمعنى قائد القوات أو مرشد الملوك .

فولستاف : إلى أين ؟ لأنجو بنفسى فى الفرار النجاة . .

يبدو أننا سنلقى الهزيمة مرة أخرى . ١١٠

كابتن : يا لله ! أتفر وتترك لورد تالبوت ؟

فولستاف . بل أترك كل « التلابيت » التى فى العالم . .

أتركها لأنجو بنفسى ! (يسرع متعداً)

كابتن : ألا تعساً لك أيها الفارس الرعديدا ! (يخرج)

(دقات تنبؤ بتقهقر : هجمات يظهر بعدها لايومل وأنمون وشارل وهم يفرون)

بدفورد : الآن أينما النفس المطمئنة ارجعى متى شاء لك

الله أن ترجعى

فلقد شهدت انهزام أعدائى

١١٥

يا لحماقة الإنسان ! ما ثقته بمضاء عزمه وبقوته ؟!

أولئك الذين كانوا منذ قليل يسخرون من

غيرهم فى قحة وحرأة ،

قد باتوا يلودون بالهرب فرحين بنجاتهم ^(١)

يموت بدفورد . يحمله اثنان على مقعده

طبل . تالبوت ورجندى وبقية رجالهم يحيون من المدينة

تالبوت : خسرتها ونسرتها فى يوم واحد !

(١) اخلط المعروف عند شيكسبير - فالمعروف أن بدفورد مات بعد جان (بومل)

بأربعة أعوام .

وأيام الحق إن هذا لشرف مضاعف يا برجندى :
 ١٢٠
 لنُدع للسّموات بالمجد من أجل هذا النصر !
 : أيها المحارب المقاتل المجيد ، تالبوت .

برجندى
 إن برجندى ليضعك في مكان مقدس من قلبه .
 ويقيم فيه لفعالك النبيلة تماثيل للشجاعة : ورموزاً
 للبسالة .

تالبوت : شكراً لك أيها اللّوق الطيب ولكن أين بوسل
 الآن ؟ ١٢٥

إن شيطانها فيما أظن نائم :
 وأين مغامرات الدعى وتمكّمات شارل ؟
 أكلها هكذا تبخرت ؟ إن روان لتمحنى رأسها
 حزناً :

أن تولى مثل هذه العصبة الباسلة فراراً .
 والآن . . لنقر النظام في المدينة ؛ ١٣٠

تاركين فيها بعض الضباط المحنكين
 ثم لنبرح بعد ذلك إلى باريس للقاء الملك
 الشاب هنرى ،

الذى يقيم مع حاشيته .
 : إن مشيئة اللورد تالبوت يقبلها برجندى مسروراً . برجندى

: ومع ذلك يحمل بنا قبل أن ننصرف

ألا ننسى النبيل المغفور له اللوق بدفور،

وأن نقيم له مراسم مأتمه في روان .

فالميادين لم تعرف جندياً أشجع منه ولا أمضى سناناً،

ومقاعد الحكم لم تعرف قلباً أطيب منه في

ممارسة سلطته ؛

ولكن الموت نهاية كل حي ،

نهاية الملوك ونهاية أصحاب الحول والطول والسلطان ؛

فبالموت يطوى شقاء الإنسان

(ينحرون)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

السهول بالقرب من روان . . .
(يدخل شارل ودعى أورليان وأنسون ولايوسل وقوات)

پوسل : لا يستولين عليكم أيتها الأمراء ،
ولا تفتر منكم الهمم بسبب هذا الحادث ،
لا تحزنوا أن استرد العدو روان :
فالخزن ليس علاجاً وإنما هو بلاء إذا كان
على ما لا علاج له .

لينتصر نابوت بوحشيته هنيهة ،
ولينشر كالتاوس ذيله ؛
فلسون ننتف ريشه وننتزع ذنبه الطويل .
إذا شاء ولي العهد ، والآخرون ، أن يمثلوا
لأمرى .

شارل : لقد أسلمنا لك قيادنا حتى الآن ،

ولم نفقد ثقتنا بدهائك :

وهزيمة واحدة مباغتة لا يمكن أن تزعزع هذه
الثقة .

الدعي : ابجئي عما في زوايا ذهنك من خطط سرية
ولك علينا أن نملأ الآفاق باسمك .

النسون : سننصب لك تمثالا في بقعة مقدسة ،

وسنجعلك مع الإجلال كقديسة مباركة ،
لتعكفي إذن على خدمة مصالحنا أيها العذراء
الحبيبة .

بوسل : إليكم الخطة وهكذا لا بد أن يكون : وهذا هو
تدبير جان :

بالإغراء الحلاب والكلام المعسول

سنستميل الدوق برجندي

حتى يتخلى عن تابوت وينضم إلى صفوفنا .

شارل : نعم الرأي أيها الفتاة الغالية ،

لو استطعنا أن نفعل ذلك لطهرنا أرض فرنسا

من جنود هنري ،

ولأوقفنا هؤلاء الإنجليز عن أن يفخروا علينا

ويتعالوا ،

بل لاقتلعناهم اقتلاعاً من أقاليم فرنسا .

٢٥ أنسون

: ألا فليطردوا من فرنسا إلى الأبد

فلا تبقى لهم هنا إمارات أو إقطاعات ؛

پوسل

: لسوف ترون ، أيها السادة الأماجد

كيف أعمل لتحقيق هذه الغاية المرجوة

(يسمع دق طول من بعيد)

أنصتوا ! إنه ليتين لكم من صوت الطبول

أن قواتهم تسير صوب باريس ،

٣٠

(هنا تسمع موسيقى نشيد إنجليزى . يدخل ويمر من بعيد تالوت وقواته)

ها هو ذا تالوت بأعلامه المنشورة

يسير وجنده الإنجليز من ورائه ،

(موسيقى نشيد فرنسى ! يدخل دوق برجندى وقواته)

وفى المؤخرة يحىء الدوق ورجاله ؛

الحظ يواتينا بأن جعله فى المؤخرة ،

لتنفخوا فى البوق لمحادثة العدو وستكلم معه .

٣٥

(ينفخ فى البوق لمحادثة)

: محادثة مع دوق برجندى !

شارل

: من يطلب المحادثة مع برجندى ؟

برجندى

- ٣٠ : شارل أمير فرنسا واحد من أبناء وطنك ،
 : ما الذى تريده يا شارل ؟ فأنا سائر فى طريقى .
 شارل : تكلمى يا بوسل واسحرىه بألفاظك .
 ٤٠ : أيها ، الهمام برجندى ، يا أمل فرنسا المحقق !
 : قف بالله وأنصت إلى خادمتك المتواضعة .
 : تكلمى ولا تطيلى فتملى .
 بوسل : أرفق ببلدك ، انظر إلى فرنسا الحصيبة ،
 ٤٥ وتأمل هذه المدن والبلدان التى غير معالمها
 الخراب والهلاك بفعل العدو الذى لا يرحم ،
 انظر إليها كما تنظر الأم إلى رضيعها المحتضر ،
 عند ما يسبل الموت عينيه الرقيقتين الداويتين ؟
 انظر إلى ما تعانيه فرنسا من داء عضال ،
 ٥٠ تأمل تلك الجروح ، الجروح الشاذة بل الممعة
 فى الشدوذ
 التى أحدثتها أنت نفسك بصدرها الحزين
 ألا فلتوجه سيفك الماضى وجهة أخرى ،
 اضرب به البغاة لا الذين يقفون فى وجه البغى ،
 قطرة واحدة من الدم ينزفها صدر وطنك
 ٥٥ حرية أن تحزنك أكثر مما تحزنك أنهار الدماء

الأجنبية .

ألا فلتعد ، إذن ، واذرف الدمع مدراراً ؛

لتغسل به ما لحق وطنك من عار .

برجندي : إما أن تكون قد سحرتني ألفاظها ،

أو أن الطبيعة فجأة قد ألانت قلبي .

٦٠ بوسل : بل إن فرنسا والفرنسيين جميعاً يجأرون بالشكوى

منك

متشككين ^(١) في شرعية مولدك وأصلك ،

فما البلد الذي آثرت أن تنضم إليه

سوى بلد يريد أن يسيطر ويسود ؛

فلن يثق بك ألا من أجل نفعه .

٦٥ إن تالбот بمجرد أن تثبت أقدامه في فرنسا ،

بعد ما جعل منك أداة للأذى ،

إن ينصب إلا هنري الإنجليزى حاكماً علينا

وسيداً .

وبذلك تخرج أنت من وطنك لتدخل في زمرة

اللاجئين الطريدين .

(١) إشارة مستحيلة تاريخياً لأن تحالف برجندي مع إنجلترا كان سببه قتل رجال

شارل السابع لوالده .

ارجع قليلا إلى ذاكرتك وتأمل فيما أسوقه من
برهان .

٧٠

أو لم يكن الدوق أورليان عدوك ؟

أو لم يكن أسير إنجلتر ؟

ألم يطلقوا سراحه عند ما علموا أنه عدوك

حق دون أن يدفع فدية ؟

رغم أنف برجندى وجميع أصدقائه ؟

ألست ترى أن قتالك لبنى وطنك

٧٠

وانضمائك إلى العدو ، فيه القضاء عليك ؟

ولسوف يستقبلك شارل والباقون بصدر رحب

وأذرع مرحبة .

برجندى : لقد غلبت على أمرى . إن كلماتها ذات الوقع

الشديد

أصلتنى ناراً حامية كالقذائف المدوية ،

هزت كيأني وكادت تلقى بى مستسلماً على

٨٠

ركبتى .

صفحك أيها الوطن ، وصفحاً أيها المواطنين

الأعزاء .

وأنتم أيها السادة تعالوا إلى صدرى أضمحكم فى

رفق وفي إخلاص ؟

إن قوائى وسلطانى تحت أمركم .

الوداع يا تالبوت ، لن آمن لك بعد اليوم .

: (جافيا) فرنسى أصيل ! يدور ثم يدور

: مرحى أيها الدوق الباسل ! إن صداقتك

لتجدد قوانا .

: وتبعث فى صدورنا الشجاعة من جديد .

: لقد أدت بوسل دورها بشجاعة ،

ولهذا تستحق تاجاً من الذهب .

: فلنمض أيها السادة فلحق بجيوشنا

ونر كيف يكون نبيلنا من العلو .

(يخرجون)

٨٥ بوسل

شارل

الدعى

النسون

٩٠ شارل

الفصل الثالث

المنظر الرابع

(يدخل الملك وجلوستر وأسقف ونشستر وسافوك وسمرت ووريك وإكستر وفرانك وباسيت وآخرون يتقدم نحوهم تالبوت وجنوده .)

تالبوت : أيها الأمير المجيد ، والسادة الأشراف :

عند ما سمعت بمقدمكم إلى هذا البلد ؟

عقدت هدنة لأقف حروبي ،

حتى أؤدي واجبي نحو مليكي ،

ورمياً لهذا الغرض أرفع ذراعي هذه

التي استردت لإمرتك خمسين حصناً

واثنى عشرة مدينة ، وسبعة بلاد حصينة مسورة ،

فضلاً عن خمسمائة أسير كبير المقام .

ثم هاهي ذى تلقى بهذا السيف تحت أقدامكم

الملكية .

وتعلن في خضوع وولاء وإخلاص ؛

أن ما أحرزته من مجد ونصر ،

يرجع أولاً لله ومن بعده لجلالتكم . (يركع)

الملك : أهذا ، يا عمه ، هو اللورد تالبوت

الذي يقيم في فرنسا من زمان طويل ؟

١٥ جلوستر : أجل يا مولاي أعزك الله .

الملك : مرحباً بك أيها القائد الباسل المظفر !

عند ما كنت صغير السن (وما أظنني كثرت

بعد) .

أذكر ما كان يقوله أبي عنك ،

من أنك أبسل من ضرب بالسيف .

٢٠ لقد تحقق لدينا منذ زمن طويل أنك أمين ،

وبلونا إخلاصك في الخدمة وجهادك في الحرب ،

ومع ذلك لم تذق بعد منا حلو الجزاء ،

ولما تكافأ حتى بكلمة شكر ؛

وذلك لأننا لم نر حتى اليوم وجهك :

٢٥ انهض إننا ننعم عليك بأن نجعلك إيرل

شروزبرى

وليكن لك مقامك ومكانك في حفل تتويجنا .

(يوق . يخرج الجميع عدا فرزون وباسيت)

فرنون : يا سيلدى يا من كنت في البحر شديد الوطأة على ،

مهيناً الشعار الذى أرتديه ،

إجلالا لسيدى النبيل لورد يورك ،

أتجراً الآن على أن تثبت على

ما تفوهت به من قبل من كلمات ؟

٣٠

باسيت : نعم يا سيدى كما تجرؤ أنت على نشر لسانك

النابح بالحقد والضغينة والقحة

فى حق سيدى اللورد سمرست .

٣٥ فرنون : لئننى يا هذا ، احترم سيدك على قدر مقامه

وما استحق .

باسيت : وماذا هو ، إنه لا يقل فضلاً عن يورك .

فرنون : اسمع إنه ليس كذلك : وإليك الدليل (يلمظه)

باسيت : أيها الصعلوك أنك تعرف قانون السلاح ،

فالذى يسلم السيف جزاؤه الموت ؟

٤٠ وإلا كان ثمن هذه اللطمة إراقة دمك الغالى

عليك .

فليس لى إلا أن أذهب إلى جلالة الملك ،

لأناشده الإذن بأن آخذ بالثأر (١) .

(١) من عادة النبلاء فى هذا العصر ألا يقاتل بعضهم بعضاً إلا بإذن من الملك .

عندئذ سوف ألاقيك وأناقشك الحساب .
 فزون . : ستجدنى هناك أيها اللثيم فى انتظارك،
 وبعد ذلك سألقاك بأسرع مما تظن . .
 (مهرجان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

نفس المكان

(يدخل الملك وجلوستر وأسقف ونشستر ويورك وسافوك وسمرست ووريك وتالبوت وإكستر ومحافظ باريس وآخرون .)

جلوستر : أيها السيد الأسقف فلتضع التاج فوق رأسه .
ونشستر : يحيا الملك هنرى فيمن سمى من الملوك هنرى
هو سادسهم .

جلوستر : والآن يا حاكم باريس
عاهدنا ألا تنتخب ملكاً غيره . (المحافظ يركع)
ولا تتخذ من الأصدقاء ، إلا من كان صديقه له ؛
ولا تتخذ علواً إلا من عاداه أو دفعه الحقد
للعمل ضد مليكه :

فإذا ما فعلت ذلك كان الله الحق عوناً لك !

(يدخل سير جون فولستاف)

فولستاف : مولاي — أعز الله ملكه — عند ما كنت

في طريقى قادماً من « كاليه »

على جناح السرعة لأشرف بشهود حفل تتويجكم ،
سلم إلى كتاب موجه إلى جلالته ، من اللوق
برجندى ،

١٠

تالوت : خست أنت واللوق برجندى

لقد أقسمت أيها الفارس الوضع ، حينما ألقاك
ثانية ،

أن أمزق ربطة الساق^(١) من ساقك الذليلة

(يمزقها)

وهأنذا قد فعلت ،

١٥

لأنك نصبت في هذه المنزلة الرفيعة دون

أن تستحق ،

أستمحيك العفويا أميرنا هنرى وأنتم أيها السادة :

في موقعة « بواتيه » ولم تكن قوائى تزيد على

سنة آلاف ،

في الوقت الذى كاد الفرنسيون فيه يكونون عشرة

أضعافنا ،

وقبل أن يلتحم الجيشان ، أو تسدد طعنة واحدة ،

٢٠

(١) ربطة الساق شارة السلاء وعليها يظهر مقامه وشعاره بين الفرسان .

فر هذا النذل الخسيس فرار بجبان رعديد،
وخسرنا في المعركة ألفاً ومائتين من الرجال ،
وأخذت أنا وغيرى من السادة على غرة فوقعنا
في الأسر .

فلتحكموا إذن ، أيها السادة الأجماد ،
هل أنا على حق ، أو هل ينبغي لمثل هؤلاء
الجبلاء ،

٢٥

أن يحملوا وسام الفروسية ؟ نعم أو لا ؟
جلوستر : الحق أن هذه الموقعة كانت فضيحة ،
لا تليق برجل من العامة ، فإياك بفارس ،
وقائد ، وزعيم .

تالبوت : الأصل في إنشاء هذا الوسام أيها السادة
أن يكون فرسان ربيعة الساق ، من دوحة
نييلة ،
بواسل ذوى فضل ، قد ملئت قلوبهم جرأة
وشجاعة
واكتسبوا في الحروب حسن السمعة وجلال
الهيبة .

٣٠

لا يخافون الموت ، أو ينكلون عن اقتحام
الشدائد .

ولا يحول دون مضاء عزيمتهم حائل مهما
عظم . .

٣٥

فإذا لم تتوافر هذه الصفات في حامل الوسام ،
فهو ليس إلا مغتصباً لاسم الفارس المقدس ،
مدنساً هذا الوسام الرفيع .

وينبغي — إن أكن أهلاً للحكم —
أن يجرد تماماً من هذا الشرف ،

٤٠

متله في ذلك كمثّل القروى بالخلف
الذى يدعى ويتفاخر بنبل المحتد .

الملك : تلك وصمة لمواطنيك ! امثّل لقضائك !

احزم أمتعتك يا من كنت فارساً :
فقد نفيناك من أرض الوطن ؛

٤٥

وإذا سولت لك نفسك العودة فستجد الموت في
انتظارك . (يخرج فوليستاف)

والآن يا سيدى الوصى ،

أطلعنا على مضمون كتاب عمنا الدوق برجندى .

جلوستر : ما الذى يقصده رفعتة بتغيير أسلوبه فى خطابه؟
إنه يقول ببساطة ، وفى وضوح ، ومن غير
حرج « إلى الملك » .

٥٠

أنسى أنه مليكه ؟
أم إن وراء هذه اللهجة الفظة
تغيراً فى صفاء النية ؟
وما هذا ؟ (يقرأ) « لأسباب خاصة
واشفاقاً على وطنى الذى حل به الخراب ،
واستجابة للشكاوى الأليمة التى تستدر العطف
من أولئك الذين ألح عليهم طغيانكم ،
قررت أن أهجر جانبكم المعتدى ،
وأن أنضم إلى شارل ملك فرنسا الشرعى »
يا للخيانة العظمى ! أيمكن أن تقع فى تاريخ
المحالفات والمحبة والعهود والمواثيق
على مثل هذا الغدر والخديعة ؟

٥٥

٦٠

الملك : ماذا أسمع ؟ أيجنح عمى برجندي إلى العصيان ؟
جلوستر : أجل يا مولاي وقد أصبح من أعدائك .
الملك : أهذا أسوأ ما يحويه هذا الكتاب ؟
جلوستر : أجل يا مولاي أسوأ ما فيه وكل ما اشتمل عليه .

٦٥

الملك : إذن فليتول اللورد تالبوت مناقشته الحساب .

ما رأيك أيها اللورد ؟ أأست راضياً ؟

تالبوت : راض يا مولاي ! أجل ولو كنت منعنى

لرجوت أن أتولى هذه المهمة .

٧٠ الملك : لتجمع إذن قواتك ولتسر على الفور للملاقاة ؛

واجعله يدرك مدى سخطنا على خيانتة .

ويقدر إساءته واستهزائه بأصدقائه حق قدرهما .

تالبوت : سأذهب يا مولاي تحدوني رغبتى العميقة

فى أن أريك الارتباك يحل بصرفوف أعدائك .

(يخرج)

(يدخل فرنون وباسيت)

٧٥ فرنون : امنحنى يا مولاي المعظم حق التزال .

باسيت : وأنا أيضاً يا مولاي امنحنى هذا الحق .

يورك : هذا خادمى فاستمع إليه ، أيها الأمير النبيل .

سمرسيت : وهذا رجلى أيها الملك فامنحه عطفك .

الملك هنرى : مهلاً أيها السيدان وامنحاهما الفرصة للكلام .

٨٠ تكلموا أيها السيدان ، ما الذى جعلكما تصيحان

بهذه الصورة ؟

ولماذا تطلبان حق التزال ؟ ومع من ؟

فيرنون : معه يا مولاي فقد أساء إلى .
 باسيت : وأنا معه فلقد أساء هو إلى .
 الملك هنري : وما الإساءة التي تشكوان منها ؟

فلأحط علماً بذلك أولاً ثم أبلغكما بعد ذلك قراري . ٨٥

باسيت : أثناء عبورنا البحر ، من إنجلترا إلى فرنسا ،
 أطلق هذا الشخص لسانه الحاقد المسموم في
 حتى

وحق الوردة التي أحملها
 قائل إن لون وريقاتها الأحمر يرمز
 إلى احمرار الخجل في خد سيدي ٩٠
 الذي عاند الدوق يورك عناداً شديداً
 أثناء مناقشة مسألة قانونية بينهما ،
 إلى آخر ما أضاف من عبارات السباب والقذف .
 فلکی أرد عليه لومه وغلظته ،
 ودفاعاً عن مقام سيدي ومنزلته ، ٩٥
 أتمس الإذن باستخدام قانون السلاح .

فيرنون : وهذا هو ملتصبي أنا أيضاً أيها السيد النبيل :
 فبالرغم من أنه يستعين بالدهاء والختل والاختراع
 ليلبس دعواه الجريئة لباس الصديق والقبول ،

فلنأى أؤكد لك ، يا مولأى ، أنه أثار حفيظتى ،
فقد استباح لنفسه أولا المساس بهذا الشعار ،
قائلا إن شحوب هذه الزهرة

١٠٠

ننم عن الحفوت والضعف اللذين يمتاز بهما
قلب سىدى .

يورك : أما آن أن نضع لهذه الضغائن حداً يا سمرست ؟

١٠٥ سمرست : مهما تبذل من جهد ومكر يا سىدى اللورد
يورك

من أجل كتمان أحقاد قلبك ، فستظهر للعيان .

الملك هنرى : يا إلهنا ، الرحيم أى جنون

يسيطر على هذه العقول السقيمة

عند ما تنشأ هذه المنافسات والحسد والغيرة
والأنانية

١١٠

لسبب تافه سخيف كهذا السبب !

يا ابنى العم الطيبين ، يورك وسمرست ،
ناشدتكما الهدوء والسلام .

يورك : فليحسم القتال هذا النزاع أولاً .

وعندئذ لك يا صاحب السمو أن تأمرنا بالهدوء

١١٥ سمرست : إن النزاع لا يمس أحداً غيرنا نحن الاثنين ،

فلنحسم الأمر فيما بيننا إذن .

يورك : إليك شارتي على العهد فلتقبله يا سمرست

(يلتق قفازه)

فيرنون : كلا ليمبق حيث بدأ أولا .

باسيت : فلتؤيد ذلك يا سيدى اللورد الشريف .

١٢٠ جلوستر : فلتؤيد ذلك ! ألا سحقاً لمرزاعكما !

وتباً لكما بجرأتكما وثررتكما .

ألا تخجلان أيها التابعان المستكبران

من إزعاجكما وإفلاقكما راحته وراحتنا ،

بتشاحنكما الصارخ الفاجر ؟

وأنتم أيها اللوردان إنكما لتتهاونان

١٢٥

إذ تصبران على هذا الجموح ، وتسمحان به ،

إنكما لتنقلان هذا العراك اللفظي بينهما

إلى فتنة شخصية بينكما .

هلا سلكتما طريقاً أسلم وأفضل ؟

١٣٠ أكستر : إن الأمر محزن لسموه فلتتصافيا أيها اللوردان .

الملك هنرى : أقبل يا من رغبتما فى النزال :

إننى أطالبكما — بما أعلمه من حرصكما على

عطفنا ،

أن تضربا صفحاً عن هذا النزاع وسببه .

وأنتم أيها اللوردان تذكرنا أين نحن —

إننا في فرنسا وسط شعب متقلب أهوج ، ١٣٥

فإذا لمح في وجوهنا مظهر خلاف

وعرف أننا مختلفون فيما بيننا ،

ثارت على الفور أفئدتهم الساخطة

وجنحوا إلى العصيان والتمرد !

وفضلاً عن ذلك فيا للفضيحة ! ١٤٠

عند ما يتحقق الأمراء الأجانب

أن نبلاء الملك هنرى وأقطاب أشرافه

تنازعوا فيما بينهم من أجل شيء تافه لا قيمة له ،

وأهلكوا أنفسهم فأضاعوا ملك فرنسا !

فكروا في فتوح أبي وفي حداثة سنى . ١٥٠

وحرام أن ننزل من أجل شيء تافه

— عما اشتريناه بالدم .

فلأكن حكماً في هذا النزاع المثير للمخاوف .

لست أرى سبباً إذا أنا ما ارتديت الوردة

(واضعاً الوردة الحمراء)

في أن يظن أحد أنى أكثر ميلاً لسمرست ١٥٥

منى ليورك :

كلاهما قريب إلى وكلاهما موضع حي .

ألا فليعيروني ، قياساً على ذلك ، بتاجي

لأن ملك أسكتلنده يلبس تاجاً مثله .

إن حصافتكم لأفعل أثراً

من تعاليمى وعظائى :

١٦٠

وعلى ذلك فكما جئنا فى سلام

فلنظل كذلك ترفرف علينا أجنحة السلام

والحبة .

يا ابن العم يورك ، أننا نصب رفعتك وصياً

على هذه الأرجاء من فرنسا ؛

وأنت أيها اللورد الطيب سمرست ،

١٦٥

فلتوحد قوى فرسانك مع قوى مشاته ،

وكمواطنين صادقين ، من رعايانا جديرين

بأسلافكما ،

أعمالاً معاً فى توافق ويسر ،

ولتصبأ جام غضبكما على العدو .

أما نحن واللورد الوصى على العرش والآخرون ،

١٧٠

فسنعود بعد مهلة قصيرة إلى كاليه .

ومن هناك إلى إنجلترا،
حيث أرجو أن تهتدوا إلى قريباً
بفضل انتصاراتكم
شارل والنسون وتلك العصابة الخوانة .

١٧٥

(بوق . يخرج الجميع ماعدا يورك ووريك وإكستر وفريون)

وريك : أحسب الملك يا سيدى اللورد يورك
قد قام بدور الخطيب بإتقان .
يورك : أعتقد ذلك ، على أننى لم أشعر بالارتياح
لارتدائه شعار سمرست .

١٨٠ وريك : دعك من هذا ولا تنح عليه باللائمة،
فما أظن الأمير المحبوب قصد بذلك أمراً .

يورك : قصد أو لم يقصد فلندع ذلك الآن،
فأمامنا أمور ينبغي تدبيرها

(يخرجون ويتلکأ إكستر)

أكستر : أحسنت ، يا رتشارد ، بالخفض من صوتك
فلو أن أهواء قلبك انطلقت

١٨٥

لنمت عن أحقاد وضغائن ونيران من الغضب
الفائر الغلاب
تفوق كل ما يمكن تصويره أو تخيله .

غير أن الذي يرى هذا التطاحن بين النبلاء،

والتدافع بينهم في البلاط ،

١٩٠

وهذا التشاحن الشخصي الأناني بين أتباعهم ،

مهما يكن بسيطاً ساذجاً ،

لن يغيب عن عينيه ما يحره من شر مستطير .

كبيرة أن تكون الصوبلخانات في أيدي الأطفال

وأكبر منها أن يولد الحقد انقساماً وصدعا

لا يمكن رأيه .

عند هذا يحدث الخراب ، وعند ذلك تبدأ

١٩٥

الفوضى . . (يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثاني

أمام بوردو

(يدخل تالبوت مع الأدواق والطبول)

تالبوت

: اذهب إلى أبواب بوردو أيها النافخ في البوق ،

وادع قائدهم على السور . (ينفخ في البوق)

(يظهر القائد من عل مع آخرين)

إن جون تالبوت ، الإنجليزى ، خادم الملك

هنرى ملك إنجلترا ، تحت السلاح ،

يدعوكم أيها القادة إلى ما يأتى :

افتحوا أبواب مدينتكم ، واستسلموا لنا ،

واقبلوا مليكى مليكاً لكم وقدموا له فروض

الولاء ، وكونوا له رعايا خاضعين .

فإذا فعلتم ذلك انسحبت وقواتى المسلحة .

أما إذا تنكرتم لهذا السلم المعروض عليكم ،

فستهيجون نائرة أتباعى الثلاثة ،

المجاعة الهزيلة ، والصلب الفتاك ، والنار المتأججة
التي ستسوى بالأرض في غمضة عين
أبراجكم الشاهقة ، الفخمة ، الشاحخة في أجواز
الفضاء ،

١٥

القائد

إذا ما رفضتم عرضها الودى .

: يا بومة الموت الرهيبة المشثومة

يا مبعث الرعب للأمة وسوط عذابها الخيف !

إن أجل ظلمك ليدنو .

لن تستطيع الدخول علينا إلا بالموت .

ألا فاعلم أننا محصنون تحصيناً منيعاً ،

٢٥

ومن القوة بحيث نستطيع الخروج إليك ومنازلتك .

فإذا انسحبت أنت فإن ولى العهد متأهب .

بفخاخ الحرب للإيقاع بك .

وعن يمينك وعن شمالك فرق مدججة بالسلاح

مهيأة

٢٥

لتقف سداً بينك وبين الفرار ؛

وهيئات أن تجد من يرحمك .

فلم يعد أمامك غير الموت والدمار المحقق .

إن عشرة آلاف فرنسي قد قطعوا على أنفسهم

العهد المقدس

أن يصوبوا مدفعيتهم الخطيرة

نحو تالوت الإنجليزى وحده ،

٣٠

من دون عباد الله المسيحيين أجمعين ،

وإنك لتقف ها هنا رجلاً باسلاً يتنفس ،

شديد البأس غلاب الروح لا يقهر :

هذا هو غاية التمجيد فى مديحك

الذى أضفيه عليك وأنا عدوك .

٣٥

ولكن قبل أن تنتهى هذه الساعة الزجاجية التى

بدأت عملها الآن ،

تسرب رمالها مسجلة انقضاء ساعة ،

ستراك هذه الأعين التى تقع عليك الآن وأنت

فى جمال شكرك وتعام سلاحك

ستراك ذابلاً مضرجاً بالدماء شاحباً صريعاً .

٤٠

(طبول من بعيد)

اصنع ! اصنع إلى طبول ولى العهد ، إن جرسها

نذير يدق .

أنغامه ثقيلة الوقع على نفسك الوجلة ؛

أما أنا فسوف أدق جرساً رهيباً ، جرس طردك

(يخرج)

تالبوت

: إنه لا يكذب فأنا أسمع العدو :

٤٥

لينطلق بعض الفرسان خفاف الحركة ،
لاستكشاف أجنحتهم .

يا للنظام الغافل المهمل . . . !

يا للدوق الذي نحن محصورون فيه :

قطيع صغير من وعول إنجلترا ؛

زادها فزعاً ، وأشاع في صفوفها الاضطراب
والخيرة

٥٠

عصابة من الكلاب الفرنسية النابجة !

لئن كنا وعولا إنجليزية حقاً ؛

فلنكن كذلك في شدة البأس وتمام الأهبة ،

لا أنذالا يسقطون لمجرد ضربة ،

بل وعولا متهورة غضباً مجانين

٥٥

ينقضون على الكلاب المفترسة برعوس صلبة

ويسدون على الجبناء المسالك ، فلا يجدون سبيلا

إلى الفرار

فليبع كل واحد منكم حياته بثمن غال كما أبيع

حياتي

فلسوف يجدون لحمنا مرّاً أيها الأصدقاء .

ولترفع العناية الإلهية ، والقديس جورج ،

وتالبوت ، وحق إنجلترة

أعلامنا عالية في هذا القتال الخطير !

٦٠

(يمتون متعدين)

الفصل الرابع المنظر الثالث

السهول في جاسكوني

(يدخل رسول يقابل يورك . يدخل يورك ومعه نافخ البوق وجند كثيرون .)

يورك : ألم يعد الكشافون الخفاف بعد ،
أولئك الذين راحوا يستطلعون خبر جيش ولى
العهد العرمم ؟

رسول : عادوا يا مولاي ليقرروا أنه متجه بقواته نحو
« بوردو »

للقتال مع تالبوت : كذلك اكتشف مخبروك
جيشين كبيرين
أكبر من جيش ولى العهد انضما إليه أثناء سيره .

ومضى الجميع نحو « بوردو » .

يورك : تباً لذلك الوغد سمرست
الذى يؤخر إمداداتى الموعودة من الفرسان ،
التي عبثت لهذا الحصار !

١٠ إن تالبوت المجيد يترقب معونتي .

بينما يسخر مني وغد خائن ،

ويحول بيني وبين معاونة الفارس النبيل .

فليفرج الله كربته !

لئن خاب جهده فعلى الحروب في فرنسا السلام .

(يدخل سيروايم لوسى)

١٥ : أيها النبيل قائد قوات إنجلترة ،

ما بلغت الحاجة إليك على أرض فرنسا مبلغها

الآن .

عجل لنجدة النبيل تالبوت ،

الذى يحيط به الآن نطاق من حديد .

ينذر بالقضاء عليه قضاء مبرما .

٢٠ إلى « بورود » أيها الدوق المقاتل إلى « بورودو »

يا يورك !

وإلا فليرحم الله تالبوت ، وفرنسا ، وشرف

إنجلترة .

٢٠ : يا لله ! لو أن سمرست الذى يمنع عنى الفرسان

بصلفه

كان هو الذى في مكان تالبوت !

إذن لخلصنا سيداً باسلاً ،

بالخلاص من خائن جبان .

٢٥

إننى أبكى من شدة الغيظ وحدة الغضب :

هكذا نفى بينما الخونة المقصرون فى فراشهم

يرقدون .

: بالله أغث اللورد المكروب !

لوسى

: إنه يموت ونحن نخسر ، وأنا أحنث بشرفى

يورك

العسكرى ،

ويملاً الأسى نفوسنا بينما تسعد فرنسا ؛

٣٠

ونخسر بينما هى تكسب يوماً بعد يوم .

كل ذلك بسبب هذا الخائن الأثيم سمرست .

: فلتنزل على تالبوت الشجاع رحمة الله ،

لوسى

وعلى ولده الشاب جون الذى قابلته منذ ساعتين

فى طريقه إلى أبيه !

٣٥

فى هذه السنين السبع لم ير تالبوت ولده ؛

والآن يلتقيان حيث ينتهى أجلهما معاً .

: واحسرتاه ! أى فرحة هذه التى يستقبل بها

يورك

تالبوت النبيل ولده فى القبر ؟

أف ، إن الضيق يكاد يكتم أنفاسى ،

٤٠

لهؤلاء الأصدقاء الذين باعدت بينهم الأيام
فلا يجتمعون إلا ساعة الموت !
الوداع يا لوسى فلست أملكك أمراً ،
اللهم إلا أن استنزل اللعنات على السبب الذى
يحول بينى وبين معاونة « الرجل » .

٤٥

لقد ضاعت « مين » و « بايو » و « بواتيه » و « تور »
ضاعت كلها بسبب سمرست وتأخيرته .
(ينطلق مع جنوده)

لوسى

: وهكذا بينما ينقض عقاب الفتنة

ليطعم من صدور هؤلاء القادة العظماء ،
يغدر الإهمال والتراخي بفتوحات غازينا ،
الذى لم يبرد جثمانه بعد ، خالد الذكر هنرى
الخامس .

٥٠

وبينما يعاند كل منهم أخاه
تهرع الأرواح والفخار والفتوحات وكل شيء
نحو الضياع والفناء .

الفصل الرابع

المنظر الرابع

(يدخل سميرت مع حيثه . ضابط برتبة كابتن من ضباط تالبوت معه)

سميرت : ضاعت الفرصة ، ولا أستطيع أن أبعث بها الآن ،

لقد دبر يورك وتالبوت هذه الحملة تدبيراً أحكم ،

فهجوم من المدينة ذاتها يمكن أن يودى بقوتنا

الرئيسية جميعها :

إن تالبوت بجراته المسرفة قد لطم سمعته

الوضاعة

بهذه المخامرة الطائشة اليائسة الوحشية :

دفعه يورك للقتال والموت ، مجللاً بالعار ،

حتى يستطيع أن يخلفه في القلب بعد موته .

ضابط : هذا هو السير وليم لوسى جاء معي طلباً لنجدة

قواتنا

وقوى العدو تفوقها عدداً .

سميرت ١٠ : خبرني يا سير وليم منذ الذي بعثك ؟

لوسى

: من بعثنى يا سيدى ؟ الذى يباع ويشترى ،

اللورد تالبوت .

ذلك الذى يستغيث وهو محاصر بعدو جبار ،

يستغيث بالنبيلين ، يورك ، وسمرست ،

ليصددا عن فرقته الضعيفة غارة الموت .

١٥

وبينما القائل الشريف يتصبب العرق ، مخضباً

بالدماء من أطرافه ، التى أنهكتها الحرب ؛

ويطيل فى المعركة كسبا للوقت وأملا فى النجدة ،

تقفون أنتم جانباً مشغولين بمنازعاتكم وضغائنكم

المتكررة

وأنتم أمله الكاذب وذخر إنجلترا وشرفها ،

٢٠

يقف نزاعكم الشخصى التافه حائلا بينه

وبين المدد الذى يجب أن يستعين به ،

فى الوقت الذى يضحى فيه ذلك الشهم المجيد

بروحه

مقاتلا قوات تفرقه ؛ لا حصر لها .

فن أورليان الدعى إلى شارل إلى برجندى

٢٥

إلى ألنسون إلى رينيه كلهم يضيقون عليه الخناق ،

وهو يتعرض للهلاك بسبب تقصيركم وخطئكم . .
 سمرست : لقد رفعه يورك فاييبعث إليه بالنجدة .
 لوسى : إن يورك يجار بالشكوى من رفعتكم ،
 مقسماً أغلط الأيمان بأنك منعت عنه جيشه
 الذى عىء لهذه الحملة . ٣٠

سمرست : إن يورك يكذب فقد كان فى إمكانه أن يبعث
 هو إليه بالفرسان :
 لست أدين لتالبوت بشيء يذكر من الواجب ،
 وإنى لأدين له بقدر أقل من الحب ،
 ولشد ما أزدري مصانعته بأن أرسل أنا
 إليه المدد .

٣٥ لوسى : ليس الذى أودى الآن بتالبوت
 قوة فرنسا ، بل هو غدر إنجلتره :
 لن يمتد عمره حتى يعود إلى أوطانه ،
 لأنه سيودى ضحيةً لغدركم وشحنائكم .

سمرست : هلم إنى سأبعث بالفرسان على الفور ،
 وستكون لديه النجدة بعد ست ساعات . ٤٠

لوسى : إن النجدة لتصل متأخرة ، وستجده إما أسيراً
 أو قتيلاً

ولن يفر حتى إذا بدا له أن يفعل ،

لأن تالبوت لا يفر أبداً مهما يكن الفرار ميسوراً

: وإن كان قد مات فالوداع أيها الشجاع تالبوت!

: إن مجده مخلد في الدنيا ، أما عار انكساره فهو

مخلد بك .

سمرس

٤٥ لومى

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الخامس

(المعسكر الإنجليزي قرب بوردو - يدخل تالبوت وابنته)

تالبوت : لقد أرسلت في طلبك يا بني جون ،

لأعلمك فنون الحرب ،

حتى إذا ما دبت الشيخوخة الجافة في مفاصلي

الضعيفة ، وأقعدتني

ظل اسم تالبوت حياً بك .

لكن يا للنجوم المشتومة المنحوسة !

ها أنت ذا تقدم لتشارك في مأدبة للموت .

في خطر فظيع لا مفر منه :

لذلك ، يا بني العزيز ، امتط صهوة أسرع

جواد لدى

وسأرشدك إلى طريق النجاة العاجل .

في فرار مفاجئ . هلم لا تتلكأ وأسرع .

: أأكون اسمي تالبوت وأكون ابنك

جون

ثم ألوذ بالفرار ؟ بالله إن كنت تعز أُمي

فلا تلتطخ اسمها الشريف بالعار
 بأن تجعلنى ابن سفاح ، وعبداً من العبيد .
 سيقول العالم إنه ليس من دم تالبوت . ولا ابن
 أبيه ،
 ذلك الذى فر فى ندالة حيث صمد تالبوت
 السبيل .

١٥

تالبوت

: فر لتثار لموتى إن قتلت .

جون

: إن الذى يفر فى الممعة لن يعود مرة ثانية .

تالبوت

: إذا نحن بتينا معاً فحتم أن نموت كلانا .

جون

: إذن فلأبقى . ولتفر أنت يا أبى .

: إن فقدك خسارة كبرى .

: هكذا ينبغي أن تكون نظرتك إلى الأمر .

أما أنا فلا أحد يعرف لى قدراً .

: ولن تحدث بفتقدى خسارة تذكر .

: ولن يجد الفرنسيون بموتى ما يفخرون به .

أما بموتك فسيجدون .

: إن كل الآمال معقودة عليك، وبموتك ستتبدد

جميعها .

: لن يدنس الفرار الشرف الذى نلت .

٢٥

أما أنا الذى لم أنل شيئاً أو أظفر بشيء
 فسيدنسى الفرار :
 إن فررت فلقد فررت لصالح الجميع ، وكل
 سيقسم على ذلك .
 أما إذا أنا وليت فسيقولون لقد ولى جبناً وفاقاً .
 ولن يكون هناك أمل بعد ذلك فى أن أصمد
 أو أبقي

إذا أنا من الساعة الأولى جئنت وفررت .
 هكذا أتضرع إليك ، جاثياً على ركبتى ،
 فى طلب الموت ،
 فالموت خير من حياة يشينها العار والدنس .

تالبوت

: أو تنهى آمال أمك كلها فى قبر واحد ؟

جون

: أجل فذلك أفضل من أن أدرس شرفها وسمعتها .

تالبوت

: بحق أبوقى آمرك بالذهاب .

جون

: لأقاتل عدوك ، نعم لأولى الأدبار .

تالبوت

: سينجو بك جزء من أبيك

جون

: لن يكون فى أى جزء منه ، لن يبق فى شيء

غير عادى إذا فررت

تالبوت

: من لا يملك الشيء لا يفقده

وأنت ما كان لك يوماً من الأيام شهرة لتفقدوها .

٤٥ جون : يلي إننى لأحمل اسمك المبجل ، أفلا يشينه الفرار؟

تالبوت : إن أمر أبيك سيدفع عنك هذا العار .

جون : لن تستطيع أن تشهد لى وأنت مقتول .

إذا كان الموت محققاً فلنهرب سوياً .

تالبوت : وأترك أتباعى هنا يقاتلون ويموتون؟

٥٠ إلى ما دنست حياتى بمثل هذا العار قط يا بنى .

جون : فهل يدنس شبابى بمثل هذا الجرم؟

إذا استطعت أن تشطر نفسك شطرين .

استطعت أنا أن أنفصل عن جانبك .

فلتبقى أو فلتذهب ، افعل ما تريد . . فسأفعل

مثلاً تفعل .

٥٥ وإن أعيش إذا كان أبى سيموت .

تالبوت : تعال إذن أودعك يا بنى الأغر

لقد قضى على أن أطق حياتك بعد ظهر هذا

اليوم . (يتعانقان)

تعال ولنض جنباً إلى جنب ، نعيش معاً ،

ونموت معاً ؛

وستطير روحانا سوياً من أرض فرنسا إلى الجنة .

(يتقدمان إلى الأمام)

الفصل الرابع

المنظر السادس

(يرق . هجمات يحضر فيها ابن تالبوت وينقده أموه)

تالبوت

: القديس جورج والنصر ! قاتلوا أيها الجند قاتلوا !

لقد أخلف الوصي وعده لتالبوت

وتركنا نقع فريسة لغضب فرنسا .

أين حون تالبوت ؟ توقف يا بني ، هدى

أنفاسك هنية .

لقد وهبتك الحياة وأنقذتك من الموت

: مرتين يا أبتاه ، مرتين أصبحت ولدك !

الحياة التي وهبتها لي أولاً ضاعت وولت ،

حتى جئت بسيفك البتار فوهبتني ،

رغم القدر، عمراً ثانياً .

١٠ تالبوت

: عند ما اشعل سيفك النار فوق رأس ولى العهد ،

بعثت في قلب أبيك الحرارة والرغبة في نصر بعيد

المنال ،

ثم دبب الحمية في أعضائي الحامدة الثقيلة ،

وألهبتها غصبة شابة وثورة متأججة بالحرب .

فقهرت النسون وأورليان وبرجندى

وأنقذتك من غطرسة « جاليا »

١٥

أما الدعى أورليان الحانق الذى أسال دمك

يا بنى

وكان أول من أساله فى قتالك الأول ، فقد لقيته

وبادلتة الضربات ، وسرعان ما أسلت بعض

دمه الذميم

ولقد قلت له لأشعره الخزى « إن دمك الدنس

الملوث ،

أريقه الآن من جسمك دنيئاً خسيساً

٢٠

نظير دى النقى الصافى الذى أسلته من تالبوت

ولدى الشجاع » :

وهنا أقبل الدعى لنجدته بقوة كبيرة .

طمئن قلب أبيك يا جون

ألست مجهداً ؟ كيف تشعر ؟

أولا تترك المعركة يا بنى وتفر الآن

٢٥

بعد أن أثبت أنك فارس سليل فرسان .

عجل وفر اناخذ لى بالثأر عند ما أموت :

وليس لي الآن في عونك ، وأنت فرد ، نفع
كبير .

إني لأعرف جيداً أن من الحماقة ، يا بني ،
أن نلقي بروحينا إلى مصير واحد محدود ، ونخاطر
بهما معا .

٣٠

فأنا إذا لم يمّني اليوم غضب الفرنسيين
فغدا تميتني الشيخوخة الجبارة
ولن يكسبوا مني شيئاً حتى لو بقيت .
ولإذن فليس في صبري الآن في المعركة
غير تقصير عمري يوماً واحداً :

٣٥

أما أنت ففي موتك موت أمك ، واسم بيتنا ،
والثأر لموتي

وشبابك ، وشرف إنجلترة ، ومجدها .
كل هذه وأكثر منها تتعرض للخطر ببقائك .
أما إذا وليت الفرار فستفقدوها جميعاً .
لكأني لم أستفد شيئاً من سيف أورليان !

٤٠ جون

إن كلماتك كالحناجر تحز في قلبي .
أتشترى العار وتطفي " الشهرة اللامعة
لتنقذ حياة رخيصة لا قيمة لها !

في أى مقابل ؟ ! ولحساب أية صفقة ؟ !

٤٥

قبل أن يفر تالبوت الصغير من تالبوت الكبير،
فليكب الحصان الجبان الذى يحملنى وليهلك .
أتريدنى أن أكون . كفتيان فرنسا الأجلاف .

موضع العار والخرق والذرية !

وحق المجد الذى ظفرت به

إذا أنا فررت فما أنا بابت تالبوت :

٥٠

فبالله أقصر الكلام فى موضوع الفرار ، فليس
فيه جدوى .

وإذا كنت ولدأ لتالبوت فسأمت تحت قدمى
تالبوت .

تالبوت : فلتتبع إذن مولاك اليائس صاحب كريت
يا إينخاروس^(١)

إن حياتك لعريزة على .

ما دمت ستقاتل ، فلتقاتل إلى جانب أبيك ،
فلنحارب حرباً تذكر لنا بالفخر ، ولنمت فى
شرف ومجد . (يخرجان)

٥٥

(١) صنع ديدالوس أحنحة له ولابنه إينخاروس ليعرا من سجنهما فى كريت ، وبما
ديدالوس غير أن الشمس أذابت الشمع فى جناح إينخاروس فسقط فى البحر .

الفصل الرابع

المنظر السابع

(يوق هجمات . يدخل تالوت الكبير . صابراً يحرح أليم . مستنداً إلى تابع)

تالوت

: أين حياتي الأخرى ، فقد ولت حياتي :

أين تالوت الصغير ؟ أين تالوت الشجاع ؟

أيها الموت الظافر الملطخ بدم الأسرى ،

أين بسالة الصغير لتجعلني أسخر منك ،

فعند ما رأني أخر صريعاً

٥

أشهر سيفه البتار عالياً مهدداً من فوق

وهاج كالأسد الجائع ، هياجاً عنيفاً ،

وقد عيل صبره ، وقاتل قتلاً مروعاً .

فلما أضحى وحيداً حارسى الثائر ، ابني ،

وقد أشفق على من السقوط ، ولم يتقدم لمهاجمته

١٠

أحد ،

استولت عليه سورة غلابة مفاجئة فهب من جنبي

وانقض على جموع الفرنسيين .

وألقي بروحه وسط هذا البحر الخضم من الدماء

حتى جاد بأخر قطرة من دمه . . .

مات إبخاروس . . زهرتي الياقة في عنفوانه

١٥

وعزه

: مولاي العزيز انظر إنهم يحملون ولدك !

التابع

(يسجل جنود يحملون حثاا تالموت الصغير)

: أيها الموت العايب الذي تضحك منا وتسخر ،

تالموت

عما قريب سوف يغيظك بأن يتخلص من الحياة ،
اثنان من آل تالموت ، تربطهما رابطة أبدية ،

وتصرب أجنتهما في جو السماء الرقيق

٢٠

فراراً من نيرك المهين .

وأنت يا من تؤهلك جراحك للموت المنحوس ،

كلم أباك قبل أن تسلم أنفاسك !

وغالب الموت بالكلام سواء رضى أو لم يرض ؛

تخيله فرنسياً ، عدواً لك .

٢٥

يا للفتى المسكين ! إنه يبتسم وكأنما يريد أن

يقول

« لئن كان الموت فرنسياً فلقد مات الموت اليوم »

تعالوا تعالوا ضعوه بين ذراعى أبيه :

إن روحى لم تعد تحتل هذه الآلام .

وداعاً أيها الجند ! فقد حصلت على ما كنت أبغى
وسيكون ذراعاًى الواهنان قبراً لجون تالبوت
الشاب .

٣٠

(يدخل شارل والنسون و رجندي والدعى ولايوسل وقوات)

شارل

: لو أن يورك و سمرست جاءا بالنجدة

لغرقنا اليوم فى بحر من الدماء .

الدعى

: يا لشبل تالبوت ! لكم أعمل سيفه الصغير ،

هائجاً كالحنون مريقاً دم الفرنسيين !

٣٥

يوسل

: قابلته مرة وقلت له :

« أيها الفتى الغض الإهاب استسلم لفتاة غضة

عذراء » :

ولكنه أجاب فى ازدراء وعالو وكبرياء :

« إن تالبوت الصغير لم يولد ليكون نهياً لفتاة

عابثة خليعة » :

٤٠

ثم اندفع وسط جموع الفرنسيين ؛

وتركنى فى كبرياء وكأنما أنا خصم غير كفء

له فى النزال .

برجندي

: لو أنه عاش لأضحى فارساً نبيلاً :

انظروا إليه وهو مسجى بين ذراعى

٤٥ الدعى

أكبر من جنى على نفسه !
 : قطعوهما إرباً وقتوا عظامهما
 ذلكما اللذين كانت حياتهما مجداً لانجلترة
 ومثارَ دهشة لجاليا^(١).

شارل

: مهلا مهلا ! لا يليق بنا وقد فررنا منه حيا
 أن نحط من كرامته ميتاً
 (يدخل سير ولیم لومى محروماً ، أمامه صابط اتصال فرنسى)

لومى

: أيها الضابط قدنى إلى خيمة ولى العهد ،
 لأعرف من الذى ظفر بالنصر اليوم .

٥٠

شارل

: أى رسالة تحملها مستسلماً ؟

لومى

: استسلام يا ولى العهد ! هذه كلمة فرنسية بحتة ،
 نحن ، المحاربين الإنجليز ، لا نعرف لها معنى .
 لقد جئت لأعرف من أسرتم من رجالنا .

٥٥

شارل

: ولأتفقد جثث القتلى .

: أتسأل عن الأسرى ؟ إننا لا نأسر وإنما نبعث

على الفور إلى اللحيم ،

ولكن خبرنى عمن تبعث ؟

(١) اسم لفرنسا

لوسى : عن الفارس المغوار، وبطل المعارك الكايديز^(١) العظيم ؟

اللورد تالبوت إيرل شروزبرى ،
الذى نال بانتصاره الباهر فى الحروب ألقاب
إيرل واشفورد^(٢)، ووترفورد، وفالنس، العظيم ،
واللورد تالبوت لورد جودريج وأرشنفيلد ،
واللورد سترانج لورد بلاكير والورد فيردون ألتون ،
والاورد كرومويل لورد ونجفيلد ،

ومثلت النصر اللورد لورد فالنكونبرج ،
والفارس النبيل من طبقة « سانت جورج »
وسانت ميكل « والجولدن فليس » ،
والمارشال الأعظم لدى الملك هنرى السادس ،
وقد نالها جميعاً فى حروبه داخل الأرض
الفرنسية .

٧٠ بوسل : ما أسخف هذا الأسلوب المفخم !

(١) Alcides اسم من أسماء « هرقل » .

Washford; waterford; Valence Tallbot of Goodring & Urchinfield; (٢)
Shrewsbury

Lord Strange of Blackmere. Lord Verdun of Action, Lord Cromwell of Wingfield
Lord Furnivol of Sheffield Lord of Falconbridge

إن سلطان الترك الذى يملك اثنتين وخمسين
مملكة

لا يستخدم أسلوباً مملاً كهذا الأسلوب .
إن الذى تعظم وتمجد بكل هذه الألقاب
يرتمى كما ترى تحت أقدامنا منتناً يتكاثر عليه
الذباب .

: أقتل ، تالبوت جلاد الفرنسيين الأوحده ،
وباعث الرعب فى مملكتكم والمتنقم منكم ؟
ليت مقلتى عيني تتحولان إلى قذائف
أطلقها ساخطاً على وجوهكم !
لوأننى أستطيع أن أرد هذين الميتين إلى الحياة ،
لكان ذلك وحده كافياً لبث الفرع فى كل
الأرض الفرنسية :

٧٥ لوسى

٨٠

ولو بقيت صورته بينكم هنا
لكانت كفيلة ببث الرعب فى قلوبكم .
إلى يجثمانهما ليتسنى لى حملهما
ومواراتهما التراب بما يليق بمقامهما من المهابة .
: لكأن هذا النكرة طيف تالبوت الكبير ،
إنه ليشكلم فى لهجة أمرة متغطرة أى لهجة .

٨٥ بوسل

بالله دعوه يأخذ الجثتين ، فتركهما هنا
مفسدة للجو ، وتلويث له .

شارل : اذهب واحمل جثتيهما معك .

لوسى ٩٠ : سأفعل ولكن سوف يشب من الرماد المتخلف

، عنهما ،

عنقاء تثير الرعب فى قلوب الفرنسيين جميعاً .

شارل : افعل بهما ما تشاء فحسبنا أن نخلصنا منهما .

والآن فلنمض إلى باريس ظافرين منتصرين ،

فكل شيء بات ملكاً لنا بعد قتل تالوت

السفاح .

(يخرجون ، لوسى ورجاله يحملون الجثتين)

الفصل الخامس

المنظر الأول

(بوق مؤذن بدخول الملك و جلوسه و اكتمت)

الملك : هل قرأت الرسائل الواردة من البابا

والإمبراطور . وإيرل أرميناك ؟

جلوستر : أحل يا مولاي وهذا هو مضمونها :

إنهم يناشدون جلالتك . في تواضع ،

أن تعقدوا صلحاً سارداً

بين مملكتي لإنجلترا وفرنسا .

الملك : وما الذي تراه رعتكم في هذا الطلب ؟

جلوستر : حسن يا مولاي . فالصلح هو الوسيلة الوحيدة

لوقف إراقة دماء المسيحيين ،

واستتباب السلام على الجائنين .

الملك : نعم يا عماه وقد كنا نحسب دائماً

أن من الخطل والضلال

أن يسود هذا العنف الفظيع وهذا الصراع

الدموى القاسى

بين بلدين يعتنقان ديناً واحداً .

١٥ جلوستر : وفضلاً عن ذلك يا مولاي إذا بادرتهم

بتوثيق رابطة المحبة وتقويتها ،

فإن إيرل أرمينياك الوثيق الصلة بشارل ،

وهو رجل قوى النفوذ فى فرنسا ،

ليعرض زواج ابنته الوحيدة منكم ،

ويعمهرها مهرأ ثميناً فخماً ٢٠

الملك : الزواج يا عماء ! واأسفاه ، إننى فى هذه السن

الصغيرة ،

أصلح للدرس والكتب

منى لمغازلة الحسناء اللعوب .

على أية حال فلتدع السفراء ،

وإذا تفضلت فليحصل كل منهم على رد رسالته ، ٢٥

وسأرضى بما يقع عليه الاختيار ، أيا كان ،

ما دام فى ذلك المجد لله والخير لبلادى .

(يدخل رنستر فى مسوح الكارديال ورسول نابوى وسفيران)

إكستر : ماذا أرى ؟ أنصب سيدى اللورد ونشستر كاردينالا ؟

إذن ستصدق نبوءة الملك هنرى الخامس

فما أرى

٣٠

إذ قال « إنه إذا أصبح يوماً كاردينالاً
فسيجعل القلنسوة الكردينالية في مستوى التاج .
يا أصحاب الفخامة السفراء ،
لقد درست مطالبكم المختلفة وبحث ،
وإن غايتكم لطيفة معقولة .

الملك

٣٥

لذلك صبح عزمنا على إعداد شروط لصلح ودى ،
سوف يحملها إلى فرنسا ، قريباً ، سيدى اللورد
ونشستر .

جلوستر

: أما فيما يختص بعرض مولاكم المبجل ،
فلقد أبلغت سموه بصفة عامة ،
عن مواهب السيدة وفضائلها ،
وعن جمالها الساحر ومهرها الغالى .

٤٠

وهو في نيته أن يجعلها ملكة لانجلترا
وتمهيداً لهذا العقد ، وعربوناً لمحبتى ،
احملوا إليها هذه الجوهرة .

الملك

وأرجو ، يا سيدى الوصى ، أن يصحبهم الحرس
حتى يصلوا إلى دوفر آمين ؛
ومن هناك أسلمهم لرحلة البحر وهم وحظهم فيه

٤٥

(يخرج الملك وجلوسر ولما كثر . وإد يعادر السفراء ينتحى ونشستر بالرسول
البادوى حانبا)

ونشستر (حانبا) : تمهل يا سيدى الرسول البابوى ؟

إن المبلغ الذى وعدت به

يجب أن يسلم "إلى قداسته ؛

مقابل إعطائه إياى هذه الحلقة القشبية .

٥٠

الرسول البابوى : سأكون عند سباحتمكم فى الوقت الذى ترونه .

(يتبع الآخرين)

ونشستر : الآن لن يخضع ونشستر أبداً .

ولن يكون فى المقام الثانى لأى أمير مهما علا

وتكبر .

ولسوف ترى فى وضوح ، يا همفرى جلوسر ،

أنك لن تسمو برأسك فوق رأس الأسقف ،

٥٥

سواء أكان فى نبل المحتد ، أم فى النفوذ :

ولسوف أجعلك تحنى الهام وتخر على ركبتك ،

أو أشعلها فتنة لا تبقى شيئاً فى هذا الوطن ولا تذر

(يخرج)

الفصل الخامس

المنظر الثاني

فرنسا - أمام قصر رينيه في « أنجو »
(يدخل شارل وبرجدي والنسون والدعى ورينيه ولادوسل وقوات)

شارل : إن هذه الأنباء أيها السادة قد تنعش أرواحنا
الحزينة اليائسة .

يقولون إن الباريسيين البواسل ثائرون
وينقلبون مرة ثانية محاربين أشداء كالعهد
بالفرنسيين .

النسون : فلتمض إذن إلى باريس ، أيها الأمير المملوكي
الفرنسي شارل .

ولتمض قواتك في طريقها دون تلكؤ

بوسل : سلام عليهم ما داموا معنا
وإلا فليحطم الخراب قصورهم !

(يدخل كشاف)

كشاف : النصر لقائدنا الباسل ،

والسعادة لشركائه !

١٠ شارل : أى أنباء تأتينا بها الكشافة ؟ بالله تكلم .
كشاف : إن الحيش البريطاني ، الذى كان قد شطر
شطرين ،

التأم مرة أخرى ، وهو يعترم القتال قريباً .
شارل : إن الإنذار سريع المفاجأة أيها السادة ،
ولكننا سوف نعد أنفسنا لملاقاتهم فى أقرب وقت .
١٥ برجندى : الآن وقد مات تالبوت ، وليس لطيفه أثر ،
فلست أرى محلاً للخوف يا سيدى .

بوسل : شر المشاعر الخسيسة وأدناها الخوف ،
فلتقد الحملة يا شارل وسيكون النصر حليفك .
وليحرق هنرى الإرم غيضاً وليذو العالم بأسره !
٢٠ شارل : إلى الأمام إذن أيها السادة . واجلد والسعد لفرنسا !
(يتقدمون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

(بوق . محبات . لابوسيل تعود)

بوسيل

: الوصى ينتصر ، والفرنسيون يفرون ،

العون أيها الرق الساحرة ، والتعاويد ،

وأنت أيتها الصفوة من الأرواح التي تحرسنى (رعد)

وتكشف عني حجاب الغيب والمستقبل !

أيها المعاونات السريعة الحارسة

٥

التي تعمل ممثلة سلطان القدر تحت إمرة ملك

السمال ،

أظهرى وأعيننى على هذه المهمة (تدخل شياطين)

إن ظهورك هذا العاجل الموفق

دليل رعايتك المعهودة لى .

والآن أيتها الأرواح الأليفة المختارة

١٠

من العالم الجبارة ، الكامنة فى جوف الأرض ،

امنحني عونك هذه المرة لتنتصر فرنسا في
الميدان (تمشى ولا تتكلم)

لا يطل صمته على !

لقد كنت فيما مضى أغذيك بدمائى .

أما الآن فسأقطع عضواً من جسمى

أهبه إليك عربوناً منى لمعروف آخر ،

هو أن تتفضل بمعاونتى الآن (تطأى رأسها)

ألا تقبلين توسلى إليك بالتضحية بجسمى

أو بدمى ؟

إذن تقبلين روحى وجسمى وكل شئ ،

مقابل ألا يهزم الإنجليز الفرنسيين

(تنصرف الأرواح)

لأنها تتخلى عني ! لقد آن الأوان

لأن تنكس فرنسا رأسها الشامخ المتوج ،

ثم تسقطه فى حجر إنجلترة . . .

دب الضعف فى تعاويذى القديمة ،

وأضحى الجحيم جباً لا أقدر عليه .

فالآن يا فرنسا يدفن مجدك الشامخ فى الرغام

(تذهب)

(هجاءات . برجندى ويورك يتقاتلان . يمر الفرنسيون يلاحقهم يورك . ويعود بلا بوسل أسيرة .)

يورك : لن تفلتي من يدي يا غادة فرنسا :

أطلقى أرواحك بالسحر والتعاويد ،
واجتهدى أن تخلصك من الأسر .

يا لك من غنيمة طيبة جديرة بعظمة الشيطان ٣٠
نفسه !

انظر كيف تخنى الساحرة الدميمة حاجبيها
كأنما تريد بعون « سيركى »^(١) أن تسحرني !
بوسل : وهل يمكن أن تنقلب صورتك إلى أبشع مما هي
عليه الآن ؟!

يورك : إن شارل ولى العهد لهو الرجل
الذى لا ترضى عينك الفاحصة عن سواه ٣٥

بوسل : تباً لك ولشارل !
فلتطبق عليكما يد القدر الدامية
وأنتما غارقان فى نومكما !

(١) « سيركى » ساحرة من حريرة « آي » سحرت كل من شرب من كأسها إلى خنزير .

- يورك : اصمتي أيتها الشمطاء اللعينة الساحرة !
- ٤٠ بوسل : بالله دعني على الأقل ألعن قليلا ،
- يورك : ادخري أيتها اللثيمة لعناتك
- حتى تشدى إلى عمود النار (يحردا بعيداً)
- (بوق . يدخل سافوك وفي يده مرجريت)
- سافوك : فلتكوني من تكوينين ، ولكنك أسيرتي .
- (يتفرس فيها)
- أيها الحسن الفاتن لاتجزعن ولا تول الأديار
- ٤١ فلن تمسكك يداي إلا بإجلال ورفق .
- إني أقبل هذه الأنامل في سبيل السلام المقيم .
- (يقبل يدها)
- ثم أعيدها في حنان إلى جانبك الرفيق .
- من تكوينين ؟ اكشني عن نفسك بالله ،
- ٥٠ حتى أضعك في منزلك من الشرف والرفعة .
- مرجريت : إن اسمي مرجريت ، وأنا ابنة ملك ،
- ملك نابولي ، ومن تكون أنت ؟
- سافوك : وأنا إيرل واسمى « سافوك »
- فلا يسوءنك شيء ، يا معجزة الحلقة ،

٥٥

إن شاء القدر أن تقعى بين يدي :
 فسيكون شأنك معى شأن البجعات الصغيرات
 اللأى تحبسهن أمهن تحت جناحها لتحميمهن .
 ومع ذلك فإذا ما ارتأيت ما يسوء فى هذه المعاملة
 المذلة ،
 فاذهبى مطلقة السراح وأنت صديقة لسافوك .

٦٥

(هم بالدهاب)
 مهلا مهلا ! (جاننا) لست أملك إطلاق
 سراحها .

٦٥

أن يدى تسرح وقلبي يقول لا ؛
 إن جمالك الباهر ليبدو لعيني كالشمس
 المتلألئة
 تنعكس على سطح الغدران البلّورية . . .
 فترسل شعاعاً آخر متلألئاً خلافاً .
 لكم تدفعنى الرغبة إلى أن أخطب ودها ،
 ولكن سلطان الجمال يعقد لسانى :
 سألجأ إلى القلم والقرطاس لأبثها نجواى .
 ألا بثس الذى تصنع يدى لابلول^(١) !

(١) لقب الإيرل سافوك

أعاجز أنت ، مقطوع اللسان ؟

أليست ماثلة أمامك ؟ أترهب مواجهة امرأة ؟

٧٠

أجل فسلطان الجمال في أبناء الملوك

يحدث شللا في اللسان وثورة في الحواس .

مرجريت : قل لي يا إيرل سافوك ، إن كان هذا اسمك ،

ما الفدية التي ينبغي علي أن أؤديها لتطلق

سراحي ؟

فإني لأراني أسيرتك .

٧٥

سافوك (حاناً) : كيف تعلم أنها ستصمدك

قبل أن تجرب حظك في حبها ؟

مرجريت : لم لا تتكلم ؟ ما الفدية التي ينبغي أن أدفع ؟

سافوك (جانباً) : إنها لحسناء ولذلك فهي خليقة بأن تعشق ،

ولأنها لامرأة ولذلك فهي جديرة بأن يظفر بها .

٨٠

مرجريت : أتقبل الفدية ؟ نعم أو لا .

سافوك (حاناً) : أيها المدله الوهان ، تذكر أنك زوج ،

فكيف يمكن أن تكون مرجريت عشيقاً لك ؟

مرجريت : يحسن أن أتركه ، فهو لا يريد أن يسمع .

سافوك ٨٥ : وهكذا يفسد هذا الاعتبار كل شيء .

ويصب الماء البارد على الموقف .

مرجريت : إنه يتكلم عفو الحاطر ، ولا شك أنه مجنون

سافوك : ومع ذلك فمن الجائز الوصول إلى حل .

مرجريت : ومع ذلك أرجو أن ألتقي منك جواباً .

١٠ سافوك : سأحظى بهذه مرجريت السيدة ، ولكن لمن ؟

آه للمليكي ؟ كلا كلا ! بلوح لي أنها مسألة

حرجة سخيفة !

مرجريت : إنه يتكلم فيما بلوح عن الأحجار ولا بد أنه

حجار .

سافوك (حائلاً) : ومع ذلك فقد يكون هذا إشباعاً

لعاطفي ،

ومدعاة لاستتباب السلام بين البلدين .

١٥ ولكن لا يزال في ذلك موضع للريب ، قد يدعو

إلى التردد ،

فبالرغم من أن أباهما ملك نابلي ، ودوق أنجرومين^(١)

فإنه فقير ، ولذلك سوف يسخر نبلاؤنا من

المشروع .

مرجريت : استمع إلى أيها الضابط أهناك ما يشغلك ؟

سافوك (حائباً) : لأدبرن الأمر ، ولن يسخروا كثيراً ،
 ١٠٠ فهنرى عارم الشباب ، وسرعان ما يقع في
 حباثلها (يلتفت إليها)

سيدتى لدى سرّ أبوح لك به .
 مرجريت (حائباً) : ترى ماذا لو استرقى ولن ينال من
 شرفى

سافوك : سيدتى تفضلنى بالاستماع إلى ما أقول .
 مرجريت (جائلاً) : قد يبادر الفرنسيون بإنقاذى ؟
 ١٠٥ فلا حاجة عندئذ لأن أهيب بشهامته .

سافوك : أيتها الحسنة أنصتى بالله إلى .
 مرجريت (حائلاً) : فليكن ما يكون فلست أنا أول امرأة تؤسر ؟
 سافوك : سيدتى ما الذى يدفعك إلى هذا الحديث ؟
 مرجريت : على رسلك ، دقة بدقة .

١١٠ سافوك : خبرينى أيتها الأميرة الحسنة :
 ألا ترين فى هذا الأسر سعادة .
 إذا صرت بسببه ملكة ؟

مرجريت : لئن أكن ملكة فى الأسر لشر عندى
 من أن أعيش أمة فى أحط مراتب العبودية ؟
 فالأمراء يجب أن يعيشوا أحراراً .
 ١١٥

سافوك

: لسوف تكونين حرة

إذا حدث أن كان ملك لإنجلترا حراً . . . !

مرجريت

: وما ذا يربط بين حريته وحريتي ؟

سافوك

: سأخذ على عاتقي أن أجعلك ملكة هنرى .

وأن أسلمك فى يدك صوب لحانا من ذهب

وأضع فوق رأسك تاجاً ثميناً .

١٢٠

إذا نزلت من عليائك فكنت لى —

مرجريت

: ماذا

سافوك

: محبوبته

مرجريت

: لست أهلاً لأن أكون زوجة لهنرى .

سافوك

: كلا أيتها الحسنة الرقيقة ، إن مثلى غير أهل

على الإطلاق

١٢٤

لأن يخطب سيدة جميلة مثلك لتكونى زوجته ،

وليس لى نصيب من هذا الذى أختار .

ما الذى تقولين يا سيدتى ، ألسنت راضية ؟

مرجريت

: راضية إذا رضى أبى .

سافوك

: إذن سأدعو رجالى بأعلامهم وشاراتهم ،

وعند أسوار قصر أبيك ؛ سأتمس بمحادثته

١٢٠

لبحث الأمر .

(بوق محادثة . يدخل رينيه على الأسوار . . .)

انظر ، رينيه ، انظر أن ابنتك أسيرة !

رينيه : لدى من ؟

سافوك : لدى .

رينيه : وما العلاج يا سافوك

لأنني جندي فلا يليق بي البكاء

ولا أن أندب حظي وصروف الزمان .

١٣٥ سافوك : بلى إن هناك لعلاجاً يا سيدي :

وهو أن توافق ، وفي موافقتك شرف لك ،

على أن تزوج ابنتك للملك .

لقد بذلت جهدي لأخطب ودها وحظيت به ،

ونالت ابنتك بسبب ذلك حريتها من أسر هين .

١٤٠ رينيه : وهل يعني سافوك ما يقول ؟

سافوك : إن مرجريت الحسنة تعلم

أن سافوك لا ينافق أو يخادع أو يدعي .

رينيه : واعتماداً على أمانك الكريم ، سأنزل

لأوافيك بجوابي على مطلبك العادل .

١٤٥ سافوك : وهنا سوف أرتقب مجيئك (يهبط من الأسوار)

(صوت أبواق . يدخل رينيه من باب القصر)

رينيه

أيها الإيمل الشجاع ، مرحباً بك في أراضينا :
فلتحكم في أرض « أنجو » ماشئت يا صاحب
الشرف الرفيع ،

سافوك

إننى شاكر لك يا رينيه ، كم أنت سعيد
بفتاتك المليحة

الجديرة بعشرة ملك :

١٥٠

فما جواب رفعتك على ملتسى ؟

رينيه

: أما وقد نزلت من عليائك فخطبت ابنتى
على ما أوتيتُ من نصيب متواضع من الجدارة ،
لتكون عروساً لهذا الأمير العظيم ،
فشرطى الوحيد لزوجها من هنرى . إذا أراد ،
هو أن أظل محتفظاً بما أملك : بلاد « مين »
و « أنجو » ،

١٥٥

يسودها السلام وينشر عليها لواءه .

متحررة من الظلم ، ومن شرور الحرب .

سافوك

: تلك فديتها ، إنى أسلمها إليك .

أما هذان البلدان فسأخذ على عاتقى

أن يظلا تحت حكمك ، ناعمين بالسلام

١٦٠

والحرية ،

رينيه : وأنا أيضاً ، باسم هنرى الملك ،
وبوصنى نائباً عنه ، فى هذا الإقليم ،
أمنحك يدها النقية وعربون الوفاء .

سافوك : الثناء الملكى يا رينيه الفرنسى

فهذه مهمة خليقة بأن تؤدى للملوك . ١٦٥

(حائناً) ومع ذلك فلقد كان يسعدنى
كل السعادة أن أكون وكيلاً عن نفسى فى
هذه المسألة .

(بصوت مرتفع) سأسافر إلى إنجلترا ، من
أجل هذا النبأ ،
ومن أجل إعداد مراسيم الاحتفال لهذا الزواج ،
فالوداع يا رينيه :

ولتصن هذه الدرة فى قصور من الذهب بما هى
أهل له . ١٧٠

رينيه : فلأضملك إلى صدرى . كما كنت أضم الأمير
المسيحى

الملك هنرى ، لو أنه كان هنا .

مرجريت : وداعاً أيها اللورد : وسافوك من مرجريت على الدوام

الأماني الطيبة ، والثناء عليه ، والصلوات من
أجله . (بهم الذهاب)

سافوك : وداعاً أيتها الأميرة الحسنة . ولكن مهلاً
أيا مرجريت

أفلا تبعين للملك بتحية ملكية ؟

مرجريت : التحية اللائقة بعذراء بكر خادمة . . بلغه
ذلك عني

سافوك : كلمات جميلة الوقع متواضعة أمام من
وجهت له .

ولكن مرة أخرى أيتها الحسنة لا بد أن أضايقك
فأسألك :

ألا تبعين لجلالته بعربون محبة ؟

١٨٠

مرجريت : أجل يا سيدي اللورد الطيب : قلباً صافياً نقياً
لم يمسه من قبل حب أبعث به إلى الملك

سافوك : ومعه هذه (يقبلها)

١٨٥ مرجريت : هذه لك أنت : فما اجترئ

على أن أبعث هذا العربون السخيف للملك

(ريبه ومارجريت يدخلان)

سافوك

: لعمري . . لو أنها كانت لي ! ولكن تمهل

يا سافوك

فما ينبغي أن تسلك هذا السبيل الضال المضل ،

فالحياة البشعة والوحوش المفترسة تكمن فيه ،

اخلب لب هنرى بالحديث العجيب في مدحها ،

١٩٠

وصف له فضائلها التي تعلو وتسمو وتضفي ،

ومحاسنها الطبيعية التي تزي بروعة الفن ،

وكرر هذه الصور والأوصاف مراراً وأنت في

البحر العظيم

حتى إذا جثوت لتركع تحت قدمي هنرى ،

سلبت لبه وأثرت فيه بأعجب العجب .

١٩٥

(يخرج)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

(ممسك دوق يورك . في السجو يدخل يورك وويك وآخرون)

(تدخل لا بوسل مع حراسها وراع)

يورك : هاتوا تلك الساحرة المحكوم عليها بالحرق .

(يدخل الكاردينال بووور أسقف وتستر بأناءه .)

راع : آه يا جان إن هذا يسحق قلب أبيك سحقاً !

أبعد أن جبت البلاد قاصيها ودانيها ،

منقباً عنك ،

يشاء لي القدر أن أعثر عليك ،

لأشهد موتك الرهيب الذي حلّ قبل الأوان ؟

آه يا حان يا روح قلب أبيك لأموتن معك !

بوسل : خست أيها المقعد التعس الزرى !

إنما أنا منحدر من دم نبيل

وما أنت بأب لي ولا بصديق .

راع ١٠ : تبال لك ! أيها السادة إن الحق غير الذي تقول .

لقد خلفتها من صلي . وكل الأبرشية الكنسية

تشهد بذلك .

إن أمها لاتزال حية ترزق ، وتستطيع أن تشهد
بأنها أول ثمرة كانت لى قبل أن أتزوج .

وريك : ألا خزيأ لك ! أتذكرين أبويك ؟

١٥ يورك : إن هذا للدليل على نوع الحياة التى قضتها

حياة الإثم والشر والرذيلة ، وهذا ما انتهى بها إلى
الموت

راع : عار عليك يا جان أن يذهب بك العناد هذا

المذهب !

الله يعلم أنك فلذة من كبدى

ولكم ذرفت من أجلك الدموع :

فلا تتنكرى لى بربك ، أيتها اللطيفة ، جان .

٢٠

: إليك عنى أيها الرينى !

بوسل

لقد أفسدتم ذمة هذا الرجل ليطمس مولدى

النيل

: حقاً لقد منحت الكاهن جنيتها « نبيلاً »

راع

غداة زوجنى من أمها .

اركمى ، يا بنيتى ، ودعيني أباركك ،

٢٥

ألا تقبلين ؟ لعنة الله عليك يوم ولدت !

ليت اللبن الذى أرضعتك إياه أملك كان سم
فأر !

أوليتك ، وأنت ترعين لى غنمى ،

افترسك ذئب كاسر !

٣٠

أتنكرين أباك أيتها البغى اللعينة ؟

ألا احرقوها ! احرقوها ! فالشئق جزاء هين لها

(يخرج)

: خذوها فقد عاشت من العمر ما يكفى لأن تملأ

يورك

الدنيا إثمًا وشرًا .

: فلاقل لكم أولا من تكون تلك التى حكمتكم عليها .

بوسل

ما خلفنى ذلك الراعى القروى الجلف

٣٥

ولئما انحدرت من أصلاب ملوك ،

طاهرة مقدسة ، اختارتنى العناية

وحببتنى بإلهام سماوى ،

لأقوم على الأرض بمعجزات خارقة .

وما مارست العمل قط مع الأرواح الشريرة :

٤٠

ولكنكم أنتم الذين دنستكم الشهوات ،

ولوئثكم دماء الأبرياء الطاهرين ،

وأفسدتكم ألف رذيلة ورذيلة ،

ولأنكم يعوزكم الفضل الذى أوتيهِ الآخرون ،
 تحسبون ذلك ضرباً من المحال ،
 وترون ألا يمكن للمعجزات ألا أن تكون من
 عمل الشيطان .

٤٥

كلا أيها المتشككون الظنانون خاطئى التصور !
 إن جان دراك عذارى منذ طفولتها الغضة ،
 طاهرة الذيل ناصعة الصفحة ،

٥٠

نقية من كل دنس حتى فى مجرد تفكيرها .
 ولسوف يصرخ دمها الزكى ، المراق فى قسوة ،
 على أبواب الجنة مطالباً بالثأر .

يورك

: هيا هيا : خذوها إلى الإعدام .

وريك

: ولا تدخروا خطباً ، أيها السادة ، فلائها فتاة
 وفروا الوقود ،

٥٥

وضعوا براميل القار عند عمود الصليب الرهيب
 حتى يكون عذابها قصيراً .

يوسل

: أما من شئ يحرك فى قلوبكم الجامدة الرحمة ؟
 فلتكشنى إذن يا جان عن دائك الخفى
 الذى يوجه القانون لمصلحتك .

٦٠

إننى أحمل فى أحشائى طفلاً أيها السفاكون القتلة ،

فلا تقتلوا الجنين الذى فى أحشائى ،
 وإن كنتم ترجبون بأن تسوقونى إلى موت زؤام .
 يورك : ألا لا قدر له ! العذراء المقدسة حامل !
 وريك : لحق تلك كبرى معجزاتك ! أكل الطهر
 والفضيلة والنقاء

٦٥ ينهى عندك إلى هذا المآل ؟
 يورك : إنها ، وولى العهد ، كانا يمبران .
 وقد قدرت أن يكون هذا ملاذها .
 وريك : خذوها فلن نسمح لأبناء السفاح أن يروا النور ،
 ولا سيما إذا كان شارل هو الأب السفاح كما
 هو مرجح .
 ٧٠ بوسل : إنكم مخدوعون فليس الطفل له وإنما هو لالنسون
 وثمره عشرته ،

يورك : أالنسون ! يا له من ما كيا فيلى سبي السمعة ،
 ستموت ولو كان لها ألف روح .
 بوسل : مهلا فقد خدعتكم :
 فليس الغلام لشارل أو للدوق الذى أسميته ،
 وإنما هو لرينية ملك نابولى .

وريك : رجل مترج !! عفرانك اللهم ! هذا فوق كل احتمال .

يورك : يا لها من فتاة ! أظنها لا تعرف على وجه التحديد

من تنهم منهم فهم كثر !

وريك : هذا دليل الفجور والبغى .
يورك : ومع ذلك فهي عذراء طاهرة !

أيتها البغى ، إن أقوالك تدينك وتدين ولدك ،
٨٠ فلا تتوسلى فما تجدليك التوسلات .

يورك : اذهبوا بى إذن . ولنزل عايكم لعنتى :
ألا لا تشرقن الشمس أبداً أو ترسل أشعتها
فوق بلد تتخذونه وطناً لكم !

٨٥ ويطبق عليكم الظلام ، وظل الموت القاتم ،
حتى تضيقوا بأنفسكم وبالشقاء من حولكم ،
فيدفعكم اليأس فى النهاية إلى دق أعناقكم أو
الانتحار شقاً (تنادى إلى الخارج)

يورك : فلتفتنى بدداً واتذر الرياح رمادك

أيتها الأثيمة اللعينة عميلة الححيم !
(يدخل الكاردينال دوفور أسقف ونشستر بأتباعه)

٩٠ ونشستر

: تحية لك أيها السيد الوصي ،

أحملها لفخامتكم مع خطابات اعتماد من
جلالة الملك .

اعلموا أيها السادة أن الدول المسيحية ،
وقد أتفقت على نفسها من هذه المعارك الدامية ،
توجهت إلينا برجاء حار وناشدتنا أن نبرم
صلحاً عاماً

٩٥

بيننا وبين فرنسا المتطلعة إلى العلا .

ولسوف يقدم هنا إلينا ولى العهد وحاشيته ،
وهما قريبان من هنا ، للتفاوض في الأمر .

يورك

: أو هكذا تكون آخرة الجهود التي بذلناها ؟

بعد ذبح الكثيرين من الأمراء والقادة والسادة
والجنود ،

١٠٠

الذين خروا في الميدان وجادوا بأرواحهم

رخيصة في سبيل سؤدد بلادهم ،

نعتقد صلحاً خائراً ضعيفاً ؟

ألم نفقد معظم المدن والمواقع التي فتحها أسلافنا
العظام

غدرًا وزيفًا وخيانة ؟

وريك . . وريك ! إننى لألح ، والأسى يقطع

١٠٥

نياط قلبي ،

ضياح المملكة الفرنسية كلها ضياحاً تاماً من

أيدينا

وريك : الصبر يا يورك الصبر : فإذا عقدنا صلحاً

فستكون شروطنا شديدة دقيقة وقاسية

بحيث يصعب على الفرنسيين أن يجنوا منها شيئاً

١١٠

(يدخل تارل والنسون والدعى ورينيه)

شارل : أما وقد اتفق ، أيها اللوردات الإنجليز ،

على الصلح وعلى إعلان الهدنة في فرنسا ،

فقد جئنا لنعرف منكم شروط هذا الاتفاق .

يورك : تكلم ، يا ونشستر ، فإن سورة الغضب

تخفق حنجرة صوتى المسموم

١١٥

لمرأى هؤلاء الأعداء الأوغاد .

ونشستر : هاكم قراراتنا يا شارل أنت ومن معك :

بدافع من العطف والرحمة ، وافق الملك هنرى

على ما يأتى :

أن يرفع عن كاهل وطنكم نير الحروب الهائلة

المؤسفة

١٢٠

ليتاح لكم استنشاق الصلح المثمر ؛
على أن تكونوا أتباعاً مخلصين لعرشه ،
وعلى أن تقسم . أنت ياشارل ، على أن تؤتي
الجزية ،

وأن تخضع له خضوعاً تاماً .
فتكون نائباً عنه وتظل محتفظاً بمقامك الملكي .

١٢٥ ألسون

: أينبغي إذن أن يكون مجرد ظل لنفسه ،

يزين جبينه تاج ،

ثم لا يكون له من النفوذ والسلطان

إلا ما يكون لفرد من العامة ؟

إن هذا العرض سخيف لا يقبله العقل .

شارل

: لقد عرف الناس أنني أمتلك حتى الآن

أكثر من نصف أراضي بلاد الغال .

١٣٠

وأن الناس هناك يدينون لي بالولاء بوصفي ملكهم

الشرعي :

فهل من أجل كسب الجزء الباقي ، الذي لم

يقهر بعد ،

أجنس نفسي حقها وامتيازها ، لا لشيء

إلا أن يكون اسمي نائباً عن الملك في كل البلاد ؟

كلا يا سيدى السفير انى لأفضل أن أحتفظ
بما أملك

على أن أضيع الأمل فى الحصول على الكل
طمعاً فى الحصول على قدر أكبر مما عندى الآن.

يورك : يا للقحة يا شارل ! أتسعى بالوساطات والشفاعات
سراً للحصول على الصلح ؛

ثم عند إجراء التسوية الودية
تقف موقف الموازن المتخير صاحب رأى ؟
إما أن تقبل اللقب الذى تغتصبه
من فضل مليكنا المنعم ببهاته
بلا أى حق مكتسب لك فيه ؛
وأما أن نبثليك بحروب نشنها عليك من غير
انقطاع .

رينيه (حانبا) : ليس من صالحك يا سيدى العناد والاعتراض
فى الوقت الذى نتعاقد فيه :
وإذا نحن أهملنا هذا العرض ، فأغلب الظن
أن مثل هذه الفرصة لن تسنح مرة أخرى .

١٥٠ النسون (جاناً): (جانباً) الحقيقة أن الواجب عليك وعلى سياستك

أن تنفذ رعاياك من مثل المذابح والمجازر

التي يتعرضون لها كل يوم؟

بسبب استمرارنا في الأعمال العدوانية .

لذلك أرى أن تقبل اتفاقية الهدنة هذه ؟

١٥٥ على أن تنقضهما متى شئت ، وكان ذلك في صالحك .

وريك : ما قولك يا شارل ؟ أشرطنا مقبول ؟

شارل : لا بد أن أقبله ولن أشرط عليكم

غير ألا تطالبوا بأى حق لكم في مدنتنا المحصنة

يورك (يمد مقبض يمينه): فلتقسم إذن يمين الولاء لجلالته ،

١٦٠ بحق فروسيتهك ألا تشق عصا الطاعة ، أو تثور

على عرش إنجلترة ، أنت ونبلاؤك .

(شارل يصع يده فوق مقبض السيف)

سرح إذن جيشك في الوقت الذي تراه ،

وانزع أعلامك وشعائك

ولتصمت طبولك لأنك تستقبل صلحاً رسمياً ،
عظيماً خطيراً . .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

لندن . القصر الملكي

(يدخل ماثوك في حديث مع الملك ، وجلوستر واكستر)

الملك : إن وصفك البارع النادر لمجريت المتألقة
الجمال

قد أخذ بلي أيها الإيرل النبيل
ففضائلها التي يزينها ما وهبها الله من الحسن
وجمال الشكل

لتبعث عواطف الحب الكامنة في قلبي .

فإذا أنا كالسفين الضخم الجبار
الذي تتقاذفه الرياح العاتية ، والعواصف الهوج ،
وسط أمواج البحر المتلاطمة ؛

تدفعني بدل الرياح أنفاس من شهرتها . .
فأما إلى الغرق والهلاك

وإما أن أصل إلى حيث أحظى بنعيم حبها .

سافوك : إن الذى سمعته ، يا مولاي ، من وصف

محاسنها

ليس إلا مقدمة لما هى عليه من رفعة شأن .
ولو أننى كنت على حظ طيب من المهارة فى
الوصف

لألت مجلداً خلاب السطور

بالخلال الأصيله التى تمتاز بها هذه الحساء ،

١٥

كفيلاً بأن يلهب أبلى خيال :

وهى فوق ذلك بعيدة عن أن تكون متعالية ،
بعيدة عن أن تزهى بكل هذه الصفات الطيبة ،
وهى ذات طبع سمح ، وتواضع حقيقى ؛

٢٠

يُشعرها بالسعادة فى أن تكون طوع أمرك
وأعنى بذلك أمرك فى كل ما هو سام وظاهر ،
فى أن تحب هنرى وتحترمه احترامها سسيدها

: لن أبغى شيئاً خيراً من هذا ؟

الملك

فلتوافق يا سيدى الوصى إذن على أن تكون
مرجريت ملكة لإنجلترا الجلييلة .

٢٥

: إننى إن وافقت فكأنى أوافق على إقرار الإثم .

جلوستر

أنت تعلم يا مولاي أن سموك مخطوب لسيدة

أخرى رفيعة الشأن :

فكيف نتخلص من هذا العقد

دون أن تعرض شرفك للثلم .

٣٠ سافوك : شأنه شأن الحاكم في موقفه من عهد غير قانوني ،

أو شأن ذلك الذي تعهد بأن يحارب إثر إعلان

نصر ،

ثم تخلى عن الميدان عند ما أيقن

بعدم التكافؤ بين قوته وقوى العدو .

وبذلك يمكن نقض العهد دون أن يكون في

ذلك ضرر .

٣٥ جلوستر : وبم ترجحها مرجريت في ذلك ؟

إن أباها ليس أفضل من إيرل

وأن يكن غنياً بالألقاب الفخمة الرنانة .

٤٠ سافوك : بلى يا مولاي إن أباها الملك ،

ملك نابولي وبيت المقدس ،

وله من النفوذ الكبير في فرنسا ما يجعل

التحالف معه

سبيلاً لتوطيد دعائم الصلح ، واستمرار الفرنسيين

على الولاء

جاوستر : يستطيع إيرل أرميناك أن يفعل ذلك أيضاً ،
فصلة القرى التي تربطه بشارل صلة دانية
قريبة

إكستر : فضلا عن أن ثروته تمكنه من تقديم مهر
طيب ،

بينما رينيه ألبق بأن يأخذ ، منه بأن يعطى . ٤٥

سافوك : مهر أيها السادة ؛ بالله لا تحطوا من قدر ملككم
فتجعلوه من الوضاعة والفقر

بحيث يختار عروسه لثروتها لا للحب الحقيقي .
إن هنرى قادر على أن يغنى ملكته
لا أن يبحث عن ملكة تغنيه . ٥٠

إن أجلاف الريفين هم الذين يسامون على
زوجاتهم ؛

كما يسامون السوق على ثيرتهم ، وأغنامهم ،
وخيلهم ؛

والزواج أمر أجل شأننا من أن نبت فيه بالوكالة
أو التفويض .

إن التى يهفو قلب جلالته إليها ، لا التى
نريدها نحن ،

هي التي ينبغي أن تشاركه فراش العرس .
لذلك أرى ، أيها السادة ، أن يقع اختيارنا
على من تحظى منه بالميل .

فإن ذلك هو الاعتبار الملزم لنا قبل سواه .

وهل الزواج المفروض إلا جحيم . . . :

بل إنه لحياة تنقضى بين العراك والشقاق
المستديم ؟

بينما زواج الاختيار يجلب النعيم ،

وهو صورة من السلم القدسي المقيم ،

ومن تلك التي يمكن أن تكون كفؤاً لهنرى

وهو ملك

غير مرجريت وهي ابنة ملك ؟

فإن جمالها الذي لا نظير له مزيناً بكريم محتدا

ليجعلها كفؤاً لملك ؛ ولملك ليس غير :

إن في شجاعتها الفائقة ، وفي روحها

الذي لا يعرف الخوف أو النكول ،

مما يندر وجوده في النساء

لتحقيقاً للأمل الذي نتطلع إليه

فى نسل الملك ؛ وما يجب أن يكون عليه .

فهنرى وهو ابن فاتح غاز ،

لحرى أن ينبج غزاةً فاتحين .

إذا اقترن فى الحب بسيدة ماضية العزيمة

كمرجريت الحسناء .

سلموا أيها السادة . وخذوا آخر الأمر برأى

٧٥

أن تكون الملكة هى مرجريت دون غيرها .

: لست أدرى هل ذلك راجع لبلاغة شهادتك ،

الملك

أيها اللورد النبيل سافوك ،

أو لأن شبابى الغض لم يعرف من قبل عواطف

الحب الملتبهة .

ولكن الذى أدريه هو أن نزاعاً حاداً يضطرم

فى صدرى ،

٨٠

بين عواطف الأمل والخوف ،

فأرهقنى وهذ قواى وأنا أبحث عن رأى أستقر عليه .

فأبحر أيها اللورد إلى فرنسا

واعقد ما ترى من اتفاق ، حتى تيسر الأمر

للآنسة مرجريت ، لتتعطف بالحضور

٨٥

فتعبر البحار إلى إنجلترا ،

لتنوج « الملكة الآمنة المباركة » للملك هنرى :

ولأداء نفقاتك وكافة ما يلزمك

حصل من الشعب عشراً من العصور .

سر على بركة الله ، وإلى أن تعود ،

٩٠

سأكون نبهاً للوساوس والهموم .

وأنت أيها العم الطيب انف الإساءة من فكرك :

إن كنت تلومنى باعتبار ما كنت ، لا باعتبار

ما أنت عليه الآن ،

فلنأى أعلم أنك ستغفر لى هذا التنفيذ المفاجئ

لرغبى .

والآن خفف عنى عنت الراق ،

٩٥

ونخذنى إلى حيث أستطيع التدبر والتأمل فى

همومى .

(يخرج)

: أجل ، الهموم ! لكم أخشاها أن تكون هى

جلوستر

البداية والنهاية .

(يتبعه جلوستر وأكستر)

: وهكذا رجح رأى سافوك

سافوك

وها هو ذا يذهب كما ذهب مرة باريس (١)

الشاب إلى اليونان

آملا أن يجد في الحب كل ما لقي باريس ،

١٠٠

ولكن على أن يكون له نصيب من النجاح

أوفر من نصيب هذا الطروادى .

ستصبح مرجريت ملكة ، لأنها ستحكم

الملك ، وتسيطر عليه

ولكننى أنا الذى سيسيطر عليها وعلى الملك وعلى

المملكة .

(١) باريس الطروادى فى الأسطورة اليونانية القديمة هو ابن بريام Priam وعنده « هيرا » بالسلطان وأثينا بالهجة وافروديت بالحب فاختر الحب وبكتته افروديت من أن يخطف هلين من زوجها منيلاوس Menelaus وكان هذا سبباً فى الحروب الطروادية وسقوط طروادة ، ففسر بذلك حلم أمه وهى حامل به ، من أنه سيحرب طروادة .

هُنَرِي السَّادِسُ

الجزء الثاني

ترجمة

مصطفى حبيب

مراجعة

الدكتور محمد عوض محمد الدكتورة سهير القلساوي

الجزء الثانى

من مسرحية الملك هنرى السادس

مسرع الحوادث — إنجلترة

* * *

أشخاص المسرحية

Henry VI	الملك هنرى السادس
Humphrey	همفري دوق جلوستر
Beaufort	الكاردينال بوفورت
Richard Plantagenet	رتشارد بلانتاجنت
Edward and Richard	إدوارد ورتشارد
Somerset	دوق سمرست
Buckingham	دوق بكنجهام
Suffolk	دوق سافوك
(Chifford)	ابنه
Salisbury	إيرل سالسبورى
Warwick	إيرل وريك

Scales	لورد سكيلز	حاكم القلعة
Say	لورد ساي	
Humphrey and William Strafford	سير همفري ستافورد	ووليم ستافورد أخوه
Staulcy	سير جون ستانلي	
Vaux	فو	
Matthew goffe	سير ماتيو جوف	
Walter Whitmore	ملازم بحار، مساعد البحار ! وولتر ويتمور	
John Hume & John Southwell	سيدان ومساجين مع سافوك	
Bolingbroke	جون هيوم وجون ساوثل قسيسان	
	بولنبروك ساحر	
	روح يحضره هيوم	
Peter	توماس هورنر	سياف وتابعه بيتر
Alban	كاتب تشاتام	وعمدة سانت أولبان
	سمبكوكس	محتال
	الكسندر ايدن	سيد من كنت .
	جاك كيد	ثائر
Dick	جورج بنز	وديك
Holland	جورج بنز	وجون هولاند
Michael	وسميث	.. إلخ ،
Smith	أعوان الثائر كيد	

قاتلان

Margaret	الملكة زوج الملك هنرى	مرجريت
Eleanor	دوقة جلوستر	إليانور
Margaret Jourdain	ساحرة	مارجريت جوردين
(Simpxoc)		زوج سميكوكس
لوردات وسيدات وحشم ، وأصحاب حاجات ، مناد ، قواص ، شريف ،		
وضباط ، ومواطنون ، وصبيان الصناعة ، حراس ، وجنود ، رسل إلخ . .		

الجزء الثانى
من مسرحية الملك هنرى السادس

مع قصة موت الدوق الطيب همفري

وكانت تسمى من قبل

الجزء الأول

من النزاع بين أسرى يورك ولانكستر

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن . القصر

قرع طبول ، ثم تعزف المزامير — يدخل الملك من ناحية إلى جانبه همفري دوق
جلوستر ، وسانسبورى ووريك والكاردينال بوفور ، ومن الناحية الأخرى ، الملك وسافوك
ويورك وسمرست وبكنجهام .

سافوك : امتثالاً لما عهدتم إلىّ يا صاحب الجلالة

الأمبراطورية

عند سفري إلى فرنسا ، من زواج الأميرة مارجريت

بوصفى وكيلا عنكم

قد أدت مهمتى فى مدينة «طور» القديمة
الشهيرة ،

وأنتمت مراسم الزواج ،

بمحضور كل من ملكى فرنسا وصقلية ،

ودوقات أورليانز^(١) وكالابر^(١) وبريتانيا^(١)

والنسون ،

وعلى مشهد من سبعة أشرف بربقة إيرل ،

واثنى عشر بارونا وعشرين من الأساقفة

الموقرين .

وهأنذا بكل خضوع يا مولاي أجثو على

ركبى ،

على مشهد من إنجلترا وسادتها من اللوردات

لأقدم بين يديك الكريمتين - هذه الملكة ،

الى زوجها وكيلا عنك ؛

وتلك أعز هدية يهديها نبيل لمولاه ،

وأجمل ملكة تلقاها ملك ، أبد الدهر ،

وما كنت فى هذا سوى ظل لشخصكم ،

الملك : انهض ، يا سافوك . . . ومرحباً بك
أيتها الملكة مرجريت .
إن هذه القبلة لى أرق ما أملكه من تعبير
عن حبي .

وأنت يا إلهى يا واهب الحياة ،
هبنى قلباً يملؤه الجهد !
فقد أسبغت على بهذا المحيا الجميل
عالمًا من النعيم ،

٢٠

لو أن حبنا المشترك استطاع أن يؤلف بين
أفكارنا .

الملكة : أى ملك إنجلترة العظيم ، ويا مولاي الكريم ،
إن الأفكار التى كانت تتجاوب بين عقلى
وبينك ،

٢٥

فى إصباحى وإمسائى ، فى يقظتى ومنامى ،
وفى محافل القصر ، وفى صلواتى ،
أى مولاي الأعز ، لتشجعنى
على أن أحبيك ، يا مايكى ،
بما تستطيعه قريحتى ، على قصورها فى التعبير ،
عما يفيض به القلب من سعادة وغبطة .

٣٠

الملك

: إن محياها سبي عقلى ، ولكن رقها فى حديثها ،
الذى يزينه العقل والحكمة
تنقلنى من بهرة الإعجاب إلى بكاء الفرح .
إن هذا إلا غاية المنى .

٣٥

أيها اللوردات ، حيوا جميعاً محبوبتى فى صوت
واحد ملؤه الفرح .

الجميع (يبحون) : عاشت الملكة مرجريت ، مصدراً لسعادة إنجلترا .
الملكة : نشكركم جميعاً . (قرع طول)

سافوك : سيدى الوصى إن أذنتم يا صاحب الفخامة

فإنى أقدم إليكم نصوص اتفاقية الصلاح ،

التي تعاقد عليها ملكنا وشارل ملك فرنسا ،

ومدتها ثمانية عشر شهراً باتفاق الطرفين .

جلوستر : (يقرأ)

أولاً : تم الاتفاق بين شارل ملك فرنسا ووليم

دى لابلول مركيز سافوك سفير الملك هنرى

ملك إنجلترا على أن الملك هنرى المذكور

٤٥

سيتزوج من النبيلة مرجريت ابنة رينيه ملك

نابولي وصقلية والقدس ، وأنه سيتوجها ملكة على

إنجلترا قبل اليوم الثلاثين من شهر مايو التالى

لهذا الشهر . . . (مادة) : وأن دوقية « أنجو » ^(١)

ومقاطعة « مين » ^(٢) يتخلى عنهما ويسامان إلى

والدها الملك . . . (يسقط الورقة من يده)

٥٠

الملك : ما هذا يا عماء ؟

جلوستر : عفواً يا مولاي العظيم ؛

لقد انتابني غثيان مفاجئ في القلب

فأظلمت عيني ، ولم أعد أستطيع مواصلة

القراءة .

٥٥

الملك : أرجوك يا عماء لورد ونشستر أن تواصل القراءة .

الكاردينال : (يقرأ) مادة . . . وتم الاتفاق بينهما أيضاً

على أن يتخلى عن دوقيتي أنجو ومين وأن

تسلما لوالدها الملك ، وأن تحمل الأميرة على نفقة

ملك إنجلترا الخاصة ، فهو يضطلع بكل

٦٠

نفقاتها دون أن تدفع هي أى مهر . »

الملك : هذه شروط تحوز غاية رضانا يا سيدي

المركيز . . . (احث) . . .

إننا نخلع عليك لقب أول دوق لسا فوك ،

ونمنطقك بالسيف . . . وأنت يا بن العم
دوق يورك ،

٦٥

إننا نعفيك من أن تكون نائباً عنا
في تلك الأنحاء من فرنسا ، حتى تنتهى فترة
الآشهر الثمانية عشر . . .
شكراً لكم أيها الأعمام لوردات ونشستر وجاوستر
ويورك وبكنجهام وسمرست

٧٠

وسالسبورى ووريك
نشكركم جميعاً على حسن صنيعكم ،
بجفاوتكم بملكى سليله المجد .
والآن هلم ندخل ولنستعد بأقصى سرعة
لنتم مراسم تتويجها .

(يخرج الملك ومعه الملكة ودوق سافوك ويوق جلوستر
والآخرون)

٧٥ جلوستر

: يا نبلاء إنجلترا الأعجاذ ويا عمُسد الدولة ،
إليكُم أيها اللوردات يفضى دوق همفرى بأحزانه ،
بل بأحزانكم ، بل بأحزان الوطن جميعاً
ما معنى هذا ! ؟ وفيم أنفق أخى هنرى شبابه
وشجاعته وماله وشعبه فى الحروب . . ؟

وفيم كان ما قضاه من أيام كثيرة في ميادين القتال

٨٠

يختلف عليه برد الشتاء وحر الصيف . . ؟ !
أما كان هذا لغزو فرنسا ، واستعادة ميراثه الشرعى فيها ؟

وفيم كان يجهد أخى بلفورد ذكاءه ؟
أليس هو ليحفظ بالسياسة ماماكه هنرى بالسيوف ؟
وفيم كان ما أصبتم به أنتم أنفسكم أى سمرست ،
وبكنجهام ،

٨٥

وأنت أيها البطل يورك وأنت يا سالسبرى وأنت
أيها المظفر وريك ،
فيم كان ما أصبتم به من جراح عميقة في فرنسا
ونورماندى . . ؟ !

وفيم كان انكبنا أنا وعمى بوفورت
مع أعضاء مجلس الدولة من العلماء على الدرس
نقضى الساعات الطوال في المجلس

٩٠

بكورة وعشية ، نناقش ونقلب الأمور على
وجوهها

لنرى كيف نستطيع أن نبقي فرنسا والفرنسيين

على حال من الخوف والوجل . . .
وفيم كان تتويج جلالته في طفولته
في باريس رغما عن الأعداء ؟ .

هل تذهب سدى كل هذه الجهود ، وتمحى
من الوجود صفحات فخارنا ؟ .

٩٥

وهل تضعيع هباء غزوات هنرى وكياسة
بدفورد ،

ومعالم فعالكم الحربية وكل جهود مجلسنا . . . ؟
يا نبلاء إنجلترة ، إن هذا الميثاق خزى كله !
وهذا الزواج شؤم يقضى على مجدكم ،

ويمحو أسماءكم من سجل الخلود ،

١٠٠

ويستأصل سجل أجدادكم من الوجود ،

ويشوه آثار غزوكم لفرنسا المهزومة ،

ويمحو جميع أعمالكم وكأن شيئاً منها لم يكن
قط .

الكاردنال : يا ابن أختى ما معنى كل هذه الخطبة الحماسية ،

وماذا وراء هذه الشقشقة البلاغية بكل ما حوت

من ملابسات ؟

١٠٥

إن فرنسا ملكنا وما زلنا نحفظ بها .

: أى والله يا عمى سنحتفظ بها إن استطعنا
أما الآن فذلك مستحيل ، لقد أعطى سافوك
الدوق الحديد ، صاحب السطوة غير منازع ،
دوقيتي « أنجو » « ومين »

١١٠

الملك رينيه الفقير الذى لا يتناسب بذخ معيشته
مع ضآلة موارده .

سالمسورى : بحق السيد المسيح الذى مات فى سبيل خلاص
البشرية جميعاً

لقد كانت هاتان الدوقيتان مفاتيح غزو
نورماندى . . .

ولكن لماذا تبكى ، يا وريك ، أى ولدى
الجبور ؟

١١٥

وريك : أبكى حزناً لأن استردادهما بات أمراً محالاً :
فلو أن هناك أملاً فى إخضاعهما مرة أخرى
لسفك سيفى فى سبيلهما الدم الحار فتكف
عينائى عن سكب الدموع . . .

أنجو ومين لقد أخضعتهما بنفسى . . .

هاتان الدوقيتان قد غزتهما ذراعائى ، هاتان ؛
هاتان المدينتان اللتان ظفرت بهما بالحرب

١٢٠

تسترد الآن نظير كلمات باردة ، تقال .
واحراً قلباه .

يورك : إن الأمر بالنسبة لدوق سافوك ، سفلك
الله دمه ،

١٢٥ فإن هذا يشوه مجد هذه الجزيرة المحاربة الباسلة :
لقد كان على فرنسا أن تمزق قلبي وتقطع نياطه ،
قبل أن أسلم لها بمثل هذا الميثاق .

وما قرأت في حياتي قط إلا أن ملوك إنجلترا
كانوا يتلقون مبالغ ضخمة من الذهب ،
ومهوراً وفيرة مع زوجاتهم ؛
١٣٠ أما ملكنا هنرى فقد نزل عن حقه

ليبنى بهذه التى جاءته خالية الوفاض .

جلوستر : إنها لعبة ماهرة لم نسمع بمثلها من قبل ،
أن يطالب سافوك بجباية ضريبة^(١) ملكية
الممتلكات الشخصية

أداء لنفقات نقلها إلى هنا !

١٣٥ فباليها أقامت فى فرنسا ،

ويا ليتها هلكت فيها قبل . . .

(١) كانت تفرض ضريبة تساوى $\frac{1}{10}$ من قيمة الممتلكات الشخصية تجبى كل عام .

الكاردينال : سيدى ، لورد جلوستر ، لقد اشتدت ثورتك :
وما حدث لم يكن إلا بناء على رغبة مولاي
الملك .

جلوستر : سيدى ، اللورد ونشستر ، إنى أدرك ما يحول
بخطرك ؛

١٤٠ فليست أحاديثى هى التى لا تروقك ،
بل إن وجودى هو الذى يشق عليك .
... إن الحقد سينفجر ... أيها الأسقف
المتعجرف

إنى أرى الضغينة فى وجهك ، ولو طال بى المقام
لاستأنفنا من جديد خصوماتنا القديمة

١٤٥ ... أيها اللوردات وداعاً ، ولتقولوا حين أذهب
إننى تنبأت بأننا سنفقد فرنسا عما قريب .
(يخرج)

الكاردينال : هكذا أيها السادة يخرج الوصى فى سورة غضب ،
وإنكم لتعلمون أنه عدوى ،
بل أكثر من ذلك ، إنه عدوكم جميعاً ،

بل أخشى أن أقول إنه ليس صديقاً مخلصاً
للملك .

١٥٠

... قدروا ، أيها اللوردات ، إنه التالى
للملك فى سلسلة النسب ؛

وإذن ، فهو الوريث غير مدافع لعرش
إنجلترا ،

فلو أن هنرى ظفر بإمبراطورية بهذا الزواج ؛
وامتلك به كل ممالك الغرب الغنية ؛

لكان فى ذلك ما يثير غضبه وغيرته .

١٥٥

... تدبروا الأمر أيها اللوردات ولا تدعوا

كلماته المعسولة تسحر قلوبكم . بل كونوا
حكماء حذرين

وإني لأخشى أيها اللوردات على الرغم من أن
العامة تؤثره وتحبه ،

وتناديه « همفرى » دوق جلوستر ، الطبيب ،

وتصفق له وتشق حناجرها هتافاً :

١٦٠

فليحفظ الله ذاته الملكية !

وليبق الله الدوق همفرى الطبيب !

أخشى ، أيها اللوردات ، أن هذا الإطراء
البالغ ؛
سيجعل منه وصياً خطراً ،

بكنجهام : فيم إذن بقاؤه وصياً ؟

والمالك قد بلغ من العمر ما يستطيع معه أن
يحكم بنفسه ؟ ١٦٥

فلتنضم إلىَّ يا ابن العم ، سمرست ،
وانعمل جميعاً متحدين مع دوق سافوك
لنستطيع سريعاً أن ننحى دوق همفري عن
مركزه .

الكاردينال : إن هذا العمل الخام لا يحتمل الإرجاء ؛

وسأسارع إلى دوق سافوك في الحال . ١٦٥
(يخرج)

سمرست : ألا ترى يا ابن العم بكنجهام
أنه برغم كبرياء همفري وعلو مكانه ،
وما قد يسبب ذلك لنا من الحزن والضيق ،
فإن الواجب يدعونا أن نحذر هذا الكاردينال
المتعجرف

فإن وقاحته ، التي فاق فيها أمراء هذه البلاد
جميعاً ، باتت لا تحتمل .

وفضلاً عن هذا فإنه لو نحى جلوستر ، عن
منصبه ،

١٧٥

لأصبح هذا الكاردينال هو الوصى .
بكنجهام : بل قد تصبح أنت يا سمرست ، أو أنا الوصى
على العرش

رغم أنف دوق همفري والكاردينال .
(يخرج بكنجهام وسمرست معاً)

سالمسبوري : ما دام الكبرياء قد تقدم فلا بد أن يتبعة
الطموح .

١٨

وما دام هذان يعملان لصالحهما
فالواجب يدعونا أن نعمل نحن للوطن ،
فما عهدت همفري دوق جلوستر
إلا سالكاً معه مسلك السيد النبيل ،
أما الكاردينال المتعجرف

١٨٥

فهو أدنى خلقاً إلى الجندی ، منه إلى رجل
الكنيسة ،
فهو صلف متعال ، وكأنما هو سيد الناس جميعاً ،

يقذف باللعنات وكأنه بعض السوق وينحط ،
إلى الدرك الأسفل ،

وأيس فيه سمة من سمات الحاكم .

أى ولدى ، وريك ، يا ملاذ شيخونختي

إن فعالك وصراحتك وكرمك

١٩٠

قد أكسبتك الخطوة الكبرى لدى الشعب ،

وليس يبرزك في هذا سوى الرجل الطيب الدوق

همفري ،

وأنت يا أخى يورك إن فعالك في أيرلندا ،

وإخضاعك إياها وغزواتك الأخيرة التي قمت

بها في قلب فرنسا ،

عند ما كنت حاكماً من قبل الملك عليها ،

١٩٥

جعلت الناس تخشاك وتعظمك :

فلنوحدهم معاً من أجل الصالح العام ،

ولنعمل ما استطعنا لنكبح جماح كبرياء سافوك

والكاردينال ،

ونقمع مطامع سمرست وبكنجهام ،

ولنبذل غاية جهدنا في تأييد أعمال الدوق

٢٠٠

همفري

ما دمت ترمى إلى خير البلاد .

وريك : إن وريك يعاهد الله

على حب الوطن والسعى لخير الوطن !

يورك : (جابيا) وبمثل هذا يقسم يورك ، فإن له

أكبر الشأن في ذلك الخلاف . ٢٠٥

سالسبورى : فلنسارع إذن وانعن بالأهم .

وريك : الأهم يا أبتى قد ضاع ، فإن « مين » قد

ضاعت ،

« مين » التى كسبها وريك بقواته الأصيلة

وفرسانه الميامين

والتي كان يؤثر الاحتفاظ بها ما بقى فيه عرق

ينبض ،

إنك تعنى بالأهم ، الأهم من الأمور يا أبتى ؛

٢١٠

ولكننى عنيت بالأهم دوقية « مين »

ألتى سأفوز بها من فرنسا أو أقتل دونها .

(يخرج وريك وسالسبورى تاركين يورك وحيدا)

يورك : لقد سلمت « أنجو ومين » للفرنسيين ،

وضاعت باريس ، وأصبحت ولاية نورماندى .

في موقف حرج .

ضاعت جميعاً الآن . فقد أمضى سافوك مواد
الاتفاق

وأقرها الاوردات ، وسر هنرى أيماسرور
باستبدال ابنة دوق جميلة بدوقيتين ؛
ولست ألومهم جميعاً فى ذلك ؛ فماذا تعنى هاتان
الدوقيتان بالنسبة إليهم ،
لأنها أملاكك أنت يا يورك التى يتصرفون فيها
وليست أملاكهم .

والقراصنة يبيعون بثمان بخس ما ينهبون ،
ويظلون يكتسبون الأصدقاء ، ويغدقون على
البغايا ،
ويعربدون ، وكأنهم نبلاء عظماء ، حتى
يذهب كل شىء .

فى حين يظل أصحاب المتاع المسلوب التعساء
ينظرون إلى متاعهم وهم يبكون ويضربون
بكفوفهم الحاوية ،

ويهزون رؤوسهم حسرة ، ويرتعدون وهم وقوف
بمعزل ،

وأسلابهم تقسم على مرأى منهم وتحمل بعيداً عنهم

وهم معرضون للهلاك جوعاً ، وليس في وسعهم
 أن يمسوا ما ملكت أيديهم . .
 هكذا كتب على يورك ، أن يأمن ويحزن
 ويغضب ويعض بنابه ،
 على حين يسامون على أملاكه ، وتباع على
 مرأى منه .

إن أراضي إنجلترا وفرنسا وأيرلندا لتتصل بلحمي
 ودمي ،
 وترتبط بي بتلك الصلة المشؤومة التي كانت بين
 الشعلة المميتة
 التي أشعلتها آليا وبين قلب الأمير كالدون^(١) .
 « أنجو » و « مين » أعطيتا
 لفرنسا كلتاهما ،

يا لها من أنباء قاتلة يجمد لها الدم في عروقي .
 لقد كان لي في فرنسا أمل لا يقل عما أرجوه
 من إنجلترا الخصبية .

(١) كالدون : الأمير كالدون (هو مليجر بن اينوي وآليا) وقد حكم عليه القا
 بأن يموت بمجرد احتراق كتلة من الخشب معينة في المدفأة التي أشعلتها أمه .

وسياتى اليوم الذى يطالب فيه يورك بما كان
يملك

فلأبادر بالانحياز إلى جانب آل نيفل^(١) ،

ولأنظاهر بالحلب لدوق همفرى المتعالى

وحين أجد الفرصة المواتية أطالب بالتاج ،

فهذا هو الهدف الذهبى الذى أسعى لبلوغه ،

٢٤٥

ولن يستطيع لانكستر المتعجرف أن يغتصب

حقى ،

ولا أن يقبض بأصابعه الواهنة على الصوبلجان

ولا أن يضع على رأسه التاج ،

فإن نزعته الكنسية لا تؤهله للملك —

إذن فلتتريث فترة ، يا يورك ، حتى تواتيك

٢٥٠

الفرصة .

وارقب الأمور ، وكن يقظاً على حين يغفل

الآخرون .

ونقب عن كل أسرار الدولة ،

حتى يغرق هنرى إلى أذنيه فى متع الحب ،

(١) آل نيفل : آل ريتارد ديميل أى لورد «أول» إيرل وريك .

مع عروسه الجديدة التي اشتريتها بإنجلترا بثمان
باهظ .

وللى أن تقع الفارقة بين اللوردات ، وبين
همفري .

٢٥٥

سأرفع عالياً الوردة البيضاء الناصعة ،
فيعطر أريجها الجو ،

وأضع على رايتي شارة بيت « يورك » ،
وأناضل بيت ، « لانكستر »

وأحملة بالقوة على أن يسلم لى التاج .

٢٦٠

فقد دفع حكمه ، غير المحجرب ، بإنجلترا العزيزة
إلى الخضيض .

* * *

الفصل الأول

المنظر الثاني

في منزل دوق جلوستر

(يدخل دوق همفري وزوجه إليانور)

الدوقة : ما بال سيدى اللورد مطرقاً ؛ كسنبلة القمح

التي جاوزت النضج ،

ومالت برأسها ، من ثقل ما حملتها «سيريز»^(١) :

وما لاورد همفري العظيم يقطب حاجبيه غضباً ،

كأنما هو يتجهم لنعم الدنيا ؟

ولماذا تثبت عينيك في الأرض الكالحة

محددقاً فيما يكاد يعشى البصر ؟

ما الذى تراه فيها ؟ أو تبصر تاج الملك هنرى

وقد رصع بجواهر سيريز لكل أمجاد الدنيا . . .

إن يكن الأمر كذلك فأدم النظر ،

(١) Ceres سيريز : إلهة الأرض وهي التي تثبت الزرع وتشر الخصب .

١٠

وانكبّ على وجهك . حتى يحيط برأسك

تاج مثله ،

وامدد يدك لتتناول هذا التاج الذهبي المجيد . . .

ماذا ! أو تقصر يدك عن أن تبلغه ؟

إذن سأصل بيدك بيدى حتى إذا ما رفعناه معا

سمونا برأسينا إلى السماء

١٥

ولن نخفض بصرنا بعد ذلك إلى الخضيض ،

أو نتنازل فنمنح الأرض نظرة واحدة منا .

جلوستر

: نل . . . نل أيها الحبيبة ! إذا كنت حقا

تحين بعلمك

فأبعدى عنك وباء المطامع الفتاك . ولو أن

خاطرا شريراً خطرتى ينطوى على مجرد تخيل الإضرار

للميكى وابن أخى هنرى البار

٢٠

لتمنيت أن يكون هذا الفكر آخر أنفاسى فى

هذا العالم الفانى .

وأؤكد لك أن أحلامى المقلقة ليلة أمس هى

سر حزنى وضيقى .

الدوقة

: وبماذا حلمت يا مولاي ؟ نبشنى وأنا كفيلة بأن أسدد

لك حسابها

حين أراجعها على أحلامي الحلوة في هذا
الصباح .

٢٥ جلوستر

: رأيت كأن هذه العصا وهي شعار منصبي في
القصر

قد انكسرت شطرين ، وقد أنسيت مَنْ كسرها
وإن كنت أظن أنه الكاردينال .

ورأيت على شطري العصا المكسورة
رأسي آدموند دوق سمرست

٣٠

وليم دي لا بول أول دوق سافوك . . .

هذا هو الحلم الذي رأيت ، وليس يعلم تأويله
إلا الله .

الدوقة

: لا عليك يا مولاي فلا شيء في هذا إلا دليلاً

على أن من يحاول كسر عصا من بيت جلوستر
سيطاح رأسه عقاباً له على تطاوله .

٣٥

ولكن اصغ إلى الحلم الذي رأيته
يا عزيزي همفري يا دوق الحبيب

لقد رأيت كأنما أجلس في مقعد الملك

في كنيسة الكاتدرائية وستمنستر ، وفي المقام
نفسه

الذى يتوج فيه الملوك والملكات ،
وقد جثا أمامى هنرى وزوجه مرجريت
وألبسانى التاج فوق رأسى .

٤٠

جلاوستر : لا يا إليانور ! إنك تستحقين التأنيب فوراً
أيها المتطاوله المغرورة ، سيئة الأدب .
... أأست يا إليانور السيدة الثانية فى المملكة

٤٥

وزوج الوصى وحبيته ؟
أو ليست المسرات وبهاج الدنيا
وما لا يدركه خيالك ،
أو يخطر ببالك ، كله طوع بنانك ،
ومع ذلك لا تزالين تضميرين الغدر وتدبرين
الحيانة ،
لتقضى على زوجك وعلى نفسك ولتسقطى
زوجك

٥٠

من ذروة المجد إلى درك العار ؟
إليك عنى وكفى عن أحاديثك هذه .
ماذا حدث يا مولاي ؟ أأثور وتغضب
على إليانور لمجرد قصها حلمها ؟
سأحتفظ بأحلامى إذن لنفسى بعد اليوم ،

الدوقة

٥٥

وأكفيها مغبة هذا اليوم والتأنيب .

جلوستر : لا . . لا . . لا تغضى فقد عاودنى انشراحي
(يدخل رسول)

الرسول : مولاي الوصى إنها لرغبة مولاي الملك

أن تستعد للركوب إلى سان أولبتر :

حيث ينتوى الملك والملكة أن يخرجوا للصيد . ٦٠

جلوستر : سأذهب . وأنت يا نل هل تخرجين معنا إلى
الصيد ؟

الدوقة : نعم يا مولاي العظيم سأتبعكم على الفور

(يصرع جلوستر والرسول بالخروج)

يجب دائماً أن أتبع ، أما أن أسبق فلا ،

ما دام جلوستر يحمل هذا الفكر الخانع الدليل

... آه لو كنت رجلاً ، ولو كنت دوقاً ، ٦٥

ولو كنت التالية للملك في سلسلة النسب ،

إذن لأزحت هذه العقبات السخيفة من طريقي ،

ولعبدت طريقي على رقابهم بعد أن أطيح

برؤوسهم .

أما وأنا امرأة فلن يجعلنى أتوانى

في أن ألعب دورى في موكب الحظوظ . . . ٧٠

سير جون : أين أنت ؟ اخرج إلى^٢ ولا تخف يا رجل
إننا وحدنا وليس هنا إلا أنا وأنت .

(يدخل « هيوم »)

هيوم : فليرح السيد المسيح جلالتك . . !
الدوقة : ماذا تقول ؟ جلالتك ؟ لست إلا صاحبة
الفخامة .

هيوم : ولكن بعون الله ، ونصيحة مني
سيزداد لقب صاحبة الفخامة علواً ورفعة . ٧٥

الدوقة : ماذا تقول يا رجل ؟ هل تحدثت
إل مارجرى جوردين الساحرة الماهرة^(١)
وروجر بولنبرك الساحر البارع ؟
وهل تعهدا بأن يجلبا لي السعد بسحرهما ؟

هيوم ٨٠ : لقد وعدا بأن يحضرا لفخامتك
روحاً يصعد من جوف الأرض العميقة . . .
وهذا الروح سيتكفل بالإجابة عن أية أسئلة
توجهينها ، فخامتك ، إليه .

الدوقة : إن في هذا القدر الكفاية ، وسأفكر في الأسئلة

حين أعود من سانت أولبنز ،
فإننا ستمضي في تنفيذ هذه الأمور إلى النهاية ،
وإليك يا « هيوم » هذه الجائزة . سرّ عن نفسك
يا رجل ،
مع معاونيك في هذا الشأن العظيم .

(تخرج)

هيوم

٩٠

: فلتبهج يا « هيوم » ولتفرح بذهب الدوقة ،
ولكن لا تنس يا سير « جون هيوم » نفسك —
أمسك لسانك ولا تنبس ببنت شفة ،
فالعامل يقتضي الكتمان والصمت
إن السيدة إليانور تجود بالذهب لإحضار
الساحرة ،
والذهب لا يفضل طريقه أبداً حتى ولو كان
المطلوب شيطاناً !

٩٥

ولكن الذهب ينساب إلى يدي من معين آخر
لا أجرؤ على البوح بأنه من الكاردينال الثرى
ومن الدوق العظيم الحديد ، دوق سافوك ،
هذه هي الحقيقة ، وبكل صراحة

فهما وقد أدركا نزعات الطموح في السيدة
إليانور

١٠٠

أرادا أن يستغلا ذلك فيها واستأجرا إلى لأحطهما .
فأنفت في آذانها الاعتقاد في السحر والشعوذة .
وقد قيل « إن الخبيث الماهر لا يحتاج إلى وسيط » .
ومع ذلك فقد أحتاج كل من سافوك والكاردينال
إلى وسيطاً . . .

« هيوم » ! إذا أنت لم تحترس فإنك توشك أن
تصم السيدين
بأنهما منافقان خبيثان

ولكن هذا هو الواقع ولست أخشى
شيئاً

إلا أن يصبح خبيث « هيوم » وبالأعلى على الدوقة
في النهاية .

وأن يؤدي افتضاح خيانتها إلى سقوط همفري . . .
مهما يكن من أمر فإنني سأغتم ذهباً . [يخرج]

التنصل الأول

المنظر الثالث

القصر

يدخل ثلاثة أو أربعة من أصحاب الشكاوى
من بينهم بيتر صانع الأحذية

الشاكى الأول : أيها السادة لتقف متقاربين ،

فلن يلبث مولانا الوصى أن يمر من هذه الطريق
عند ذلك نستطيع أن نقدم له التماساتنا جميعاً .

الشاكى الثانى : فليتوله الله برعايته

فهو رجل طيب باركه المسيح .

(يدخل سافوك والملكة)

بيتر : ها هو ذا قادم ، وأظن أن الملكة فى صحبته ،

سأكون أول من يتقدم إليه قطعاً .

الشاكى الثانى : مكانك أيها الغر

فهذا ليس السيد الوصى ، إنه دوق سافوك .

١٠ سافوك : ما وراعى يا رجل ؟ هل تريد شيئاً منى ؟

الشاكى الأول : عفواً يا مولاي فقد حسبتك مولاي الوصى .

الملكة (تقرأ) : إلى مولانا الوصى

هل مظلمتك موجهة إلى السيد الوصى ؟

دعنى أرها : وما شكواك ؟

١٥ الشاكى الأول : شكواى ، إن أذنت مولائى ،

موجهة ضد جون جودمان من خدم مولاي

الكاردينال ؛

فقد اغتصب منى بيتى وأرضى وزوجتى وكل

ما أملك .

سافوك : وزوجك أيضاً ؟ لقد ارتكب خطأ ولا شك .

وما شكواك أنت يا رجل ؟

ماذا أرى ؟

٢٠

(يقرأ) شكواى ضد الدوق سافوك

لاستيلائه على المنافع العامة فى « ميلفورد » .

ماذا تعنى بهذا أيها الحبيث ؟

الشاكى الثانى : واحسرتاه يا مولاي ما أنا إلا متظلم مسكين ،

يتقدم بالشكوى باسم أهل بلدته جميعاً

٢٥

بيتر : (يقدم مظلمته) إنها ضد معلمى توماس هورنر ،

لادعائه أن الدوق يورك هو الوريث الشرعى
للعرش

الملكة : ما ذا تقول يا رجل ؟
وهل قال دوق يورك إنه الوريث الشرعى للعرش ؟
٣٠ بيتر : هذا ما قاله معلمى ؟ .

فقد قال إن يورك هو الوريث الشرعى للعرش
حقاً

وإن الملك مغتصب للعرش .

سافوك : من هناك ؟ (يدخل خادم) خذ هذا الرجل
وابعث فى طلب معلمه فوراً مع محضر رسمى ؛
٣٥ وسنستمع إلى المزيد من قصتك يا رجل فى
حضره الملك .

(يخرج الخادم معه بيتر)

الملكة : أما أنتم يا من تحبون أن تناالوا الحماية
فى ظل مولاكم الوصى ،
فاكتبوا مظالمكم من جديد واحتكموا إليه .

(تمزق المظالم) اغربوا عن وجهى

أيها السفلة ! فليذهبوا ؛ يا سافوك ٤٠

الجميع

: هيا بنا نخرج

(يخرج أصحاب الشكاوى حميماً)

الملكة

: خبرني يا لورد سافوك هل هذه هي تقاليدكم؟

أهذا هو الأسلوب المتبع في بلاط إنجائرة؟

وهل هذه هي حكومة جزيرة بريطانيا ،

هل هذه هي الجلالة التي يتصف بها ملك

٤٥

إنجلتره؟

ما معنى هذا كله؟ أو يظل الملك هنري تلميذاً

تحت رعاية جلوستر ووصايته الصارمة؟

وهل أنا ملكة لقباً ومظهراً

ثم يقضى على بأن أكون تابعة لدوق؟

الحق أقول لك يا بول إنى حين رأيتك في مدينة

٥٠

طور^(١).

تندفع مبارزاً في سبيل حبي

ورأيتك تستحوذ على قلوب نساء فرنسا،

حسبت أن الملك هنري يشبهك بشجاعة وكياسة

وقواماً ،

ولكني وجدته مشغول النفس بالقداسة

وبالصلوات بعد التسابيح على مسبحته ،

مثله الأعلى الأنبياء والرسل .

وأسلحته الأمثال والآيات المستمدة من الكتب

المقدسة ،

ومكتبته هي الساحة التي يتعلم فيها الرماية .

وغرامه هو الولع بالتمائيل النحاسية للقديسين

المعروفين .

حبذا لو أن المجمع المقدس للكرادلة

اختاره بابا للكنيسة فحملوه إلى روما ،

ووضع على رأسه التاج المثلث !

فهناك أصلح دولة تليق به وبقداسته .

: صبراً يامولائي ، ثقي أننى كما كنت أنا السبب

في مجيء جلالتك إلى إنجلترا

فكذلك سأكون فيها العامل على تحقيق مرضاتك

الكاملة .

: ليت الأمر اقتصر على الوصى المتعالى : بل

هناك أيضاً بوفورت

٥٥

٦٠

سافوك

٦٥

الملكة

رجل الكنيسة الأمر الناهي ، وسمرت
وبكنجهام ،
ويورك المتذمر ، وأقل واحد من هؤلاء

٧٠

يستطيع أن يأتي في إنجلترا مالا يستطيعه الملك
: بل كل واحد من هؤلاء الذين يستطيعون أن
يفعلوا كل شيء

سافوك

ليس له من الأمر في إنجلترا أكثر مما لآل نيفل .
فسالسيوري ووريك ليسا من اللوردات الهينين
البسطاء .

الملكة

: لست أضيق بأحد من هؤلاء اللوردات نصف
ضيق

٧٥

بهذه السيدة الصلابة زوج الوصي ،
إنها لتزحف على القصر وتمر بأروفته ومعها
ججافل من السيدات
تسير وسطهن كأنما هي إمبراطورة لا زوج
دوق همفري .

والغرباء الذين يرتادون القصر يحسبونها الملكة .

إنها لتحمل على ظهرها ثروة الدوق ودخله كله .
وأحسبها في أعماق قلبها تسخر من فقرنا .

٨٠

نرى هل يمتد بى الأجل لأنثأر منها .
 هذه الحقيرة الفاجرة سيئة المنبت ؟
 لقد كانت تتباهى وتتفاخر وسط وصيفاتها

الحقيرات ذات يوم ،

بأن ثمن ذيل أرخص ثوب من أثوابها
 يفوق ثمن كل ما يملك أبى

٨٥

قبل أن يهب له سافوك دوقيتين ثمناً لابنته

: مولاتى لقد نصبت لها شركاً محكماً .

سافوك

وزودته بطير^(١) تستدرجها وتستهوينا ،

حتى إذا ما هوت لتسمع لهذه الأغاريد ،

فهيئات أن تفلت ، ولن تصل بعد اليوم

٩٠

إلى مقام تستطيع أن تزعجك فيه .

فخليها وشأنها وأنصتى إلى يا مولاتى

أشاورك فى أمر أحسب من المرأة أن أحدثك فيه .

إن الواجب يقتضينا ، وإن كنا نكره الكاردينال

يا مولاتى ،

(١) يلجأ صائدو الطير أحياناً إلى وضع طير ميت أو مصطنع إغراء لأمثاله من

الطير بالاقتراب منه وبذلك يستطيعون صيدها .

أن نتعاون معه وأن نعمل مع اللوردات الآخرين
حتى نجلب على دوق همفري الخزى والعار .
أما الدوق يورك فأغلب الظن أن هذه الشكوى
الآخيرة لن تجعل الريح تجرى له رخاء .

٩٥

فلنأخذهم واحداً بعد واحد حتى نجتث أصولهم
جميعاً

فتصبحين فى النهاية أنت وحدك التى تديرين
دفة الأمور

١٠٠

(قرع طبول . يدخل الملك ومعه يورك وسمرست وقد وقف
كل منهما إلى جانب ؛ وأخذوا يهتمان فى أذنه . ويدخل
بعدهم همفري دوق حلوتر والكاردينال بوفورت وبكنجهام
ويورك وسمرست وسالبرى ووريك ودوقة حلوتر .)

الملك : أيها اللوردات النبلاء إنى ليستوى عندى

أن يكون الأمر لسمرست أو ليورك ،

فكلاهما منى بمنزلة واحدة .

يورك : إذا كان يورك قد أذل نفسه أو حقرها فى

فرنسا

فلينكر إذن عليه حقه فى أن يكون نائب الملك

١٠٥

هناك .

سمرست : وإذا كان سمرست غير جدير بالمنصب ،

فليكن يورك هو نائب الملك وسأخضع له .
 وريك (للك) : ليس الأمر أمر استحقاقهما عطفتك
 أو عدم استحقاقهما لإياه ،
 فما نحن بسبيل مناقشة ذلك الأمر .

١١٠ إن يورك هو الأصالح للمنصب .
 الكاردينال : أيها الطموح وريك دع من هم أفضل منك
 يتكلموا .

وريك : ليس الكاردينال بأفضل مني في هذا المجال .
 بكنجهام : بل كل الموجودين هنا أفضل منك يا وريك .
 وريك : سيعيش وريك ليكون أفضلهم جميعاً .
 سالسبوري : هدى من روعك يا بني ، والتزم الحكمة
 يا بكنجهام ؛
 ثم ما الداعي إلى تفضيل سمرست في هذا
 الأمر . . ؟

الملكة : لأن هذه هي إرادة الملك وأيم الحق .
 جلوستر : مولاتي إن الملك راشد يستطيع أن يحكم بنفسه ؛
 وهذه أمور ليست من شئون النساء .
 الملكة : إذا كان الملك راشداً كما تقول فما الحاجة إلى
 بقائك وصياً عليه ؟

جلوستر : مولاتي ، أنا وصي المملكة ، ومتى شاء الملك ،
اعتزلت المنصب .

سافوك : اعتزل إذن وكف عن صلفك .

إن الدولة تجري كل يوم نحو الخراب
منذ أن صرت ملكاً عليها ؛ من الملك سواك
بالله قل لي .

١٢٥

إن الدوق يسيطر على ما هو وراء البحار ،
وكل اللوردات والنبلاء في هذه المملكة قد
قد أصبحوا أرقاء حكمك .

الكاردينال : لقد سلبت أموال الأهلين ، وتركت حقائب
القسس

عجفاء خاوية من كثرة ما انتهب من أموالهم .

١٣٠ سمرست

: وقصورك الفاخرة المترفة ، ومظهر زوجاك ،
قد كلفا الخزانة العامة أموالاً طائلة .

بكنجهام : وقسوتك في تنفيذ العقوبات على المذنبين

قد تجاوزت حدود كل قانون ،

بل أوقعتك أنت تحت طائلة القانون .

١٣٥ الملكة : والاتجار في الوظائف ، والولاية على مدن

فرنسا

لو أنه أعلن على الملأ . والشبهة فيه عظيمة ،
لأطاح ذلك برأسك

(يخرج جلوساً وتسقط الملكة مروحتهما)

الملكة : ناوليني مروحتي . . ماذا ألا تستطيعين أيتها
الحقيرة . ؟

(تلطم الدوقة على أداها) معذرة يا سيدتي أهذه

أنت ؟

الدوقة : أهذى أنا . . . ؟ نعم أنا هي أيتها الفرنسية
المتعجرفة .

. . . آه لو استطعت أن أقرب من جمالك
بأظافري

إذن لأنشبت أظافر أصابعي العشر في وجهك .

١٤٠

الملك : رفقاً يا عمى العزيزة لقد حدث ذلك منها عفواً
دون إرادتها .

الدوقة : عفواً ! ودون إرادتها ! . . أيها الملك أفق للأمر
قبل فوات الأوان ،

وإلا قيدتك وعبثت بك كأنك طفل صغير .

ومهما يكن من سلطان النساء في هذا المقام
فإنها لن تضرب السيدة إليانور وتفلت من

١٤٣

القصاص (تخرج)

بكنجهام . : سيدى الكاردينال . . . سأتبع إليانور وسأصغى
لما يقوله همفرى ، وأتبع خطاه .

لقد استثيرت إليانور ، ولم تعد فى حاجة إلى
حوافز ،

وستظل تركض فى عنف ثورتها حتى تلاقى
حتمها (يتنها)

(يعود حلستر)

١٥١ جلوستر

: أيها اللوردات لقد ذهب غنى الغضب ؛
وإذ كانت حدته قد سكنت بعد أن تمشيت
فى هذا الفناء فهأنذا قد عدت لأتحدث معكم
فى شئون الدولة

أما اتهاماتكم الزائفة التى أملاها الحق عايكم
فأقيموا عليها الدليل ،

١٥٥

وأنا على استعداد لتقبل حكم القانون ؛
والله يتولانى برحمته ؛ فقد كنت فى أداء واجبي
مخلصاً فى الحب للملكى ولبلادى .

ولنعد إلى الموضوع الذى كنا نتحدث فيه ؛
فأقول يا مولاي إن يورك هو أصلح رجل

١٦٩

ليكون نائبك على أرض فرنسا .

سافوك

: أود قبل أن يتم الاختيار أن تسمحوا لي
بإبداء بعض الأسباب التي لها وجاهتها ،
والتي تشير بأن يورك أقل الناس صلاحية لهذا
المنصب .

يورك

١٦٥

: وأنا أنبئك بها يا سافوك
فأولا لست بالمستطيع أن أتملق كبرياءك ،
ثانياً أني لو تقلدت هذا المنصب
لاستبقاني هنا سيدي اللورد سمرست
بلا مرتبات ولا مال ولا عتاد
حتى تسقط فرنسا في يد الدوفن ^(١) .
وقد حدث في المرة السابقة أن تركني ألهو
انتظاراً لمشيئته
حتى حوصرت باريس وأصابها المجاعة ثم
سقطت .

١٧٠

وريك

: وهذا ما أشهد عليه ،
وإنها لجريمة شعاء

(١) ول عهد فرنسا القاصر؛ وتستعمل أيضاً ملك إنجلترا إذا كان هو أيضاً قاصراً .

لم يرتكب مثلها خائن من قبل في هذه البلاد .

: الهدوء الهدوء يا وريك العنيد .

١٧٥ سافوك

: أيها الصلّاف المجسم ، لماذا تفرض على أن ألزم

وريك

الهدوء ؟

(يدخل هورنر صانع السيوف ومساعد بيتر وكلاهما

تحت الحراسة)

: إن بين أيدينا الآن رجلاً متهمًا بالخيانة ،

سافوك

وإني لأدعو الله أن يوفق دوق يورك إلى الدفاع

عن نفسه

: وهل هناك من يتهم يورك بالخيانة ؟

يورك

: ماذا تعني يا سافوك ؟ خبرني ما وراءك ؟

١٨٠ الملك

: إن أذنت لي يا مولاي ، فهذا الرجل

سافوك

يتهم معلمه بالخيانة العظمى ،

إذ ينسب إليه قوله « إن رتشارد ، دوق يورك ،

هو الوريث الشرعي لتاج إنجلترا

وإن جلالتكم غاضب لهذا التاج » .

١٨٥

: تكلم يا رجل . أهذا قولك ؟

الملك

: إن أذنت لي يا مولاي ، فأنا لم أقل حرفاً من هذا

هورنر

ولا جال بخاطري شيء منه ،

والله على ما أقول شهيد .

وقد آتهمنى هذا الوغد زوراً وبهتاناً .

١٩٠

: أقسم بأصابعى العشر أيها السادة اللوردات

بيير

أنه أفضى إلى بهذا القول

فى حجرتنا ذات ليلة .

بينما كنا نصقل سلاح مولاي اللورد يورك .

ويل لك أيها الشقى القذر ، أيها الصانع الوضع

١٩٥ يورك

الوغد ،

لأطيعن برأسك جزاء لك على هذا القول

أيها الخائن .

إنى أتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ،

أن تنزل به حد القانون الصارم .

: واحسرتى يا مولاتى ، مر بشئى

هورنر

إذا ثبت لك أنى فهت بهذه الكلمات .

٢٠٠

إن الذى يتهمنى بهذا صبي يشغل عندى

أدبته أمس بالضرب فأقسم وهو لا يزال جائياً

على ركبتيه من ألم الضرب

أنه سوف ينتقم منى .

إن لى يا مولاي شهوداً عدولاً على ذلك .

٢٠٥

فأتوسل إليك ، يا مولاي . ألا تحرم رجلا
أميناً من رحمتك .

بتهمة باطلة زيفها وغد خسيس .

: أى عماء وما حكم القانون فى ذلك ؟

الملك

: هاك ما أرى أنه الحكم يا مولاي : إن كان
لى أن أرى .

جلوستر

فليكن سمرست نائباً عنك فى الأراضى الفرنسية
لأن هذه القصة تلقى ظلاً من الشبهات حول
يورك .

٢١٠

أما هذان الرجلان فحدد لهما يوماً
للمبارزة فى مكان لائق ،

ليشهد يورك بنفسه خبث طوية خادمه .

هذا هو حكم القانون يا مولاي ،
وهذا ما قضى به الدوق همفرى .

٢١٥

: بكل خضوع أشكر جلالتك .

سمرست

: وأنا أقبل المبارزة بكل ارتياح .

هورنر

: وأسفاه ، يا مولاي ، إنى لا أستطيع المبارزة .

بيتر

أتوسل إليك بالله أن ترثى لخالى .

٢٢٠

إن حقد الرجل سيجعله يفوز على .

رحمك يا مولاي فأنا لا أستطيع أن أرد ضربة
واحدة !

يا إلهي إن قلبي ليرتعد .

حلوستر : اسمع . يا نذل . إما أن تقبل المبارزة . وإما
أن تشنق .

٢٢٥ الملك : قودوهم إلى السجن وليكن يوم المبارزة
اليوم الأخير من الشهر القادم .
هلم يا سمرست فلنعدك للرحيل
(قرع طبل . يخرجون) (يتبعها)

الفصل الأول

المنظر الرابع

حجرة ذات شرفة مرتفعة في بيت حلوستر
تدخل الساحرة مرجريت جوردين ومعها القسيسان
هيوم وساذل وممهم بولنبروك الساحر

هيوم : تعالوا أيها السادة فإن الدوقة ، كما أخبرتكم ،

تنتظر إنجاز ما وعدتم به .

بولنبروك : أيها السيد « هيوم » نحن على استعداد للوفاء

فهل ستشاهد الدوقة وتسمع سحرنا واستحضارنا

(للأرواح ؟)

هيوم ° : نعم ، ولم لا ؟ لا تخشوا شيئاً على شجاعتها .

بولنبروك : لقد سمعت عنها أنها ذات روح لا يقهر

ولكن من الأنسب أيها السيد « هيوم »

أن تبقى أنت إلى جانبها في الشرفة

بينما نقوم نحن بسحرنا تحتكم ،

فاذهب باسم الله ودعنا وحدنا . ١٠ (يخرج هيوم)

أيها الأم جوردين انكبي على وجهك ،

واضحني على الأرض ، وأنت يا جون ساذل
اقرأ تعاويدك ولتبدأ عملنا .

(تدخل الدوقة إلى الشرفة يتنمها « هيوم »)

الدوقة : أحسنتم صنعاً يا سادة ومرحباً بكم جميعاً .

والآن هلموا إلى العمل فخبير البر عاجله . ١٥

بولنبروك : صبراً مولاتي الطيبة ، فالسحرة يعرفون وقتهم .

ففي جوف الليل الحالك وفي الليل الموحش ،
وفي الساعة التي احترقت فيها طرودة ،

والساعة التي ينق فيها اليوم وتعوى فيها الكلاب

المسعورة . والساعة التي تنتشر فيها الأرواح ٢٠

وتنطلق فيها الأشباح من قبورها . هذه الساعة

هي أنسب الأوقات للعمل الذي بين أيدينا .

فاجلسي أيتها السيدة ولا تراعي .

فإن الأرواح التي سنستحضرها ستُحصَر في

دائرة محدودة .

(يبدأون عمل المراسم اللازمة ويخطون الدائرة ويتلو ساذل

التعاويد وغيرها ، وترعد الدنيا وتبرق بشدة ثم يظهر الروح)

٢٥ الروح : لبيك لبيك . . .

جوردين : يا أزمات يا أزمات

بحق الإله الأبدى الذى ترتعد فرائصك
عند ذكر اسمه ومن عظمتته ،

أجيبى عدا أوجهه إليك من أسئلة .
فلن ترحى هذا المكان قبل أن تتكلمى .

٣٠

الروح : متى ما شئت فلقد أجبت دائماً وقمت بذلك
أبدأ .

بولنبورك : السؤال الأول عن الملك ما مصيره ؟

(يقرأ من ورقة)

الروح : سيعيش الدوق حتى يخلعه هنرى ،
وسيعمر بعده ولكن يموت ميتة شنعاء
(بينما الروح يتكلم يسجل ساذل الحواب)

بولنبورك ٣٥ : وأى مصير ينتظر الدوق سافوك ؟

الروح : بالماء يكون حتفه وتنهى حياته .

بولنبورك : وما الذى يصيب دوق سمرست ؟

الروح : دعوه يهجر الحصون ؛ فهو أكثر أمناً فى السهول

الرملية ،

منه فى الحصون الشاهقة .

لقد قلت ولا أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا .

٤٠

بولنبورك : عودى إلى الظلام واهبطى إلى بحيرة الجحيم
المتقدة :

أيها الشيطانة الزائفة ! اغربى عنا !

(رعد ورق ثم يهبط الروح)

(يفتح دوق يورك ودوق بكنجهام مع حرسهما المكان) .
يورك : اقبضوا على هؤلاء الخونة وأدوات سحرهم التافهة .
أيها الساحرة العجوز . لقد راقبتك عن
كتب

ما هذا ؟ أنت هنا يا سيدتى ؟

٤٥

إن الملك والدولة مدينان لك بأعمق الشكر
على هذا الجهد القيم في سبيل الصالح العام ؛
ومولاي الوصى سيجزيك بلا شك أحسن الجزاء
على هذه الكفayaيات الطيبة .

الذوق : ليس هذا بأسوأ مما تضمه أنت الملك إنجلترا
أيها الذوق الشرير الذى يهدد لغير ما سبب .
أحق يا سيدتى ما تقولين ؟
بكنجهام

أليس هناك سبب — إذن بم تسمين هذا ؟
خذوهم جميعاً وأحكموا قيدهم
واحبسوا كلا منهم منفرداً .

٤٥

أما أنت يا سيدتى فستذهبين معنا .
نحدها معك يا ستافورد

(تقاد الدوقة و « هيوم » إلى الخارج وهما تحت الحراسة)

أما أدوات الشعوذة هذه ،
فستحفظ بها في أحراز

حتى يحين موعد إظهارها . هيا اخرجوا جميعاً .

٦٠

(تقاد جوردين وساذل والداقون إلى الخارج تحت الحراسة)

يورك : لا شك يا لورد بكنجهام أنك راقبتها مراقبة
دقيقة ؛

إنها خطة محكمة ؛ أحسن تدبيرها لتكون أساساً
لما يبني عليها .

والآن يا سيدى اللورد فلنقرأ ما كتب هذا
الشیطان .

ترى ماذا كتب ؟ (يقرأ)

سيعيش الدوق حتى يعزله هنرى .
ولكنه يعمر بعده ويموت ميتة أليمة ،
ويحى ! هذا حق

٦٥

« أقول لك يا أكسيذا » أنك لن تقهر الرومان .

ما علينا من هذا فلتواصل القراءة .

خبرنى أى مصير ينتظر دوق سافوك ؟

٧٠

« بالماء سيموت وتنهى حياته ! »

وما الذى يصيب دوق سمرست ؟

« دعوه يهجر الحصون فهو أكثر أمناً

فى السهول الرملية منه فى الحصون الشاهقة » .

ما علينا من كل هذا أيها اللوردات ،

٧٥

إن نبؤات الكهنة قلما تتحقق .

بل قلما تفهم . إن الملك الآن فى طريقه إلى

سانت أولينز ؟

ومعه زوج هذه السيدة الجميلة .

فلتذهب هذه الأنباء إلى هناك

كأسرع ما يستطيع الفارس المجد أن يحملها . . .

٨٠

ترى أى إفطار محزن ينتظر مولانا الوصى ؟

بكنجهام : هل تسمح لى يا سيدى اللورد يورك

أن أكون البريد الذى يحمل هذا النبأ ؟

(*) أكسيذا من نسل آياكس اسم دال على الأجداد يسمى به عادة آشيل

حفيد آياكس .

أُملا في أن أفوز بجائزته ؟

۸۵ یورك : بكل سرور يا سيدى اللورد الطيب
... مَنْ مَنْ الداخر . . . يا أهل الدار
(يدخل خادم)

اسمع! ادع لورد سالسبورى واورد وريك ليتناولوا
معى العشاء مساء غدا .
هلموا بنا .
(يخرجون)

الفصل الثانى

المظر الأول

فى سانت أولبتر

يدخل الملك والملكة وجلوسر والكاردينال ورافوك
ومعهم حملة البزاة يتصايحون

الملكة : صدقونى أيها اللوردات أنى لم أشهد منذ سبع
سنوات

صيداً لطير الماء أمتع من صيدنا اليوم ؛
ومعذرة إن إقלט إن الرياح كانت عالية مواتية ،
ولكنى أراهن على أن الصقر العجوز « جون »
لم ينطلق ليحلق فى الجو

الملك : ولكن يا سيدى اللورد أى مدى بلغه بازك
فى الأفق ؟

أى حد فاق فى طيرانه الصقور الأخرى ؟

فتأمل آية الله فى خلقه .

فالإنسان كالطير يشتمى أن يحلق فى أجواز السماء .

سافوك : لا عجب في ذلك . وإن أذنتم جلالتم

قلت إن بزة سيدى اللورد الوصى

قد حُلقت في الجو إلى مدى بعيد .

فهى تدرك أن سيدها يحب التسامى ويخلق

بأفكاره إلى أبعد مما ترقى إليه بزاته .

جلوستر : سيدى اللورد إنه لَعَقْلٌ وَضِيعٌ دَنَىءٌ

ذلك الذى لا يستطيع أن يخلق فوق ما ترتفع

إليه الطير .

الكاردينال : هذا ما وصلت إليه في تفكيرى . إنه بذلك يكون

قد خلق فوق السحاب .

جلوستر : ما الذى تعنى بهذا القول ، يا سيدى الكاردينال؟

إما كان أنخلق بقداستك أن تخلق إلى

السموات ؟

الملك : دار النعيم الأبدى .

الكاردينال : إنك تنشُد جنة الحياة الدنيا .

فميناك وأفكارك جميعاً معلقة بتاج ،

فهو الكنز الذى يشتهيه قلبك أيها الوصى الأثيم :

واللورد الخطر ،

الذى يستخدم الملق مع الملك ومع الشعب

١٠

١٥

٢٠

على السوء لتحقيق مآربه .

جلوستر : ما هذا ، أيها الكاردينال . هل غدا كهنوتك فوق ما تحتمل ؟

أيمكن أن تنطوى القلوب المقدسة

على مثل هذه السخيمة وهذا الحسد ؟

٢٥

أيمكن أن يستولى الغضب على رجال الدين إلى هذا الحد ؟

أيها العم الطيب ، أخف هذا الحقد بما ينبغي أن يكون لمثلك من قداسة .

سافوك : لا حسد ، يا سيدى ، أكثر مما ينبغي لمثل هذا النزاع العادل

ومثل هذا النبيل الشرير .

٣٠

جلوستر : مثل من يا سيدى اللورد ؟

سافوك : مثل من ؟ مثلك يا سيدى اللورد ،

إن أذنت يا صاحب الفخامة اللورد الوصى . . .

جلوستر : ويك ، يا سافوك ، إن بريطانيا كلها لتعرف

قحتك وبذاءتك .

الملكة : كما تعرف مطامعك يا جلوستر .

٣٥ الملك : على رسلك أيها الملكة الصالحة !

ولا تشحذى البغضاء فى قلوب اللوردات الثائرين
فطوبى للذين يحققون السلام بين الناس على
الأرض .

الكاردينال : فليباركنى الله فيما أسعى إليه من تحقيق السلام
بالقضاء على هذا الوصى المتعجرف بحد سيفى .

٤٠ جلوستر : (حاناً إلى الكاردينال) مرحى أيها العم المقدس
ويا حبذا هذا الحل !

الكاردينال : (جاناً إلى جلوستر) أجل عند ما تحس من
نفسك المرأة عليه .

جلوستر : (حاناً إلى الكاردينال) لا تجعل الأمر نزاعاً
حزيباً ،

بل تعال ورد على الإساءة واثار لنفسك .

الكاردينال : (جاناً إلى جلوستر) نعم حيث لا تجرؤ أن تمد
طرفك ؛ أما إذا واتتلك المرأة

فالقهاء هذا المساء على الجانب الشرقى من الغابة . ٤٥

الملك : ما هذا أيها اللوردات ؟

الكاردينال : صدقنى يا ابن العم جلوستر ،

إنه لو لم يبادر تابعتك بالرمى فجأة

لكان لنا صيد أمتع (جاناً إلى جلوستر)

أقبل ومعك السيف ذو المقبضين .

٥٠

جلوستر : أحق أيها العم ؟
الكاردينال : (جانبا إلى جلوستر) هل اتفقنا ؟ الجانب

الشرقي للغاية !

جلوستر : (جانبا إلى الكاردينال) وأنا معك يا كاردينال

الملك : ما معنى هذا أيها العم جلوستر ؟

جلوستر ٥٥ : إننا نتحدث عن الصيد ولا شيء غير ذلك

يا مولاي .

(جانبا إلى الكاردينال) لأجزن ناصيتك أيها

القس جزاء هذا ،

أو تذهب هباء مهارقي في المباراة .

الكاردينال : (جانبا إلى جلوستر) أيها الطبيب عاليج نفسك

أولا .

سيدى الوصى احترس جيداً واستوص بنفسك

واحملها هي .

الملك ٦٠ : إن الريح قد اشتدت أيها اللوردات واشتد

غضبكم .

لشد ما تزعجني هذه الأصوات فيضيق بها

صدرى .

أى أمل فى التناسق والانسجام إذا تنافرت

هذه الأنغام ؟

أيها اللوردات أرجوكم أن تدعوني أحسم هذا

الشقاق ، وأصلح ذات بينكم

(يدخل واحد من أهالى مدينة سانت أولنز وهو يصيح)

« معجزة ! معجزة ! »

٦٥

جلوستر

: ما معنى هذه الضجة ؟ وعن أى معجزة تعلن

يا هذا ؟

الرجل

: معجزة ! معجز !

سافوك

: تقدم نحو الملك وأفض إليه نبأ هذه المعجزة .

الرجل

: والله لقد استعاد رجل أعشى بصره ،

٧٠

منذ نصف ساعة عند ضريح سانت أولينز ؟

رجل لم يبصر فى حياته من قبل ،

الملك

: نحمدك اللهم يا من وهبت للنفوس المؤمنة

النور فى الظلمة والعزاء فى اليأس .

(يدخل عمدة سانت أولينز ورملاؤه وهم يحملون)

(سمكوكس على كرسى ووراءهم زوج سمكوكس)

الكاردينال

: ها هم أولاء رجال المدينة أقبلوا فى موكب

ليقدموا لجلالتك الرجل .

٧٥

الملك : ما أعظم رحمتك يا ربى التى تنزلها على هذه الأرض .

رغم آثامها التى تتضاعف وتزيد .

جاوستر : قفوا جانباً أيها السادة وقربوا الرجل من الملك
فإن جلالته ليسره أن يتحدث إليه .

الملك ١٠ : قل لنا يا صاحبي تفاصيل ما حدث

حتى نمجّد الرب من أجلك .

هل مكثت طويلاً وأنت أعمى ثم استعدت
الآن بصرك ؟

بل ولدت أعمى إن أذنت لى أن أقدر ذلك
يا مولاي .

الزوجه : حقاً لقد ولد أعمى .

سافوك : من تكون هذه المرأة ؟

الزوج ٨٥ : امرأتى إن رأيت يا صاحب الفخامة أن أتكلم .

جلوستر : لو كنت أمه لرويت لنا حقيقة الأمر بأوثق
من ذلك .

الملك : أين ولدت يا رجل ؟

سمكوكس : فى « برك » فى الشمال إن أذنت لى يا مولاي .

الملك : واه لك لقد كان فضل الله عظيماً ؛

فلا تدع نهراً يمر ، ولا ليلاً يقضى ، إلا

٩٠

سبحت بحمده .

واذكر دائماً نعمة الله عليك .

الملكة : قل لى أيها الرجل الطيب ،

أجئت إلى هنا بمحض الصدفة ،

أم جئت للعبادة والتبتل لدى هذا الضريح

الطاهر ؟

٩٥ سمكوكس : الله يعلم أنى جئت لمحض التعبد .

بعد أن حاءنى سانت أولبتر مئآت المرات

بل أكثر .

فى منامى وهتف بى أن تعال إئى ضريحى

يا سمكوكس

وقدم القرايين فسأساعدك .

الزوج : لقد نطق بالحق . وما أكثر ما سمعت الهاتف

يدعوه على هذا النحو .

١٠٠

الكاردينال : ما هذا ؟ هل أنت أعرج ؟

سمكوكس : نعم والله على ما أقول شهيد .

سافوك : وكيف صرت إلى العرج ؟

سمكوكس : سقطت من أعلى شجرة .

- الزوجة : شجرة برقوق يا مولاي
 جاوستر : وكم مضى عليك وأنت أعمي ؟
 سمكوكس : ولدت هكذا يا سيدى .
 جاوستر : ماذا ! ولدت أعمي وتستطيع أن تتسلق شجرة !
 سمكوكس : بل ما أحببت شيئاً فى شبابى مثل التسلق .
 الزوجة : هذا صحيح ولقد دفع ثمن حبه التسلق باهظاً .
 جاوستر : بحق المسيح لا بد أنك تحب البرقوق حباً جماً .
 وإلا لما خاطرت بحياتك على هذه الصورة .

- سمكوكس : وأسفاه يا سيدى الكريم إنها هى زوجى .
 التى كانت قد رغبت فى أكل بعض البرقوق
 الأسود ،

١١٠

فحملتنى على أن أتسلق الشجرة ، معرضاً
 حياتى للخطر .

- جاوستر : يا لك من وغد ماكر ولكن هذا التفسير لن
 ينفعك .

دعنى أنظر فى عينيك . أغمضهما الآن . عاود
 فتحهما - فى رأى أنك لا تبصر جيداً .

- سمكوكس : بل أبصر واضحاً وضوح النهار . حمداً لله ،

ولسانت أولينز .

جلوستر : أتجرؤ على أن تقول لى ذلك؟ فما لون هذا المعطف؟

سمكوكس : أحمر يا سيدى - أحمر كالدم .

جلوستر : هذا صحيح وما لون ردائى؟

سمكوكس : أسود قائم فاحم فى لون الكهرمان الأسود .

١٢٠ الملك : وإذن أنت تعرف الكهرمان الأسود .

سافوك : يخيل إلى أنه لم ير الكهرمان أبداً .

جلوستر : ولكنه رأى كثيراً من المعاطف والأردية الكثيرة

قبل اليوم

الزوجة : لم ير شيئاً قط قبل اليوم طول حياته .

جلوستر : نبئنى يا صاح ما اسمى .

سمكوكس : واسمها يا سيدى لا أعرف .

١٢٥ جلوستر : وما اسمه؟

سمكوكس : لا أعرف

جلوستر : ولا اسمه؟

سمكوكس : بالطبع لا يا سيدى .

جلوستر : وما اسمك أنت؟

١٣٠ سمكوكس : سوندر سمكوكس إن إذنت يا سيدى .

جلوستر : سوندر هذا الجالس أمامى أكذب وغد على

وجه الأرض . فمع أنك يا رجل ولدت أعمى
فإنك كنت تستطيع أن تعرف أسماءنا جميعاً
كما عرفت أسماء الألوان المتعددة التي نلبسها .
إن النظر قد يستطيع أن يميز الألوان .

١٣٥

أما أن يسميها جميعاً فجأة فأمر مستحيل .
أيها اللوردات لقد صنع سانت أولينز أمامكم
معجزة . ولكن ألا ترون معي أن الذي يستطيع
أن يعيد إلى هذا الكسيح حركة رجليه
يكون صاحب مهارة فائقة ؟

١٤٠

سمكوكس : ليتك تفعل يا مولاي !

جلوستر : سادتي أهل سانت أولينز أليس لديكم جلادون
في هذه المدينة ؟ أو ليس لديكم ما نسميه
سوطاً ؟

العمدة : نعم عندنا ، يا سيدي ، إذا سمحت سيادتكم .

١٤٥ جلوستر : إذن فابعث في طلب جلاذ فوراً .

العمدة : يا غلام ، اذهب وأحضِر الجلاذ إلى هنا حالا .

(يطيع التابع الأمر)

جلوستر : والآن إيتوفى بكرسى على الفور (يحصرن كرسياً)

اسمع يا رجل ، إذا أردت أن تنجو من الجلد

فاقفز من فوق هذا الكرسي وأسرع بالهرب .

١٥٠ سمكوكس : وأسفاه يا سيدى لست بمستطيع حتى الوقوف

وحدى وعبثا تحاول تعذيبى .

(يدخل الجلاد معه السوط)

جلوستر : علينا إذن أن نساعدك على أن تقف على

رجليك — أيها الجلاد اضربه بالسوط حتى

يقفز من فوق الكرسي .

١٥٥ الجلاد : سأفعل يا مولاي ؛ هلم أيها الرجل اخلع صدرك

فى الحال

سمكوكس : وأسفاه يا سيدى ماذا أفعل وأنا عاجز عن

الوقوف .

(وما إن يضره الجلاد سوطاً واحداً حتى يقهر من فوق الكرسي)

ويعر هارباً والرجال يتبعونه وهم يصيحون معزة ! معزة !)

الملك : تعاليت يا إلهى إنك لترى كل هذا ثم تمهل .

الملكة : لقد أضحكنى أن أرى هذا الوغد يجرى .

الزوجة : واحسرتا ، يا سيدى إنها الحاجة الملحة

دفعتنا أن نفعل ما فعلنا .

١٠٠

جلوستر : خدوهما واجلدوهما فى الأسواق فى كل مدينة

حتى تصلوا بهما إلى « برك »^(١) من حيث أتيا .

(يخرج العبد ومن معه ويتنعم الجلاد وهو يحرق زوج

سمكوكس)

الكارديبال : لقد قام الدوق همفرى اليوم بمعجزة .

سافوك : هذا صحيح فقد جعل الكسيح يقفز ويفر ،

١٠٥ جاستر : ولكنك صنعت معجزات ، أكبر مما صنع ،

فقد استطعت أن تحمل مدنا بأسرها

على أن تفر منا فى يوم واحد . (يدخل كنجهام)

الملك : ما وراءك يا ابن العم يا بكنجهام

بكنجهام : أنباء يرتعد قلبى من الإفشاء بها .

لقد تأمر جماعة من الأشرقياء ذوى المطامع

١٧٠

الدينية ،

تآمرا خطيراً ضد دولتنا ؛

بعلم وبتأييد وتحريض

من السيدة ليليانور زوج الوصى ؛

زعيمة هذه العصابة ، ورأس هذه الفتنة .

١٧٥

وقد قبضنا عليهم يتعاملون مع الساحرات ؛

متلبسين بجريمة العمل على الإضرار بالدولة

استحضار الأرواح الشريرة من بطن الأرض ،

ليستطلعوها الأنباء عن حياة الملك هنرى وموته .

وحياة آخرين من رجال مجلسك الخاص وموتهم

مما ستعلم ، عظمتك ، نبأه بالتفصيل .

١٨٠

الكاردينال : (حاناً إلى جلوستر) وهكذا يا سيدى الوصى

وبهذه الأفاعيل

ما زالت زوجك تحت التحفظ فى لندن .

هذه الأنباء فيما أظن ردت سهمك إلى نحرك . .

وينحيل إلى يا سيدى اللورد أنك لن تستطيع

المحافظة على موعدك !

١٨٥

جلوستر : يا رجل الكنيسة الطموح لا تزد من أوجاع

قلبي ،

لقد هدد الحزن والأسى كل قواى .

ولا حيلة لى . وأنا على ما أنا عليه من اندحار ،

ألا أن استسلم لك بل ولأحقر حقير غيرك .

: رباه ما هذه الشرور التى يرتكبها أهل سوء ،

١٩٠ الملك

فتهيل الدمار على رؤوسهم جزاء وفاقاً ؟
 الملكة : أى جلوستر . انظر إلى ما فى عشك من دنس .
 أو تتنكر لعشك لتبدو بريئاً وكأنما أنت
 خير البرية ؟

جلوستر : مولاتى أما عن نفسى فلانى أشهد الله
 ١٩٥
 كم أحببت ملكى وبلادى ، وأما عن زوجى
 فما أدرى شيئاً من أمرها . وإنى لآسف لما
 سمعت
 فهى نبيلة ولا ريب . أما إذا كانت قد نسيت
 الشرف والفضيلة ،

وتحدثت إلى مثل هؤلاء الملوئين
 الذين يدنسون النبل والشرف ،
 ٢٠٠
 فلانى مقصيها عن فراشى وعن صحبى ،
 وتاركها للقصاص والعار ،
 تلك التى لطخت اسم جلوستر الشريف .

الملك : سنقضى الليلة هنا لنسريح وغداً نعود إلى لندن ،
 لنبحث هذه المسألة بعناية ،
 ٢٠٥
 وندعو هؤلاء المذنبين الخونة ،

لنستجوبهم عما جنت أيديهم ،
 ونضع الأمر في ميزان العدل ، الذي يزن بالقسط
 ويحق الحق .
 (بوق وطبول ويخرجون)

الفصل البانى

المنظر الثانى

لندن حديقة دوق يورك

يدخل يورك وسالسىورى ووريك

يورك : الآن وقد انتهى عشاؤنا البسيط
أى صديقى النبيلان سالسىورى ووريك ، فأذنا لى
فى هذا الممر الأمين من الحديقة
أن أطمئن نفسى باستطلاع رأيكما
فى حقى المبين فى تاج إنجلترة .

سالسىورى : سيدى اللورد هل لى أن أسمع الموضوع كله ؟
وريك : ابدأ الكلام يا صديقى يورك ، وإذا ثبت أن
دعواك صحيحة ،

فسيكون آل نيفل رعية تآتمر بأمرك .

يورك : إذن ، إليكما الأمر :
كان لإدوارد الثالث يا سيدى سبعة أبناء ،
وكان أولهم إدوارد الأمير الأسود أمير ويلز .
والثانى وليم أمير هانفيلد .

- والثالث ليونيل دوق كلارنس .
- ثم جاء بعده جون جونت دوق لانكستر ؛
- والخامس إدموند لانجلى دوق يورك ، ١٥
- والسادس توماس ودستوك دوق جلوستر .
- وكان وليم أمير وندسور السابع والأخير .
- ومات إدوارد « الأمير الأسود » قبل أبيه
- وترك من بعده ابناً وحيداً هو رتشارد ،
- الذى حكم بعد موت إدوارد الثالث ، ٢٠
- وظل ملكاً حتى توج هنرى بولنبروك دوق لانكستر
- الابن الأكبر ووريث جون جونت ملكاً
- وسمى بهنرى الرابع ، فاستولى على المملكة وعزل
- الملك الشرعى
- وبعث به إلى بوهنغريت^(١) حيث اغتيل غدرأ
- رتشارد الطيب كما تعلمون جميعاً ، ٢٥
- بعد أن أعاد الملكة المسكينة إلى فرنسا من
- حيث جاءت .

- وربك : أبى لقد قال الدوق الحق ،
 وحكذا استولى بيت لانكستر على العرش .
- يورك : وهم يستمسكون به الآن . بالقوة لا بالحق .
- ٣٠ : ذلك أنه بموت رتشارد الوريث للابن الأول ،
 كان يجب أن ينتقل الملك إلى الابن الثانى .
- سالمسورى : ولكن ولهم هاتفيلد مات عقيماً .
- يورك : أما الابن الثالث دوق كلارنس
 الذى أطالب بحق فى التاج لانتسابى إلى فرعه ،
 فقد ترك عقبه إذ أنجب ابنة تدعى « فيليبا »
- ٣٥ : تزوجت من إدموند مورتيمر إيرل مارش .
 وكان لإدموند عقب هوروجر إيرل مارش ،
 وكان لهوروجر عقب هم إدموند وآن واليانور .
- سالمسورى : وقد طالب إدموند هذا بالعرش
 فى عهد برلنبورك فيما قرأت ،
- ٤٠ : ولولا أن « أون حلاندر » سجنه
 وأبقاه فى الأسر حتى مات ، لصار ملكاً .
 والآن فلنعد إلى الآخرين
- يورك : أما أخته الكبرى
 آن — أمى — فقد ورثت الحق فى العرش من بعده ،

وتزوجت من رتشارد إيرل كمرديج الذي كان

ابناً

لإدموند لانجلي الابن الخامس لإدوارد الثالث.

وعن طريقها أطالب أنا بالملك . فهي الوريث

الشرعي .

لورجر إيرل مارش ابن إدموند مورتيمر

الذي تزوج من « فليبا »

الابنة الوحيدة لليونيل دوق كلارنس .

٥٠

فإذا كان من حق ذرية الابن الأكبر

أن تسبق في وراثة الملك ذرية الابن الأصغر

فأنا أحق بالملك .

أي تسلسل أوضح من هذا ؟

وريك :

فهنرى يدعى التاج عن طريق « جون جونت »

الابن الرابع .

على حين يدعيه يورك عن طريق الابن الثالث.

٥٥

وإلى أن تنتهي ذرية ليونيل

فإن ذرية جون جونت ليس لها الحق في تولي

العرش .

وذرية ليونيل لم تنقرض بعد، بل إنها لا تزال

تزدهر فيك ؛

وئ أبنائك الورثة الشرعيين والغصون المزدهرة

من هذا الفرع .

إدن فلنبحث أنا وأنت ، يا أبى سالسبورى

٦٠

فى هذه المقعة الآمنة الخاصة .

لنكون أول من يحيى ملكنا الشرعى

وارث العرش بحق نسبه .

الاثنا معا : عاش ملكنا رتشارد ملك إنجلترا .

٦٥ : تشكركم . أيها اللوردات . ولكنى لست

يورك

ملككم بعد ،

ولن أكونه حتى أتوج ويصطبغ سبنى هذا

بالدم المتفجر من قلب آل لانكستر .

وهذا أمر لا يمكن القيام به فجأة ،

بل إنه ليتطلب التدبير والكتمان .

٧٠ فافعل ، كما أفعل فى هذه الأيام الخطيرة ،

غضا الطرف من قحة الدوق سافوك ،

وعن صلف بوفورت وعن مطامع سمروست ،

وعن بكنجهام وكل هذه العصبية ،

واصبرا عليهم حتى يدفعوا راعى القطيع ،

٨٠

الأمير الصالح دوق همفري الطيب ، في الكمين
ولأنهم ليسعون في الإيقاع به .
وسيلقون حتفهم في سعيهم هذا إن صحت نبوءة
يورك .

سالسبورى : مولاي فلننصرف عنك الآن فقد أحطنا علماً
بأفكارك كلها .

وريك

٨٥

: إن قلبي ليحدثني أن إيرل وريك
سوف يجعل من دوق يورك ملكاً يوماً ما .
: وأنا أؤكد لك يا نيفل أن يورك الدوق ، أو
الملك رتشارد

يورك

سيعيش ليجعل من إيرل وريك
أعظم شخصية في إنجلترا بعد الملك —
(يخرجون)

الفصل الثاني

المنظر الثالث

دار العدالة

(قرع طبول، يدخل الملك والملكة وجلوستر ويورك
وصافوك وصالموري ثم تدخل دوقه جلوستر ومارجريت
حوردين وساذل و«هيوم» و«لبروك» كلهم تحت الحراسة)

الملك : تقدمي أيتها السيدة إيليانور «كوبم» زوج
جلوستر ،

فإن إثمك لعظيم أمام الله وأمامنا ،
فتلقى عقاب القانون على الخطايا التي ارتكبتها :
والتي ينص كتاب الله على عقاب مقترفها
بالموت .

وأما أنتم أيها الأربعة فعودوا إلى السجن
ومن ثم إلى ساحة الإعدام ؛
أما الساحرة فستحرق حتى تصير رماداً في
«سميثفيلد» .

وأما ثلاثكم فستعدمون شنفأ .

وأما أنت ، يا سيدتى ، فنطراً إلى أنك أنبل
مولداً من هؤلاء .

وإن جردت نفسك من هذا الشرف فى حياتك .
فعقابك أن تعيشى منفية فى وطنك .

فى جزيرة مان مع سير جون ستانلى ،
وذلك بعد ثلاثة أيام تقضيها فى التكفر العلنى
عن ذنبك .

: مرحباً بالننى ، وأهلاً بالموت .

١٥ الدوقة

: أى إلبانور، إن القانون كما ترين هو الذى أدانك ،

جلوستر

وليس فى طوقى أن أبادل فيما قضى به القانون .

(تقاد الدوقة والمساجين الآخرون تحت حراسة الجند)

إن عيني لتفيض بالدمع ، وقلبي ليغمره الأسى .

إيه يا همفرى إن هذه الفضيحة فى هذه السن

ستعجل بهامتلك إلى الثرى فتموت حزناً وكهداً .

٢٠

أتوسل إليك يا مولاي أن تأذن لى بالانصراف .

فلعلى أتأسى عن حزنى وأريح شيخوختى .

: قف تمهل يا همفرى ، دوق جلوستر ، وقبل

الملك

أن تذهب سلم صوب لجانك . فهنرى من اليوم

سيصبح وصى نفسه ،

٢٥

وئ الله أملئ وبه عوفئ . وهو رائدئ والنور
 الهادئ لطريقئ . وانذهب بسلام يا همفري وان
 يكون حبئ لك بأقل منه عند ما كنت على
 وصيأ .

٣٠ الملكة : لست أرى ما يدعو إلى أن يكون هناك وصئ
 على ملك راشد بلغ أشده ، وكأنه لا يزال
 طفلاً . فالحكم لله وللملك هنري ، وهما اللذان
 سيحكمان مملكته إنجلترة . فسلم الصوبلخان
 يا سيدئ وأعد الملكة إلى صاحبها .

٣٥ جلوستر : الصوبلخان ! هاك الصوبلخان ، أيها الملك النبيل
 أسلمه لك عن طيب خاطر واستعني من الوصاية
 التي أولانيها أبوك الملك هنري . وإني لأترك هذا
 الصوبلخان عند قدميك راضياً رضي الطامعين
 فيه لو أنهم حصلوا عليه . الوداع أيها الملك
 الطيب وعندما أموت وأرحل عن هذه الدنيا
 سأدعوا الله لك أن يوطد بالسلام دعائم عرشك .

(يخرج)

الملكة : مرحئ مرحئ . الآن أصبح هنري ملكاً ؛
 ومرجريت ملكة ، واختئ همفري دوق جلوستر .

وتلك بحق قاصمة الظهر ، فقد رزى بضربتين
 شلتا أوصاله في وقت واحد . نفيت زوجه ،
 وهيض جناحه بانتزاع صولجان الشرف من
 يده . ألا فليحل هذا الصولجان في خير يد
 تليق به ، يد هنرى .

٤٥

: وهكذا تداعت هذه الشجرة الشاخنة وذبلت
 أغصانها ، وهكذا قضى على كبرياء اليانور
 وما زال في المهد .

سافوك

٥٠

: أيها اللوردات دعوه وشأنه ، وإن أذنت جلالتك
 فالיום هو الموعد المحدد للمبارزة ، وقد استعد
 كل من المدعى والمدعى عليه صانع السيوف
 ومساعداه أيدخلا في الحلبة ، فإن أذنت
 جلالتك تفضلت بمشاهدة المباراة

يورك

٥٥

: يا مولاي لقد تركت القصر عمداً لأرى هذا
 النزاع يفصل فيه .

الملكة

: باسم الله انظروا هل أعد الميدان؟ وهل اتخذت
 كل التدابير . . . ؟ دعوهما يتتا هنا في
 هذا الخلاف ، والله ينصر الحق .

الملك

٦٠

: أيها اللوردات ، ما رأيك رجلا نزل به الفزع

يورك

وحل به الخوف من القتال مثل هذا المدعى ،
صبي صانع الأسلحة .

(يدخل من داب صانع الأسلحة ورمادوه وهم يشربون في صحته
في هم حتى ثمل ، وهو يدخل وأمامه طبل ومعه عصاه وقد علق
عليها كيس رمل ، ويدخل من داب آخر صبيه ومعه طبل
وكيس رمل وحوله زملاؤه من الصبيان يشربون نخبه)

٦٥ الزميل الأول : هأنذا أشرب نخبك أيها الزميل هورنر ،

كأساً من النبيذ الأبيض ، ولا تخف أيها الصديق
فستبلى بلاء حسناً .

الزميل الثاني : وهأنذا أشرب . أيها الزميل ، في صحتك كأساً
من نبيذ « شارنيكنز »

٧٠ الزميل الثالث : وها هو ذا زق من البجعة المعتقة فاشرب
ولا تخش صبيك .

هورنر : هاتما بالله . وسأشرب أنخابكم جميعاً فها أحقر
بيتر

الصبي الأول : هأنذا أشرب نخبك يا بيتر فلا تخف

٧٥ الصبي الثاني : ابتهج يا بيتر ولا تخش معلمك وبارز لتكسب
للصبيان مجداً .

بيتر : أشكركم جميعاً اشربوا وصلوا من أجلى .

أرجوكم إذ أحسبني قد تعجرت آخر شربة لي في

هذه الدنيا . اسمع يا روبن إذا أنا مت فلك
 مئزرى هذا ، وأنت يا ويل لك مطرقتى هذه ،
 وأنت يا نوم لك كل ما معى من مال ،
 ألا فليباركنى الله . وإنى لأتضرع إليه وأدعوه
 فما أنا بمستطيع أبداً أن أبارى معلمى .
 فقد تعلم كثيراً من فنون المبارزة .

٨٠

٨٥ سالسبورى : أقبلا ! ودعا الشراب وابدأ المبارزة ، ما اسمك
 يا رجل ؟

بيتر : بيتر ، بحق .

سالسبورى : بيتر ثم ماذا .

بيتر : بيتر لإبهام .

سالسبورى : إبهام . إذن غز معلمك غزاً بهذا الإبهام .

هورنر : سادق لقد جئت إلى هنا بإتهام من تلميذى

لكى أثبت أنه وغد زعيم ، وأنى رجل فاضل .

إننى لم أعرض بالدوق يورك ، بل أنا على استعداد

لأن أموت فى سبيله ، وما أردت به سوءاً قط

ولا بالملك ولا بالملكة . وسأحمل عليك يا بيتر

٩٥

بضربة قاضية فى الحال

يورك

: ابدأ القتال فإسآن هذا الوغد قد أخذ يتلعم —
دقوا الطبول وانفخوا فى الأبواق وارسلوا صيحات
القتال للمبارزين .

(قرع طبول وصيحات قتال يتقاتلون ويضرب بيتر
معلمه ويطرعه أرساً)

١٠٠ هورنر

: كف عني يا بيتر فأنا أعترف بالحياة
: جردوه من سلاحه ، احمدا الله ، يا رجل ،
واحمدا النيذ الطيب الذى شربته فى الطريق
إلى معلمك .

١٠٥ بيتر

: يا إلهى هل تغلبت على خصمى وفى حضرة
هؤلاء ! إيه يا بيتر لقد انتصر بالحق .

الملك

: هيا أبعادوا هذا الخائن من أمامى
فقد أثبت موته خطيئته .
وكشف الله لنا بعدله صدق هذا الرجل المسكين
وبرأته .

لقد ظن أن سيقتله ظلماً

١١٠

تعال يا رجل واتبعنا لننال جوائزك . .
(قرع طبول ، ويخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

شارع

(يسلخ دوق همفرى ورجاله فى ملابس الحداد)

جلوستر : هكذا يعكر السحاب أحياناً صفو اليوم المشرق
ويرث الشتاء القاحل بقره وبرده القارس الدائم
أيام الصيف .
هكذا تتوالى الأفراح والأنراح كلما كرت
الأيام . . .

أيها السادة كم الساعة . . ؟

الخدام : العاشرة يا مولاي

جلوستر : العاشرة ، إنها الساعة التى عينوها لى

لأرقب مقدم زوجى المعاقبة .

هيئات أن تطيق أقدامها الناعمة المترفة

السير على أرض هذه الشوارع الصخرية . . .

نل الحبيبة إلا ما أشق أن يحتمل فكرك النبيل

منظر السفلة وهم يحملقون فى وجهك بنظرات

حاقلة .

ويتصاحكون على عارك .

أولئك الذين كانوا من قبل يتبعون عجالات

مركبتك الفاخرة

حين كنت تركبين في أبهة ومجد ، لتخترق

هذه الشوارع .

ولكن مهلاً أظنها قادمة .

فلأعدن العين التي أغرقها الدمع لترى ما هي فيه

من تعاسة .

١ د

(تدخل الدوقة في ثوب أبيض وببدا شمة ومعها العمدة

والضباط ومن خلفهم مير جون ستانلي وسارس يمسك رماحاً

وأسلحة)

: إذا أذنت ، يا مولاي ، استأذنا العمدة

الخادم

وأحضرناها إليك

: لا ، لا تتحركوا من أماكنكم ، وإلا دفعتم

جلوستر

حياتكم ثمناً لذلك ، دعوها تمر .

: أجنث يا سيدى لتشهد فضيحتي المعلنة

الدوقة

إنك أيضاً تكفر عن خطيئتك الآن .

٢٠

انظر كيف يحملون في وجهي .

وكيف تشير إلى هذه الطغمة الطائشة ،

وتحرك رؤوسها موجهة إليك نظراتها .

إيه يا جلوستر . توار بعيداً عن هذه النظرات
الغبيضة .

والزم حجرتك الخاصة ، واندب ما لحق بي

من عار .

والعن أعداءك فهم أعدائي وأعدائك معاً .

جلوستر : تجلدى أى « نيل » الرقيقة وانسى أحزانك .

الدوقة : أواه يا جلوستر ، علمنى كيف أنفَس عن نفسى .

إننى كلما فكرت أننى زوجك

وأنت أنت أمير هذه البلاد ووصيها .

خرجت من أفكارى بأنه ما كان ينبغى لى

أن أقاد على هذا النحو مجللة بالعار .

وقد ألصقت على ظهري كتابات .

وتبغى هؤلاء الغوغاء الذين تسرهم رؤية دموعى ،

وسماع أناثى المنبعثة من أعماق قلبى .

ويضحكهم الصخر الصلد يشق أقدامى الناعمة ،

ويقول لى هؤلاء الرعاع الشامتون

وأنا أقفز ألاماً : تعلمي ، كيف تمشين وألقى بالك .
آه يا همفري لن أستطيع أن أحتمل هذا العبء
المخزى ؟ . . .

أو تظن أني سأواجه العالم مرة أخرى ؟
أم تراني سأعبط الذين يتمتعون بضوء الشمس
على سعادتهم ؟
فالظلام سيكون نصيبي من الضوء ، والليل
سيكون نهارى
ومجرد التفكير في مجدى وأبنتى سيكون جحيمي
وعذابى .

وسأقول يوماً لنفسى : أنا زوج الدوق همفري ؟
أمير البلاد ومن بيده الحكم ؟
ولكن في حكمه وفي أيام إمارته
وقف يشاهد وتخلي عني ، بينما أنا زوجه التعسة
قد جعلت هدفاً للزراية ومادة للنهكم والسخرية
من كل متسكع من الشاذين والأفاكين .
إيه يا همفري كن هادئاً ولا تحمر خجلاً من
عارى ،

لا ولا تحرك ساكناً لما يحيق بك

٤٠

٤١

٥٠

حتى يرفرف سيف الموت على رأسك ، وهو
لا بد موافيك عاجلاً .

لأن سافوك الذى أصبح إايه الأمر كله ،
متعاوناً مع التى تكرهك وتكرهنا جميعاً .

ومع يورك ويوفورت الزنديق ذلك القس الزائف ،
قد أعدوا لك كميناً ليقصوا به أجنحتك .

خلق فى الجو ما استطعت أن تحلق ،
فلا مفر من أن يوقعوا بك فى كمينهم

ولكنك لن تتحرك ، لا ولن تتقأ أعداءك
حتى يطبق الفخ على قدمك .

٦٠

جلوستر : مهلاً يا « نل » ، مهلاً إن كل ما تزعمين خطأ ،

لا بد لى أن أذنب قبل أن أتهم بالخيانة العظمى
ولو أن لى أعداء يفوقون هؤلاء عشرين مرة .

وكان لكل واحد منهم من القوة ما يعادل
عشرين مرة

ما لهؤلاء كلهم من قوة ،

٦٥

لما استطاعوا أن ينالونى بأذى أو مضرة ،

ما دمت مخلصاً صادق العهد ، لم أقترف

ذنباً

أتريديني أن أنقذك من هذه الوصمة
وجريمتك لما تمح بعد؟

ولإقدامي على مثل هذا العمل يعرضني لخطر
تهمة خرق القانون؟

٧٠

إن أعظم معين لك يا عزيزتي « نل » في محنتك
هذه هو التزام الهدوء ،

فأرجو أن توطني قلبك على الصبر ،
وعما قليل ينتهي استعراض الفضيحة .
(يدخل مناد)

المنادى : فخامتكم مدعو إلى حضور البرلمان

الذى سيعقد في « برى » أول الشهر القادم .

٧٥

جلوستر : أيعقد دون أن تؤخذ موافقتي سلفاً ،

إنها لحظة محبوبة ، وسأكون هناك .

(يخرج المنادى)

وائذنى لى يا عزيزتى « نل » فى الانصراف .

وأنت أيها السيد العمدة

لا تجعل تكفيرها يزيد عما أمر به الملك .

العمدة ٨٠ : إن أذنت يا صاحب الفخامة فإن مهمتى تنهى

هنا .

وتبدأ مهمة سير جون ستانلى

الذى سيصطحبها إلى جزيرة « مان » .

جلوستر : أو تبدأ مهمتك مع زوجى من هنا يا سير جون؟

ستانلى : بهذا أمرت ؛ إن أذنت يا صاحب الفخامة .

جلوستر ٨٥ : تعهدا دون أن تفرض أسوأ الفروض .

تلطف معها .

فلقد تبسم الدنيا لنا من جديد ، فأعيش لأسدى

لك معروفاً

إن أنت أديت لزوجى جميلاً — الوداع

يا سير جون .

الدوقة : ما هذا ! أتذهب يا مولاي دون أن تقرئنى

الوداع ؟

جلوستر : ألا ترين دموعى ؟ إننى لا أقوى على البقاء لأودعك .

(ينصرف جلوستر وخدمه)

الدوقة ٩٠ : وهل ذهبت عنى أنت أيضاً ؟ إذن ذهبت كل

سلوى ولم يبق لى أجد ،

إن عزائى الآن فى الموت الذى كنت أخشى

ذكر اسمه ،

لأننى كنت أريد خلود هذه الحياة .

ستانلى ، أتوسل إليك أن تأخذنى من هنا .
 فلست أبالى إلى أى مكان تأخذنى لأنى لا أنتظر
 الرحمة من أحد ،

٩٥

وكل الذى أطلبه ، أن تحملنى إلى حيث أسرت
 أن تحملنى .

ستانلى

: ولم الجزع ، يا سيدتى . إنك لن تحملنى إلا
 إلى جزيرة « مان »

حيث تعاملين بما يليق بمقامك .

الدوقة

: هذا أسوأ ما فى الأمر ، فما أنا الآن إلا وصمة
 عار .

فهل ستكون معاملتى على قدر عارى ؟

١٠٠ ستانلى

: بل بوصفك دوقة للدوق همفرى وزوجه ،
 وبما يليق بهذه المكانة ستعاملين ؛

الدوقة

: وداعاً أيها العمدة وليكن ما ستعال خيراً مما
 أصابنى ،

ولو أنك كنت المشهر لفضيحتى .

العمدة

: إنها وظيفتى ، وأسألك العفو يا سيدتى ،

١٠٥ الدوقة

: استودعك الله فقد انتهت مهمتك .

وهيا يا ستانلى ، ألم بأن لنا أن نذهب ؟

ستانلى

: سيدتى لقد تمت كفارتك ، فاطرحى عنك
هذا الثوب .

واذهبي لترتدى لباس السفر .

الدوقة

: إن عارى لم ينزع مع هذا الثوب ،

بل سيظل عالقاً بأنفس أثوابى ،

وسيرز مهما تفننت فى ملبسى ،

هلم سر أمامى فما أشد شوقى لرؤية سجنى .

(يذهبان)

الفصل الثالث

المنظر الأول

الدير في بلدة برى سان إدموندز

قرع طبول ، يدخل الملك والملكة والكاردينال وسافوك ويورك
وكنجهام وسامسوري ووريك إلى البرلمان (مجلس السلاط)

الملك : يدهشني أن اللورد جلوستر لم يأت بعد ،

فليس من عادته أن يكون آخر من

يخصر ، فأى عائق عاقه إلى الآن ؟

الملكة : ألم تفهم ؟ . . ألم تلاحظ

المنظرة الغريبة التي نمت عنها ملامحه التي تبدلت ؟

وما يبيده من العظمة والكبرياء ،

وكيف صار أخيراً وقحاً ،

وكيف ركب الصلف والغرور حتى تنكر

لطبيعته ،

وقد عرفناه من قبل مهذباً حلماً ؛

(١) كان نعت «البرلمان» يطلق في تلك الأيام في فرنسا وإنجلترا على ما يشبه المحكة

العلية التي تسمى الأحكام وتبرم القوانين مع ذلك .

١٠

يسارع للجثو على ركبتيه إحلالاً لنا
إذا ما ألقينا عليه نظرة ولو من بعيد
كان البلاط كله حينئذ يقدر فيه هذا الخضوع
والامثال

١٥

أما الآن فإنك إذا لقيته حتى في مطلع النهار ،
حين يتبادل الناس جميعاً تحية الصباح ،
رأيتك مقطباً ؛ تتقد عيناه بنظرة غاضبة ،
ويعمر بك دون أن يثنى ساقيه ،
منكراً ما يفرضه الواجب عليه نحوناً .

٢٠

إن الكلاب الحقيرة لا تلفت إليها الأنظار
حين تكثر عن أنيابها ؛
ولكن الأسدحين يزأرون تعدله فرائص العظماء ،
وليس همفري رجلاً صغير الشأن في إنجلترة .
فهو أولاً وثيق الاتصال بنسبك ،

٢٥

وهو خليفتك على العرش إن قدر وسقطت ،
فليس من الكياسة في تصريف الأمور ،
أن تأذن لهذا الرجل أن يقترب من ذاتك
الملكية ،
أو أن تسمح له بحضور مجاسك الخاص ،

إذا قدرنا ما هو عليه من نفس تنطوى على الحقد
والضعينة ؛

وما نعلم من أنه المستفيد من موتك .

لقد كسب قلوب العامة بالملق .

وأخشى ما أخشاه ، أنه إذا راق له أن يقوم
بثورة —

فإن هؤلاء جميعاً لا بد تابعوه .

٣٠

إننا ما زلنا في الربيع ،

والعشب الضار لا تزال جذوره على السطح لم
تضرب في الأعماق بعد .

فإذا أهملته وتركته لشأنه . انتشر في الحديقة
وخنق النباتات الأخرى من إهمال التعهد والرقابة .

إن اهتمامي وإجلالي لمولاي . جعلاني أجمع
خبر هذه الأخطار في الدوق ،

٣٥

فإذا ثبت أنها خواطر حمقاء فخذها على أنها
مخاوف امرأة .

فإن توفر من الأسباب الصحيحة ما يقتلها
من نفسي ،

فسأسلم بأنها مجرد مخاوف ، وأعترف أنني ظلمت

الدوق . . .

أبها السادة اللوردات سافوك وبكنجهام وبورك

هلموا وادحضوا قولى هذا إن استطعتم ،

٤٠

فإن لم تستطيعوا فأقرونى عليه

سافوك : لقد نفذت إلى دخيلة هذا الدوق يا مولاتى ،

ولو أنى كنت البادى بإعلان رأيى فيه

لما خرج ما أقول عما قلت .

لعمرى إن الدوقة لم تبدأ مؤامرتها الشيطانية

٤٥

إلا بإيعاز وتحريض منه ،

ولئن لم يكن على علم بأسرار هذه الخطايا .

فهو الذى أغراها بهذا الصنيع بمفاخرته بنبالة

محتلة ؛

وبأنه التالى للملك مقاماً ، وخليفته ووريثه على

العرش .

إنها هى هذه المفاخرات الجوفاء ،

٥٠

التي زينت للدوقة الخبولة

أن تلجأ إلى الأساليب الشيطانية لتدبر سقوط

مليكتنا .

والماء يجري سلسلا هادئاً حيث يعمق الجداول ،

كذلك الدوق يخفى في براءة مظهر الغدر
والخيانة .

الذئب لا يعوى حين يهيم بافتراس الحمل ،
لا .. لا .. يا مومولاى ! إن حلوستر رجل لم
تكشف دخائله بعد ،

٥٥

وهو بعيد الغور في الختل والخداع
الكاردينال : أو لم يلجأ ، مخالفاً لكل أوضاع القانون ،
إلى تدبير ميثاق غريبة عقاباً على ذنوب بسيطة ؟

٦٠ يورك : أو لم يجب في مدة وصايته
مبالغ طائلة من المال من جميع أنحاء المملكة ،
لأداء مرتبات الجنود في فرنسا ؛ ولم يرسل شيئاً
منها ؟

فتسبب بذلك في ثورة المدن وردتها يوماً
بعد يوم ؟

بكنجهام : دعوكم من هذا إنها لأخطاء هينة ، وما خفى
كان أعظم .

وستكشف عنه الأيام في هذا الدوق الداهية .

٦٥

الملك : سادنى أقول لكم ، بلا مقدمات طويلة ، إن
العناية التي تحيطونى بها ،

والتي تدفعكم إلى استئصال الأشواك التي قد

تؤدي قديمي ،

لهي عناية حليقة بالشكر . ولكني إذا أفصحت

عن وحداني

قلت لكم إن قريبي جلوستر برىء .

من قصد الحيانة لذاتنا الملكية ،

٧٠

براءة الحمل الرضيع أو الحمامة الوديدة .

إن الدوق رجل فاضل . وديع ، رضى النفس ،

بحيث لا يفكر في إثم على مصرعي .

: أواه أى شيء أشد خطراً من هذه الثقة

الملكة

العمياء ،

أو يشبه الحمامة حقاً ؟

٧٥

لئن أشبهها فإن ريشه لمستعار كاذب ،

وهو أدنى طبعاً إلى الغراب الأسحم

هل هو حمل ؟ إذن لا ريب في أنه حمل

كاذب ،

فتزعاته نزعات ذئب خلاء . . . !

ومن أضمر الخداع فكيف يعجز

٨٠

عن أن أى مظهر يريد ؟ فحذار ثم حذار ،

يا مولاي إن سلا متنا جميعاً تتوقف على
قطع دابر هذا المخائل .
(يدخل سمرست)

سمرست : الصحة والعافية لمولاي الملك الكريم
الملك : مرحباً بك يا لورد سمرست ! ما وراءك من أنباء
فرنسا ؟

سمرست : لقد انتزع منك كل مالك في هذه الأراضى
وضاع كل شيء عليك .

٨ ٥

الملك : أنباء سيئة . يا لورد سمرست . ولكن فلتكن
مشيئة الله .

يورك : (جانفاً) أنباء تسوءنى أيضاً . فقد كان لى أمل
جميل فى فرنسا ،

لا يقل عن أملى فى أرض إنجلترا الحصبة ،
ويلاه لقد ذوى زهرى فى أكمامه .

والتمت الديدان ورقى .

٩ ٠

ولكنى سأصلح ما فسد من هذا الأمر فى
وقت قريب

وإلا استبدلت بقلبي قبراً مجيداً .

(يدخل جلوتر)

جلوستر

: السعادة كل السعادة لمولاي الملك ،

ومعذرة ياولي إن كنت قد تأخرت طويلا .

٩٥ سافوك

: بل جئت ، يا جلوستر : بأسرع مما حسبا .

إلا إذا لم تكن تتظاهر بولاء ، هو أكثر من

واقع أمرك . .

إني أتهمك ها هنا بالخيانة العظمى .

جلوستر

: لن تراني ، يا سافوك ، أحمر خجلا لمثل

هذا الكلام ،

لا ولن يتغير وجهي لهذه التهمة .

١٠٠

فالقلب الذي لم تشبه شائبة ليس من السهل

إزهابه .

إن أظهر الينابيع وأصفافها لا تخلو من الكدر ،

كما يخلو قلبي من كل أثر لخيانة ملكي ومولاي .

منذا الذي يستطيع أن يهمني وما الذنب الذي

أتهم به ؟

يورك

: يظن ، يا سيدي ، أنك أخذت رشوة من

فرنسا ،

١٠٥

وأنك بوصفك وصياً على البلاد حبست أعطية

الجنود ،

حلومتر : بما أدى إلى ضياع فرنسا من مولانا الملك .
: إن الأمر مجرد مظنة . فمن هؤلاء الذين يظنون
بي تلك الظنون ؟

فما سلبت الجند أعطياتهم قط ،
ولا امتدت يدي إلى رشوة من فرنسا قط ،
والله شهيد على ما أقول . بل إنه ليشهد أيضاً
كم سهرت الليلة بعد الليلة عاملاً لخير إنجلترا ،
ألا فلأحساب يوم الجزاء عن كل دائق
اغتنصبت ، من أموال الملك ،
لا بل على كل درهم اختصصت به نفسي
واختزنته لصالحى ؛
لا بل ما أكثر الجنيات التي بذلتها من حرماًلى
للجنود .

١١٠

١١٥

لأنى لم أرد أن أثقل بالضرائب كاهل الشعب
المعوز .

وما طالبت باسترداد هذه الأموال قط .
الكاردينال : إنه لما يخدم قضيتك أجل الخدمات ،
يا سيدى اللورد ،
أن يفسح لك في مجال القول . . ،

جلوستر

: لست أقول أكثر من الحق ، والله على ما أقول

شهود .

١٢٠ يورك

: ولقد ابتدعت في أيام وصايتك ،

وسائل غريبة لتعذيب المذنبين ، لم يسمع بها

من قبل .

جلوستر

: عجباً أتقول ذلك ، والمعروف عني أنني حين

كنت وصياً

كانت الرحمة هي ذنبي الوحيد ؟

١٢٥

فقد كنت أذوب شفقة أمام دموع المذنبين .

وكنت أجد في كلماتهم الخاشعة الدليّة

كفارة عن ذنوبهم ،

وما أوقعت بهم العقاب الذي يستحقونه قط ،

إلا أن يكون المذنب قاتلاً أثيماً ،

أو سارقاً غادراً سطاياً كراه على أموال المسافرين ،

الراحلين التبعاء

١٢٠

فهؤلاء كنت أوقع بهم العذاب .

نعم عذبت القتلة ، فالقتل لإثم كبير

أكبر من غيره من مخالفات القانون والجرائم .

سافوك : سيدى اللورد . هذه أخطاء هيئة من السهل

تبريرها .

ولكن هناك جرائم أشد وأنكى ملقاة على

عاتقك .

١٣٥

لن تستطيع أن تتحلل منها بسهولة .

إنى أقبض عليك . باسم مولاي الملك .

وأسلمك إنى سيدى اللورد الكاردينال

ليحفظك حتى يحين الوقت لمحاكمتك .

الملك : يا عزيزى لورد جلوستر . . إن كل رجائى

أن تبرئ نفسك من جميع الريب التى تمس ١٤٥

سلوكك وتصرفاتك ؛

إن وجدانى ليوحى إلى أنك بىء .

جلوستر : أى مولاي الكريم ! إن هذه الأيام جدّ

خطيرة .

فالفضيلة تخنقها الأطماع الغادرة ،

والحب تطارده الأيدي الحاقدة ،

وغدا التحريض على الجريمة أمراً شائعاً .

١٤٥

ولسوف يرحل الإنصاف عن ديارك يا مولاي .

إنى أعرف أنهم ياتمرون بى ليقتلونى ،

ولو كنت أعلم أن موتى يوفر السعادة لهذه الجزيرة .
ويضع حداً للخبر وتهم وبغيتهم ،
لقد مت حياتى طائعاً مختاراً .

١٥٠

ولكن موتى ليس إلا مقدمة لمؤامراتهم ؛
بل إن موت الآلاف من الأنفس الآمنة ،
لن يضع حداً لهذه المأساة التى دبروها .

إن عيني بوفورت الحمراءين الملتهمتين لثمان عما
بقلبه من الضغينة ،

وجبين سافوك المتجهم بنى عن فورة الكراهية
فى صدره ؛

١٥٥

ولسان بكنجهام السليط ينفث

الضغن والحسد اللذين يفيض بهما قلبه ،

ويورك الجشع الذى يحاول أن ينال القمر ،

والذى كبحت جماح أطماعه ،

يرمى إلى القضاء على حياتى باتهامات باطلة .

١٦٠

وأنت أيضاً ، يا مولاتى ، أقحمت نفسك مع
هؤلاء .

وأسهمت بلا داع فى تجليل هامتى بالخزى
والعار ،

وبدلت عاية جهدك في استشارة المليك ،
مولاي الأعز . ليكون عدوي .

أحل لقد اتصرتم بي لتتخلصوا من حياتي
البريئة .

ولقد راقمت عن كذب اجتماعاتكم .
ولستم في حاجة إلى شهادة زور تدينني .
ولا إلى تجميع خيانات لتضخيم ذنبي ؛
فإن المثل القديم يقول : « لن تعوزك العصا
لتأديب الكلب »

١٠٠ الكاردينال : إن سخريته لا تحتمل ، يا مولاي ،
وإذا كان هؤلاء الذين يعينهم صيانة ذاتك
الملكية

من ، أن تلم بها يد الغدر ، وكيد الخونة ،
يتعرضون لمثل هذا التقريع واللوم والسخرية .
على حين يفسح للمجرمين مجال القول كما
يشتهون

١٧٠ : فإن حماسهم لجلالتك لن تلبث أن تفر ،
سافوك : ألم ينتقد الملكة هنا بكلمات نابية وأن صيغت
في عبارات محبوكة ؛

كأنما هي التي حرضت بعض الناس
على أن يكيأوا له الاتهامات الباطلة لإسقاطه
من منصه

الملكة

: للمغلوب الحق في أن يلوم ويعذل .

١٨٠ جلوستر

: كلمة حق أريد بها باطل . أتقولين إني مغلوب ؟
ويل لأذن للغالبين . الذين ارتكبوا الإفك
والتدليس ،

وما دام الأمر كذلك ، فليسمح للمغلوبين أن
يتكلموا كما يريدون .

يكنجهام

: أخلق به أن يتلاعب بالمعنى ويلويه كيف شاء
ويمسكنا هنا طول اليوم !

١٨٥

سيدى الكاردينال إنه أسيرك

الكاردينال

: أيها السادة اذهبوا بالدوق من هنا واحرسوه جيداً

جلوستر

: آه ! هكذا يتخلى الملك هنرى عن سنده ،

قبل أن تقوى ساقاه على حمل جسده .

وهكذا يضرب الراعى ، ويقصى من جانبك .

١٩٠

والذئاب من حولك تعوى وتكشر عن أنيابها .

وتتسابق أيها يكون أول من ينهشك بأنياه .

آه ليت مخاوفي كاذبة . ليتها كانت كذلك .

إني لأخشى؟ هلاكك أيها الملك الصالح هنرى.
(يخرج تحت الحراسة)

الملك : أيها اللوردات أبرموا أو انقضوا ما يبدو لحكمتمكم
إنه الخير ،

وتصرفوا كما لو كنت بينكم هنا . ١٩٥

الملكة : أتغادر جلالتك المجلس ؟

الملك : أجل ، يا مرجريت ، فإن قلبي يفيض أسى ،
لن يلبث طوفانه أن يسيل من عيني ، وجسدى
تطوقه التعاسة ،

وهل هناك ما هو أشد مرارة على النفس
من أن يرى المرء ويشهد مالا يرضيه ؟ ٢٠٠
أيها العم همفرى ! إني لأقرأ في وجهك
آيات الشرف والصدق والوفاء .

ومع ذلك ، أى همفرى الصالح ،

جاء الوقت الذى تبينت فيه خيانتك

أوساورنى الشك فى صدق ولائك . . . ٢٠٥

أى طالع نحس هذا الذى حسدك على مكانك
الرفيع ،

وحمل هؤلاء اللوردات العظام . ومعهم ملكتنا

مرجريت .

على السعى فى القضاء على حياتك الوادعة ؟

إنك ما أسأت يوماً إلى واحد منهم

بل ما أسأت قط لإنسان .

٢١٠

لقد حملوا جلوستر من هنا

كما يحمل القصاب العجل إلى المذبح ،

فهو يوثقه ويضربه إذا حاول الخلاص .

بل لقد كانوا أشد قسوة من القصابين

ولم يكن فى وسعى أن أفعل شيئاً من أجله .

٢١٥

بل كنت كأم العجل التى تجرى وراءه وهى

تبكى وتعول .

وتنظر فى حسرة إلى الطريق التى سار فيها ابنها

الوديع .

وهى لا تملك إلا العويل على فقد هذا العزيز .

هكذا أندب حظ جلوستر الصالح بدموع

حزينة لا تنفع

وأرقبه ، وقد حملوه . بعيون مغرورة بالدمع .

٢٢٠

دون أن أستطيع له خلاصاً .

فأعدائهم الذين عقدوا الحناصر على الكيد له
أشداء أقوياء .

سأبكي حظه العاتر وأنا أسائل نفسي بين
كل زفرة وأخرى
ترى من يكون الخائن ؟ فيأتيني الجواب « ليس
جاوستر بالخائن » .

(يخرج ويتبعه الجميع عدا الملكة والكاردينال وبوفور وسافوك
ويورك ويتنق ستمست معزل عن الآخرين)

٢٢٥ الملكة : أيها اللوردات الأحرار ،

إن حرارة الشمس لتذيب جمود الثلج البارد .
ومولاي هنرى يخور عزمه عند ما يواجه العظيم
من الأمور .

إنه شديد الرأفة المنطوية على الحنو :

وقد استطاع جاوستر أن يخدعه بتظاهره بالبراءة ،
كما يخدع التمساح بدموعه الكاذبة

٢٣٠

أولى الرحمة من المارين به ، فيوقعهم في حباله ،
أو كما تخدع الأفعى التي تكمن في زهور
الشاطئ

الطفل البريء . بجالدها البراق المرقط ،

فيظنه لجمالهِ شيئاً رائعاً ، فيقبل عليه فتلدغه .

صدقوني ، أيها اللوردات ، ولو أنني لا أدعي

أنني أحكم الناس ،

٢٣٥

فإني في هذا المقام أعتقد أن تفكيرى سليم ؛

وأن هذا الدوق جلوستر يجب أن يذهب

عن هذه الدنيا ،

ليذهب عنا الخوف الذى يشيعه فينا .

الكاردينال

: أما أنه يجب أن يموت فتلك سياسة حكيمة .

ولكن لا تزال تعوزنا الحجة التى نتذرع

بها لقتله ؛

٢٤٠

وأرى أن الأنسب أن يدان عن طريق القانون

: وتلك فى رأى ليست خطة حكيمة ،

سافوك

فالملك سيعمل دائماً على إنقاذ حياته .

ولربما هب العامة لاستنقاذه أيضاً .

ثم إنه ليس لدينا ضده إلا حجج واهية ،

٢٤٥

لا تزيد على مجرد شكوك ، وشبهات ،

لا نستطيع أن نبرر بها موته .

: وأذن فمعنى هذا أنك لا تريد موته .

يورك

: يا يورك ! مامن حى يتمنى موته كما أتمناه .

سافوك

يورك : بل إن يورك هو الذى لديه أكثر من سبب ليعتني

موته .

ولكن يا سيدى الكاردينال . وأنت يا سيدى

٢٥٠

اللورد سافوك .

فليتحدث كل منكما بوحى أفكاره . ولينطق

كل منكما بما يمليه على فؤاده .

وستتفقان فى النهاية على أن تنصيب اللورد

همفرى وصياً على الملك

كان بمثابة وضع النسر الجائع ليحشى الفراخ

من الحداة الساغبة .

: ومن ثم لم يكن بد من هلاك الفراخ المسكينة .

الملكة

: هذا صحيح يا مولاتى . . ألم يكن من الجنون إذ

٢٥٥ سافوك

ذاك

أن نجعل الثعلب حارساً على الحظيرة ؟

ذلك الثعلب المجرمُ الخلدُ ،

الذى لا تعتبر جريمته ذات شأن

إذا ما هو عاجز عن الوصول إلى ما يريد .

لا . . لا . دعوه يمت مية الثعلب ،

٢٦٠

الذى ثبت أنه بافطرة عدو للقطيع ،

قبل أن يصطبغ فكه بالدم القاني ،
 فقد ثبت بالأدلة أن همفري عدو لمولاي الملك .
 فلا تختلفوا عبتاً في اختيار طريقة الفتك به ،
 فسواء أن يكون موته بالفخاخ أو بالشراك
 أو بالحيلة ،
 نائماً أو يقظان . فالوسيلة ليست بذات شأن ،
 وإنما الذي يعنيننا ، هو أن يموت ، وليس في
 هذا أى خدعة ،

٢٦٥

فهو البادئ بالخدعة . والبادئ أظلم . .
 : إنك لعريق : يا سافوك . وقد تكلمت بحزم .
 : ليس حزماً إلا أن نُسَبِّح القول العمل .

الملكة

٢٧٠ سافوك

فما أكثر ما يقال ولا يعنى به شيء ،
 ولكنى في هذا يصدر لسانى عما في قلبي من إيمان ،
 بأن هذا العمل يستحق الثواب . ولكى أحمى
 ملكى من عدوه . أصدرت أوامركم ،
 أكن أنا قسه الذى يتلقى اعترافه قبل الموت .

٢٧٥

الكاردينال : ولكنى أريده أن يموت يا سيدى اللورد سافوك ،
 قبل أن تتلقى الأوامر بتنصيبك قسيساً ،
 ويكنى أن تقول إنك راض عن موته ،

وإنك تحبذ العمل ، لأتولى أنا إيجاد جلاده .

فأضمن بهذا العمل سلامة مولاي .

٢٨٠

: هاك رلى فاعمل خلىق بأن ينفذ .

سافوك

: وأنا أؤيد هذا القول

الملكة

: وأنا أوصاً أؤيده : أما وقد اتفقت كلمتنا

يورك

نحن الثلاثة على هذا .

فليس يعنينا كثيراً من يعارض فى قرارنا .

(يدخل ساعى البريد)

٢٨٥ ساعى البريد : أيها الاوردات العظام إلى قادم من أيرلندا على

جناح السرعة

لأنبشكم أن الثوار هناك قد هـوا

وأعملوا السيف فى الإيجليز ،

فبادروا أيها الاوردات بإرسال النجـدات

لتخمدوا الثورة فى مستهلها ،

قبل أن يستفحل الداء ، ويستعصى على العلاج .

٢٩٠

إن الفتنة لما تنزل فى منبها ،

والأمل كبير فى أن تكون المبادرة كفيلة

باستئصالها .

الكاردينال : هذا انتقاص يستدعى المبادرة لكبحه ،

فأى مشورة لديكم فى هذا الأمر الخطير ؟

٢٩٥ يورك : أرى أن يرسل سمرست إلى هناك نائباً عن الملك ،
وأن يُستفاد من هذا الحاكم المحظوظ .
واذكروا الحظ الذى صادفه فى فرنسا .

سمرست : لو أن يورك كان مكافئاً ، نائباً للملك فى فرنسا ،
لما استطاع ، رغم سياسته المحكمة فى حذق ،
أن يصمد طويلاً هناك . ٣٠٠

يورك : ولم أكن لأفقدوها جميعاً على أية حال ،
كما فعلت أنت . يا سمرست ، ولاأثرت الموت
فوراً
على أن أعود لبلادى بهذا الحمل من الخزى
والعار
بطول إقامتى هناك حتى صاع كل شىء . . .

أرئى أثر حرح واحد فى جلدك ؛ ٣٠٥
إن الذين يحتفظون بأجسادهم سليمة ، قلما
يتصرفون .

الملكة : كفى كفى . . إن هذه الشرارة قد تندلع ناراً
متأججة

إذا أمدت بما يغذيها من الروح والوقود .

أمسك عن القول أى يورك الصالح .

وأنت أيها العزيز سمرست ، اهدأ نفساً ،

٣١٠

فلو أنك كنت مكانه يا يورك نائباً للملك في

فرنسا

لكان جائزاً أن تسوق لك الأقدار حظاً أنكند

من حظه .

ماذا ! أهنأك ما هو شر من العدم ؟

يورك

إن يكن ذلك فليُجسَّأَل العار الجميع

: ولتكن أحدنا ما دمت تريد بنا العار .

٣١٥ سمرست

الكاردينال : سيدى اللورد يورك فلتجرب حظك أنت هذه

المرّة ،

فهؤلاء الجنود الإيرلنديون القساة امتشقوا الحسام

ومزجوا الثرى بدماء الإنجليز ،

فَقَدُ عليهم حملة من الصفوة الممتازة ،

تختار من كل مقاطعة جماعة ،

٣٢٠

وهيا واجه بها الأيرلنديين وجرب حظك .

يورك : فليكن ذلك يا سيدى اللورد إن أذن مولاي

الملك

سافوك : ولم هذا التحفظ ؟ إن سلطتنا تصدر عن رضا
وما نقرره يبرمه الملك :

٣٢٥ فخذ هذه المهمة على عاتقك ، أى يورك
الكريم ،

يورك : وأنا راض بهذا التكليف . فزودونى بالجنود ،
أيهما اللوردات ،
بينما أمضى لتدبير شئونى الخاصة .

سافوك : هذه مهمة سأتعهد بها بنفسى يا لورد يورك ،
والآن لنعد إلى حديث الدوق همفري المخادع .

٣٣٠ الكاردينال : لا تعاودوا الحديث فى أمره فسأكفيكم شأنه ،
وان يعود لإرعاجنا مرة أخرى . وهيا ننصرف
فقد مضى من النهار أكثره
أما أنا وأنت يا لورد سافوك فلنتحدث معا فى
هذا الحادث الذى عرض .

يورك : سيدى لورد سافوك سأنتظر جنودى
فى « برستل »^(١) فى خلال أربعة عشر يوماً
ومن ثم أرحل بهم بالسفن إلى أيرلندا

- سافوك : سأرقب تنفيذ ذلك بدقة يا سيدى اللورد .
(يحيدون جميعاً تاركين خلفهم اللورد يورك)
- يورك : هذه فرصتك يا يورك . فاعتمها ، أودع الأمر إلى الأبد
قو أفكارك الواجفة . واجعلها صلبة لا تلين .
واستبدل العزم بالحيرة
- وكن كما أملت أن تكون ، أو كما أنت فى الواقع ، واستبسل حتى الموت .
فالمتاع لا يساوى شيئاً . ودع الخوف بوجهه الشاحب يصاحب الأذلاء
ذوى المنبت الحقير . ولا تدعه ينفذ إلى القلب الملكى ليستقر فيه .
إن الأفكار يتبع بعضها بعضاً كأنها غيث الربيع المنهمر ،
وليس فيها فكرة إلا تدور حول العظمة والجاء .
- إن تفكيرى وهو أنشط من العنكبوت الدائب ، لينسج الحباثل المحكمة لاصطياد أعدائى .
حسن مكرهم الذى مكرتم أيها اللوردات ،
إذ بعثتمونى مزوداً بجيش عظيم ،

٣٥٠

وأخشى أنكم قد أشعتم الدفء في الثعبان المقرور ،
 فلا يلبث بعد أن احتضنتموه في صدوركم أن
 يلدغ قلوبكم .
 كانت تعوزني الرجال وها أنتم أولاء تقدمونهم إلى
 وسأشكر لكم هذا ، ولكن كونوا على يقين
 أنكم بفعلكم هذا قد وضعتم سلاحاً ماضياً في
 يد مجنون .

٣٥٥

فبينما أنا في أيرلندا أنمي هذا الجيش العظيم
 سأعمل على إثارة عاصفة
 في إنجلترة هوجاء تدفع بعشرة آلاف رجل
 إما إلى الجنة وإما إلى الجحيم .

٣٦٠

ولن تكف هذه العاصفة العاتية عن ثورانها
 حتى تستقر الحلقة الذهبية على رأسي .
 عندئذ تهدأ هذه العاصفة المجنونة
 كما تهدأ العواصف عند ما تشرق عليها الشمس
 بأشعتها الذهبية الكاشفة العظيمة .
 وقد اخترت لتنفيذ مشيئتي هذه
 رجلاً من أهل كنت قوى الشكيمة
 يدعى « جون كيد » من « أشفورد »

وأغريته بالقيام بفتنة في أوسع نطاق ، وهو على ذلك قدير .

٣٦٥

وأن يقود الثورة تحت اسم جون مورتيمر .
لقد لقيت هذا الرجل العنيد في أيرلندا ،
ورأيت يقف في وجه فرقة كاملة من الجنود
الأيرلنديين العتاة .
ويتبت أمامهم في القتال حتى نفدت السهام في
فخذه وساقيه ،

وكأنها مغطاة بشوك القنفذ الحاد .

٣٦٠

وحين استنقذ في النهاية رأيت
يقفز على قدميه في خفة الراقص المغربي الوحشي ،
فيهر السهام القاتلة هزة هذا المغربي لأجراسه ،
وكثيراً ما رأيت ينبث في صفوف الأعداء ،
ويتحدث إليهم كأنه أحد الجنود الأيرلنديين
ذوي الشعر الحشن .

٣٧٥

ثم يعود إلى دون أن يكشف أحد أمره ،
ويطلعي على أفعالهم ومكرهم .
هذا الشيطان سيكون نائبي هنا .
إنه أشبه ما يكون بجون مورتيمر الذي قضى

نحيه .

في ملاحجه وحاديئه ومشيته .

وبهذه الوسيلة سأتمكن من أن أنعرف إلى رأى
الحماهير

٣٨٠

وإحساسهم نحو بيت يورك وحقه في التاج .

ولنفترض أنه قبض عليه واضبطه وعذب .

فلست أعرف أذى يمكن أن يلحقه به .

يحملة على الاعتراف بأنى أنا الذى حرّضته على

٣٨٥

هذه الثورة . . .

ولنفترض أنه نجح وهو الأكثر احتمالاً .

فما على عندئذ إلا أن أقدم من أيرلندا ومعى

قوائى .

لأجى الثمار التى بذرها هذا الأفاق ،

إذ يكون همفرى قد مات وهو حتماً سيموت .

ويكون هنرى قد نحى وصفنا لى الجوى .

٣٩٠

وبالباقى على .

(ينخرج)

الفصل الثالث

المنظر الثاني

(عدد يرى سادت دمويد - حجرة امتحان - أسدت
المتأثر في مؤخرتها لتحو حجرة أخرى من وراءها
- يدخل بعض التسلق صرع من حلت المتأثر)

القاتل الأول : أسرع إلى سيدي اللورد سافوك وخبره
أننا أجهزنا على الدوق كما أمر .

القاتل الثاني : أواه ما أبشعه من عمل ! ماذا فعلنا ؟
ما سمعت في حياتي أن رجلاً كان أو أباً كهذا
الرجل . (يدخل سافوك)

القاتل الأول : هذا هو مولاي اللورد .
سافوك : والآن أيها السادة هل نفذتم ما أمرتم به ؟
القاتل الأول : نعم يا مولاي إنه ميت .
سافوك : أحسنتم صنعاً : فهيا اذهبوا إلى بيتي
وسأجزىكم على هذا العمل الجريء .
١٠ إن الملك واللوردات جميعاً على مقربة منا ،
فهل أحسنتم ترتيب الفراش ؟
وهل كل شيء على ما يرام ووفق تعليماتي ؟

القاتل الأول : نعم يا مولاي الكريم .
 سافوك : هيا اخرجوا أسرعوا بالذهاب (يبحر القتل)
 (قرع طبل . يدخل الملك والملكة والكاردينال وتبرست ومعه
 الحاشية)

١٥ الملك : اذهب وادع عمنا إلى حضرتنا حالا .
 قل له إننا نعتزم محاكمته اليوم ،
 إذا كان مذنباً كما أذيع .
 سافوك : سأدعوه من فوري يا مولاي العظيم .
 (يدخل إلى الغرفة الداخلية)

٢٠ الملك : أيها اللوردات خذوا أما كنكم وأرحوكم جميعاً
 ألا تغلوا في محاكمة عمنا جلوستر .
 وألا تأخذوه إلا بالشهادة الصادقة الموثوق بها
 والتي تقطع قطعاً بإدانتة .

الملكة : حاشا لله أن يتمحكم الحقد ،
 وأن يدان رجل شريف برىء .
 فلندع الله أن ينجيه من كل ريبة .
 ٢٥ الملك : أشكرك يا « نل » ، فهذه الكلمات أثلجت
 صدى . (يعود سافوك)

ما بك؟ وما لك تبدو صاحب الوجه؟ ولم ترتعد

فرائصك ؟

أُين عمنّا ؟ ماذا حدث يا سفوك ؟
 : وجدته ميتاً في فراشه . يا مولاي ، لقد مات
 سافوك
 جلوستر .

٣٠ الملكة : يا إلهي وقانا الله الشر .
 الكاردينال : هذا قضاء الله الخفي : فقد حلمت هذه الليلة
 أن الدوق خرس لسانه ولم يعد يستطيع النطق
 بكلمة . (ينسى على الملك)
 الملكة : ماذا بك يا مولاي ؟ النجدة أيها اللوردات . . .
 مات الملك

سمرست : أنهضوه ، واعركوا أنفه .
 ٣٥ الملكة : أسرعوا النجدة . . . النجدة هيه يا هنري
 افتح عينيك .

سافوك : تجلدى يا مولاي فلقد أخذ يستفيق .
 الملك : يا إله السموات !
 الملكة : كيف حالك يا مولاي العظيم ؟
 سافوك : العزاء ، يا مولاي ، العزاء أي هنري العظيم
 : ويلاه ! أيعزيني سافوك ؟
 ٤٠ الملك

ألم يأت لفوره ليسمعي نعيب غراب البين . ،

هذا النعيب الكريه الذى سلبنى قواى ؟
إذن ما باله الآن يعزبنى ! أيجسب أن تغريد
العصافير

وهى تتصايح بالعزاء والسلوى من صدر نحاو .
يمكن أن تطرد عن مسمعى النعيب الذى وقر
أولا فى أذنى . . . ؟

لا ! لا ! لا تخف سمومك بهذه الكلمات
المعسولة ،

٤٥

إنى آمرك أن تكف عنى . ولا تلمسنى بيدك ،
فلمس يديك يخيفنى كما تخيفنى لدغة الثعبان .
أغرب عن ناظرى يا رسول الشؤم ،

فى حدقتيك يربض الغدر الأثيم ليثير الرعب
فى الدنيا . . .

إليك عنى لا تنظر إلى فلان نظراتك تجرحنى ..
لا بل ابق وحدق فى بنظراتك أيها الثعبان السام .
حدق بنظراتك فى فريستك ، واقتلها بسم
عينيك .

٥٠

وسأجد فى كنف الموت الهناء والراحة ،
فلم تعد الحياة بعد موت جلوسر إلا موتاً

مضاعفاً .

٥ = المذكرة : ما بالك تلوم سيدى اللورد سافوك على هذه الصورة ؟

إن يكن الدوق من أعدائه فإنه وهو المسيحى المتدين لا يستطيع إلا أن يأسى على مماته .

وأنا نفسى ، برعم أن الدوق كان خصمى ، لو تيقنت أن الدموع المسفوحة ، والزفرات التى تقطع نياط القلب ،

٦٠ والتنهيدات التى تحرق الدماء ، يمكن أن ترد إليه الحياة .

لما ترددت فى أن أذرف الدمع حتى يعمى بصرى .
ولما كففت عن التنهيدات حتى تخور قواى ،
ولاسكت عن الزفرات الحارقة للدم حتى يحول لوفى وأبدو صفراء صفرة زهرة الربيع .

كل هذا لأرد الحياة إلى سيدى الدوق النبيل . . .

٦٥ وما يدرينى أن الناس سوف لا يظنون بى الظنون ؟
فقد مات الدوق والكل يعرفون أنى لم أكن معه على وفاق ؛

فلربما رعم الناس أنى تخالست من الدوق ،

ومن ثم يصير اسمي مضغعة في الأفواه المقترية .
وتتملى قصور الأمراء بلوى وتقريعى .

هذا ما يجنيه على موت الدوق فيا لى من تعسة! ٧٠

أأكون ملكة يتوجنى الناس بالعار !

الملك : آه ويلى عليك يا جلوستر أيها البائس المسكين !

الملكة : بل الويل لى فأنا أشد بؤساً منه وتعاسة

ماذا؟ أتعرض عني وتخفى وجهك عني؟ أى مليكى .

ما أنا بالمجدومة الكريهة انظر إلى! ٧٥

ما خطبك؟ ألا تسمعى؟ أغلوت أصم كالصل؟

وإذن فكى ساماً مثله ، واقتل مليكتك التعسة .

هل حبست سلوكك كلها فى قبر جلوستر؟

إذن لم تكن إلبانور يوماً ما مصدر سرورك؟

أقم إذن لجلوستر تمثالا واعبده . ٨٠

أما أنا فاجعل صورتى لافتة للحنانات ؛

المثل هذا المصير تعرضت للمخاطر فى البحر

وقدفت فى الرياح النكباء مرتين بعيداً عن شاطئ

إنجلترا ،

وردتنى إلى موطنى وبلادى ؟

ترى أى نذير كان وراء هذا ؟ ليلوح لى أن
نذر الريح
كانت كأنما تهتف لى « لا تسعَى إلى جحر
العقرب ،

٨٥

ولا تطئى بقدمك هذا الشاطىء القاسى »
أتعلم ماذا فعلت أنا عندئذ ؟ لقد لعنت هذه
الرياح الجتوب ..
ولعنت الذى أطلقها من كهوفها الصلبة القدية ،
وأمرتها أن تهب نحو شاطىء إنجلترا المبارك ،
أو تحول دفعة سفينتنا لترطم بصخرة وعرة ؟
غير أن إله الريح (إيلوس) أبى أن يكون
سفاحاً .

٩٠

فترك هذه المهمة البغيضة لك ،
وألى البحر العباب أن يغرقنى فى بلته
لأنه كان يعلم أنك سوف تغرقنى على الشاطىء .
فى بحر أجاج من دموى بلمودك ،
وأبت الصخور الناتئة تلك ، الرابضة فى الرمال
الغائرة ،

٩٥

والتي تهشم السفن التي ترتطم بها ،
أبت هي الأخرى أن تحطم سفينتي بشعابها
الناثئة .

١٠٠
لتتيح لقلبك الصخري الذي هو أشد قسوة منها ،
أن يحطم إليانور ويقضي عليها في قصرك . . .
وإني لأذكر أني حالما لحت من بعيد صحور
بلادك الجيرية .

وردتني العاصفة عن شاطئك .
وقفت على ظهر السفينة وسط الأنواء .
فلما أظلمت السماء وحرمتني
نعمة التطلع إلى شاطئ بلادك .

١٠٥

نزعتم من جيدي جوهرة نفيسة . كانت على
صورة قلب ملبس بالماسات ،
وألقيت بها في البحر صوب بلادك ، فتلقاها
البحر .

ووددت ساعتئذ أن تتلقى أنت على هذا النحو
قلبي ،

وبالرغم من ذلك ، فقد غاب عن ناظري
شاطيء إنجلترا الجميل .

١١٠

فقلت لعيني كونا مع قلبي .

وقلت لهما يا لكما من ناظرين عشيهما العمي

والظلام .

وإلا فكيف مشهد شاطي* إنجلترا المنشود يغيب

عنكما .

ولظالما أغريت سافوك رسول قلبك الغادر ،

أن يجلس إلى* وأن يسحرنى بلسانه وحديثه كما

١١٥

سحر « إسكانيوس^(١) » ديدو

عند ما جلس إليها . بلسانه وحديثه

الأخاذ .

وهو يفضي إليها بحديث حروب أبيه التي بدأت

بإحراق طروادة .

أو لم تر ألى سُحِرت كما سُحِرت

وأنتك أنت خداع مثله ؟

(١) إسكانيوس س إينياس في الإنياده لفرجيل وإينياس لا ابنه هو الذي يقص على ديدو « أميرة » صور « ومؤسسة قرطاجنة . لقد استضافت إينياس بعيد فراره من طرواده وأحسد تم انتحرت لما هجرها انتحاراً شاداً على حطب كانوا يحرقون عليه حث الموتى .

١٢٠

يلي ! لست أقدر على شيء أكثر مما قلت .
 فلتموتى يا إيليانور
 فإن هنرى يذرف الدمع لأنك عشت إلى هذا
 اليوم .

(ضجة من الخارج تم يدخل وريك وصالسىورى وورايم
 كثير من العامة يتبعونها حتى الباب)

وريك

: ذاع أيها الملك العظيم
 أن دوق همفرى الصالح قتله غدراً
 سافوك والكاردينال بوفورت ،

١٢٥

فانتشر العامة فى كل مكان ، كخلية نحل
 هائجة ،

منتشرين هنا وهناك يطلبون زعيمهم ،
 لا يبالون من يلسعون أخذاً بثأره :
 وقد هدأت بنفسى ثورتهم الغاضبة

١٢٠

بأن قلت لهم تريثوا حتى تتحققوا من نبأ مصرعه .

الملك

: أما أنه مات يا وريك فهذا صحيح .

أما كيف مات فعلم ذلك عند الله وليس
 عند هنرى :

ادخل مخدعه وانظر جسده الهامد ،
 ثم اكشف عن موته المفاجئ .
 هذا ما سأفعله يا مولاي (عند الباب) ابقى أنت
 يا سالسبوري

١٣٥

مع الجماهير الهائجة حتى أعود .
 (يدخل إل الحجرة الداخلية)

الملك

إلهي يا من بيده تصريف الأمور ، اكبح جماح
 ظنوني ،

ظنوني التي تحاول إقناعي
 بأن يداً غادرة اغتالت حياة همفري !
 إن تكن ظنوني آثمة ، فاغفر لي يا ربّي ،

١٤٠

فإن الحكم لك أنت وحده .
 إلا ما أشد شوق لأن أدخل إليه وأدق
 شفّتيه الباهتتين بالآلاف من قبلاتي ،
 وأغمر وجهه بفيض من دمعي الأجاج ،
 وأبث حي جسده الأبكم الأصم ،

١٤٥

وأتحسس بأصابعي راحته الهامدة !
 ولكن ما جدوى هذه الطقوس التافهة ؟

فليس وراء النظر إلى حسده المسحي وصورته
الندبوية الخفية

إلا زيادة حزني وشجني ؟

(يمود وريك ويسحب أستر حائلاً مـ... حتى خنوتر
مسجاة على مراتب)

وريك : تعال إلى هنا . مولاي الكريم . وألق نظرة على
حسده .

١٥٠ الملك : لكأنما تريدني أن أنظر إلى أي عمق حضر لحدي .
لقد طار مع روحه كل مالى من السوى والعزاء .
فإذا ما أبصرته لكأنما أبصر نفسي في لحدي .

وريك : مولاي إني لأومن أن يد الغدر قد امتدت
إلى حياة هذا الدوق المتلث الأبحاد فاعتاها .

١٥٥ : كإيماني بأن روحى تسعى لأن تحيا مع الملك
الجليل السيد المسيح
الذى أخذ على عاتقه أن يرفع عنا لعنة الله وغضبه .

سافوك : إنه لقسم رهيب على لسان رجل حقير !
فأى دليل لدى اللورد وريك . على صحة هذا
القسم ؟

وريك

: انظر كيف احتبس الدم في وجهه ؟

١٦٠

فلطالما رأيت أناساً فارقتهم الروح فجأة .

فكان لونهم كلون الرماد مهزولين .

وجوههم شاحبة وقد غاض دمهم

لتسربه كله إلى القلب الخفاق . وهو يصارع

الموت

فيجذب الدم ليستعين به

١٦٥

في صراعه مع هذا العدو ،

ولا يلبث هذا الدم أن يجمد في القلب ولا يعود

إلى الحدود ليوردها ؛ ويزينها كما كانت .

ولكن انظر إلى وجه جلوستر تره أسود محتثناً بالدم ،

جحظت حدقتاه أكثر مما كانتا وهو حي ،

١٧٠

تحميلقان ببشاعة . كعيني رجل مخنوق ،

وقد انتصب شعر رأسه ، واتسع منخراه ، من

عنف الجهاد .

وانبسطت يدها وامتدتا كيدي رجل يتشبث

بأى شيء

إمساكاً على الرمح ، ولكن القوة غلبته على أمره .

تأمل ، ألا ترى شعر رأسه وقد التصق بالملاءة
ولحيته المنسقة وقد صارت خشنة شعثناء كسنا بل
القمح مزقتها العواصف ؟

١٧٥

هذا كله يقطع بأنه قتل هنا
وأقل هذه الظواهر شأناً تنبيء بذلك .

سافوك :ريك يا وريك ومنذا الذى أقدم على قتل الدوق ؟
لقد كان فى حراستى أنا وبوفور .

١٨٠

وكلانا ، فيما أرجو ، ليس من القتلة .
لكن كلاهما كان عدواً لدوداً للدوق همفرى ؛
وفى الحق أنه كان عليك أن تحرس الدوق
الصالح .

وريك

ولم يكن من المتوقع أن تعامله معاملة الصديق .
ولكن واضح جداً أنه لقي فيك العدو اللدود .

١٨٥ الملكة

: إذن أنت تميل إلى الشك فى هذين السيدين ،
وتراهما المسئولين عن موت الدوق همفرى قبل
أوانه ،

وريك : منذا الذى يرى العجلة مذبوحة والدماء تنزف
منها ساخنة ،

ثم يرى قصاباً إلى جانبها وبيده السكين .
ثم لا يعتقد أن هذا القصاب هو الذى قام
بالذبح ؟

ومنذا الذى يجد « الحجل » فى عش الصقر ١٩٠
فلا يدرك كيف مات العصفور .
مهما خلق الصقر فى الفضاء
منقار خلا من الدم ؟
كذلك تثير الشكوك والشبهات هذه المأساة ..

١٩٥ الملكة : أأنت القصاب يا سافوك ؟ إذن فأين مديتك ؟
وهل نعت بوفور (١) بالصقر الوضع ؟ إذن فأين
مخالبه ؟

سافوك : مثلى لا يحمل مدية يذبح بها النائمين ،
ولكن بيدى سيفاً منتقماً أصدأه البقاء فى
غمده ؟

سأغمده فى القلب الحقود

الذى وصمنى بوصمة سفاحى الدماء . ٢٠٠

قل إن جرؤت أيها اللورد المتعجرف لورد
وركشير ،

قل لى أنا المتهم فى وفاة الدوق همفرى .
(ىرى الكارديبال الستار تم يخرج)

ورك : وماذا الذى لا يجرؤ عليه وريك ،
إذا كان سافوك الخائن هو الذى يتحداه ؟

٢٠٥ الملكة : إنه لا يجرؤ أن يهدى من سفاهة طبعه
ولا أن يكف من غطرسته على الناس .
ولو تحداه سافوك عشرين ألف مرة .

ورك : إلزى الهدوء ، يا مولاتى . واسمحي لى أن قول لك
بكل احترام ،

إن كل حرف تنطقين به لصالحه

هو عار يشين جلالك الملكى . ٢١٠

سافوك : يا لك من قدم خشن سىء الأدب !
إن تكن هناك سيدة أسرفت فى خيانة مولاه
فهى أملك :

لقد اصطحبت إلى فراشها الآثم

فلاحاً غليظاً جافى الطبع فطعمت الأصل النجيل
 بالبذرة السوقية الجلفنة فكنت أنت الثمرة ،
 فلست من آل نيفل الكرام فى شىء .

٢١٥

وريك

: لولا أن جريمة القتل محيطة بك .
 ولولا أنى إن قتلتك سلبت الجلال أجره
 لأنه يكون قد خلصك من عشرة آلاف عار
 وخزى ،

٢٢٠

ولولا أن حضرة الملك تلزمى المسالمة ،
 لجعلتك . أيها السفاك الرعديد الزائف ، تجثو
 على ركبتيك .

وتلتمس الرحمة لما بدر منك من قول ؛
 وتعترف بأن أملك هى التى عنيت بهذا القول ،
 وأنتك أنت الذى ولدت سفاحاً ،
 ولأوقعت بك ، بعد أن تنهى من الاعتذار المنزل ،
 العقاب الذى تستحقه ، فأرسلت بروحك إلى
 الجحيم ،

٢٢٥

أيها الغادر الذى يمتص دماء النائمين .

: أما أنت فستكون متيقظاً حين أسفك دمك

سافوك

لو جرؤت على أن تخرج معي من هذه الحاضرة.

٢٢٠ وريك

: هيا اخرج الآن وإلا حررتك من هنا جراً.

سأنازلك وإن لم تكن لي ندا.

لكي أؤدى بذلك حقاً لثأمة الدوق همفري

(يخرج سافوك ووريك ويتبعهما الجميع عدا الملك والملكة)

الملك

: أى درع أقوى من القلب البريء؟

إن الشريف في خصومته يحصن بلدروع مدرعة.

٢٣٥

أما الذي أفسد البغي ضميره .

فهو كالأعزل العاري وأن تدرع بالفولاذ .

(ضحة مر الحارج)

الملكة

: ما هذا الضميج ؟

(يدخل سافوك ووريك وقد تمهرا سيفيهما)

الملك

: ما هذا أيها الأوردات أتشبهون سيوفكم الحائقة

في حضرتنا ؟

ما هذه المرأة علينا ؟ وفيما هذه الضجة الصاخبة

التي نسمعها هنا ؟

٢٤٠ سافوك

: إنه وريك الخائن ومعه رجال بلدة « برى »

يحملون على جميعاً يا مولاي العظيم .

(يدخل السورى)

(موجه الحديث الى العامة خارج الباب)

السورى : أيها السادة تنحوا عن الباب وسيستمع الملك إليكم
(يتراجعون)

مولاي الملك المهيب ! إن الجمالير حملتى

رسالة إليك :

إنه إذا لم يقض على اللورد سافوك بالموت فوراً ،

أو ينفي من أرض إنجلترا الحبيبة

فإنهم سيتزءونه قسراً من قصرك ،

ويعذبونه بأن يترضوا عليه موتاً بطيئاً قاسياً .

وهم يقولون إن الدوق همفري لقي حتفه على يديه

وإنهم يخشون أن يكون حتفك على يديه أيضاً ،

يا مولاي ،

وهم يتذرعون بفطرتهم القائمة على الحب والولاء لك ،

وبأن نفوسهم قد برئت من كل رغبة ومن كل

مكابرة ،

وخلصت من شبهة في معارضة لرغباتك .

لتبرير جراتهم في طلب نفيه .
 يقولون إنهم يفعلون ذلك حرصاً على سلامة
 ذاتك الملكية .

٢٥٥ فلو أن جلالتك اعتزمت أن تنام .
 وأمرت ألا يقلق أى إنسان راحتك :
 وإلا تعرض لغضبك ، أو للموت عقاباً .
 فلأنهم ، على الرغم من صرامة هذا الأمر .
 الذى تكونون قد أمرتموهم به ،
 إذا رأوا ثعباناً مشقوق اللسان يزحف في خبث
 ودهاء نحو جلالتك . ٢٦٠

لم يكن لهم بد من إيقاظك ،
 خشية أن يكون في تركك مستغرقاً في هذا
 النوم الضار

ما يتيح للشعبان أن يجعل نومك أبدياً ،
 سيضطرون لأن يصبحوا بك ليقظوك رغم
 منعك إياهم ،
 لأنهم يفعلون ذلك ليحموا جلالتك ، أردت
 أو لم ترد . ، ٢٦٥

من أمتال هذه الثعابين الضارية التي تشبه في
ريائها وخطاها سافوك
ذلك الثعبان الغادر الذي يقولون إن لدغته السامة
القاتلة

هي التي انتزعت الحياة في نذالة
من عمك الذي يفوقه قدراً عشرين مرة .

٢٧٠ العامة : (من الخارج) نريد جواباً من الملك يا سيدي
الورد سالسبورى

سافوك : هذا شأن العامة . وهم الفلاحون غلاظ الطبع ،
أن يبعثوا بمثل هذه الرسالة إلى مولاهم الملك .
أما أنت يا سيدي الورد فقد سرك أن تستخدم
في مثل هذه المهمة

لترهم أى خليب مصقع أنت .
ومهما يكن من شيء فإن كل الشرف الذي
كسبه سالسبورى

هو أنه أصبح السيد السفير
الذى أرسله خساس السوق إلى الملك ،

العامّة . : (من الخارج) نريد جواباً من الملك أو نفتحم

جميعاً الباب .

الملك : اذهب يا سالسورى وأبلغهم جميعاً عنى

أنى شاكر لهم هذه العناية الرقيقة الحبيبة ، ٢٨٠

وأنه لولا استحتاتهم إياى على هذا النحو ،

لسبقتهم إلى إنجاز ما يلتمسون ،

فإن ظنوفى لتنبأ لى فى كل ساعة

مما أوقن معه أن كارثة ما ستحل ببلادى نتيجة

ما يديره سافوك ،

ولذلك فأنا أقسم بذى الجلالة ، ٢٨٥

وما أنا إلا أداته الضعيفة على هذه الأرض ،

بأنه لن يسمح لسافوك أن ينفث سمومه فى

هذا الجو

أكثر من ثلاثة أيام ليس غير ، وإلا تعرض

للموت .

(يخرج سالسورى)

الملكة : أياذن لى مولاي هنرى فى أن أشفع لسافوك

النيل .

٢٩٠ الملك

: يا لك من ملكة غير نبيلة إذ تصفين سافوك

بالنبيل

حسبك أذن أن تعرى أنك إن تشفعت له .
 فلن تفعل أكثر من أن تزيد غضبي عليه .
 ولو أن الأمر كان مجرد كلمة قاذها لتمسكت بها .
 فكيف وقد أقسمت . لقد أبرم الأمر ولن
 يقبل نقضاً .

٢٩٥

(إلى ساموك) لو أنك وجدت بعد ثلاثة أيام هنا
 على قطعة من الأرض تخضع لحكمي .
 فإن العالم كله لن يكفيني فدية لحياتك .
 تعال معي . يا وريك، هلم أي وريك الكريم .
 فإن لدى أموراً هامة أغضى بها إليك .
 (يخرجان ذريكين وراعهما الملكة وسافوك)

٣٠٠ الملكة

: فليسر في ركابكما الحزن والنحس
 وليكن عذاب القلب والألم المرير .
 رفيق لحوكما ومؤنس وحشتكما ،
 إنكما اثنا فليكن الشيطان ثالثكما !
 وليحرس الانتقام المثلث خطواتكما .
 : كفى أيتها الملكة الكريمة عن هذه اللعنات ،

٣٠٥ سافوك

وأذنى لسافوك أن يودعك الوداع الحزين .

الملكة : تبألى من امرأة جبانة خائرة القلب تعسة .

أما لك جرأة لتلعن عدوك ؟

سافوك : فليحل بهم الطاعون ، ولكن لم ألعنهم ؟

أنتقل اللعنات كما تقتل وخزات النبات السام

من يتزع جذوره ؟

٣١٠

إن يكن ذلك فلا بدعن عبارات لاذعة ، مريرة ،

خبيثة ، جافية ، مروعة ، يتأذى منها السمع ،

ولأرسلنها قوية من بين أسناني الجامدة ،

ولأتبعنها بالمزيد من الإشارات التي تحمل

البغض المميت ،

كما يفعل الحاسد ذو الوجه الناحل في كهفه

٣١٥

الكريه ،

ولأجعلن لساني يتعثر تحت كلماتي الحارة

المتدافعة ،

ولتومضن عيناى كما يومض الزناد حين يُقْذَح ،

وليقف شعر رأسى كما يقف شعر الخبول ،

أجل إن كل جارحة فيّ سوف تلعنهم وتدعو

عليهم بالحرمان :

وإن قلبي المثقل بالهموم لسوف ينفجر حالا
 إذا أنا لم أصب عليهم اللعنات . . ألا فليكن
 السم الناقع شرابهم ،
 وليكن الحنظل بل ما هو أمر منه أطيب
 ما يتذوقون !
 ولتكن أشجار السرو المنحوسة أحب الظلال
 التي تظللهم !
 ولتكن الأفاعى ذات النظرة القاتلة خير
 ما يلقون !

وليكن أنعم ملمس يلمسونه لسعات الورل !
 وليكن فحيح الأفاعى موسيقاهم ،
 ونعيق البوم المشنوم طربهم !
 ولتحل بهم كل المخاوف الرهيبة التي في الدرك
 الأسفل من جهنم .
 الملكة : كُفَّ أيها العزيز سافوك ، إنك بهذا تعذب
 نفسك

وهذه اللعنات الرهيبة التي تصيبها عليهم
 قد تنعكس عليك كالشمس يعكسها الزجاج ،

(٥) شجر السرو يزرع في المقابر بكثرة ويظل الموتى .

أو قد ترد في صدرك كالبنديقية المحشوة
التي تزيد شحنتها فتنتقل إلى الوراء .

سافوك : لقد أمرتني أن ألعنهم ، فهل تأمريني أن
أكف عنهم ؟

وحق هذه الأرض التي أقصيت عنها ،
إن في وسعي أن أصب اللعنات طوال ليلة
شتاء طويلة

٣٣٥

وأنا واقف عريان على قمة جبل ،
حيث البرد القارس يحول دون نمو العشب ،
فلا تمر لي إلا كساعة أقضيها في اللهو
واللعب .

٣٤٠ الملكة : أتوسل إليك أن تكف . . وباواني يدك

لأبلىها بدموعي الحارة
وأدع السماء ألا تغسل بأمطارها هذه البقعة ،
حتى لا تنمحي منها شواهد ذكرياتي الحزينة .
آه ليت هذه القبلية انطبعت على يدك .

٣٤٥

لتذكرك هذه القبلية بهذه الشفاه الوفية
التي ترسل آلاف التهديدات حسرة عليه ،
دعني الآن واذهب كي أدرك مبلغ حزني عليك ،

فليس في وسمي أن أدركه وأنت على جانبي .

كمن يسرف في الأكل مخافة أن يجوع ،

يتألم من التخممة لا من الجوع ،

٣٥٠

سأعمل على عودتك ، وإلا فكن على يقين

أني سأخاطر حتى أنفي أنا الأخرى ،

وهأنذا قد نفيت إذ حيل بيني وبينك ،

اذهب ولا تخاطبني . . . اذهب حالا ،

لا . . . لا تذهب الآن

٣٥٠

إن الصديقين وإن حكم عليهما بالفراق هكذا ،

يودع كل منهما الآخر بالعناق والقبلات ،

ويطيلان وقفة الوداع .

إن الفراق لأشق على النفس مائة مرة وأبغض

من الموت ،

ومع ذلك فوداعاً . . . ووداعاً يا حياتي معك !

٣٦٠

: هكذا نفي سافوك البائس عشر مرات بهذا ،

سافوك

مرة من الملك وثلاث مرات في ثلاث منك

ولست أبالي بأي أرض حللت ، لو أنك كنت

معي ؛

فالصحراء المقفرة تصبح آهلة بالسكان ؛

٣٦٥

إذا حظى فيها سافوك بصحبتك القدسية .

فحيثما تكونين تكن الدنيا بأسرها

ويكن السرور والنعيم كله .

وحيث لا تكونين يكون الخراب .

لست أقوى على أكثر مما قلت ، فعيشى وانعمى

بحياتك .

٣٧٠

أما أنا فغاية سرورى أن أعلم أنك تنعمين

بالحياة .

(يدخل دو)

الملكة

: إلى أين يجد فو السير مسرعاً ؟ ناشدتك الله

ما وراءك ؟

سافوك

: أسارع لأعلن الملك

أن الكاردينال بوفور على شفا الموت ،

فقد أصيب فجأة بمرض خطير ،

جعلله يلهث ويحملك ويقبض الهواء ،

٣٧٥

ويجذف فى حق الله ، ويلعن أهل الأرض

جميعاً .

فهو يتكلم أحياناً كما لو كان شبح الدوق همفرى

إلى جانبه . . .

وأحياناً ينادى الملك ،
ويهمس إلى وسادته كأنما يهمس إلى الملك ،
بالأسرار التي تنوع بروحه .

٣٨٠

وأنا مرسل الآن إلى الملك لأبلغه
أنه لا يزال حتى الساعة يصيح طالباً رؤيته .
: عجل إذن بإبلاغ الملك هذه الرسالة الحزنة .

الملكة

(يخرج مو)

: ويلي ما هذه الدنيا ! وأية أنباء تلك !
أينسيني هذا نبي سافوك حبيب الروح ؟
مالى أجزع من أجلك وحدك يا سافوك
وأشارك ربح الجنوب في دموعها !
وهي تمطر المطر لتزيد الأرض بهجة ، وأنا
أبكي لفرط حزنى .

٣٨٥

هلم غادر هذا المكان فإن الملك قادم كما تعلم ،
وإن وجدك هناك هناك الموت مصيرك .

٣٩٠

: لو فارقتك فلا قبل لى بالعيش من بعدك ،

سافوك

وإذا مت في جوارك كان الموت
مجرد إغفاءة لذيذة ورأسى على حجرك ،
حيث ألفظ أنفاسى في خفة ورقة ،

كالطفل الرضيع يموت وثدى أمه بين شفتيه .
أما إن جاءنى الموت بعيداً عن رؤيتك .
فستملكنى ثورة جنون .

٤٠٠

وأظل أناديك بأعلى صوتى لتغمضى عيني ،
ولتسكتى بشفتيك فى عن الصياح .

وعندئذ إما أن تعيدى إلى روحى ،
ولما أن ألفظها فى جسدك ،

٤٠٥

حيث يحيا أبداً فى النعيم الأبدى .

لئن مت إلى جانبك فكأنى لم أمت ،

أما إن مت بعيداً عنك فهذا هو العذاب الأشد
من الموت .

أواه دعيني أبقى وليكن ما يكون .

٤١٠

: بل اذهب فلئن كان الفراق يبرى الفؤاد ،

الملكة

فإنه كالدواء للتداوى من جرح مميت .

فأذهب إلى فرنسا . أيها العزيز سافوك .

وأرسل إلى رسائلك .

فأينما كنت على ظهر هذه البسيطة

فسأجد نجماً هادياً يورشدنى إليك .

٤١٥

: سأذهب .

سافوك

الملكة

: اذهب وخذ قلبي معك (تقبله)

سافوك

: يا لها من جوهرة غالية احتواها أحقر صندوق

أطبق على ذخر نفيس . ها نحن هذان نفترق

كسفينة شقها الصخر نصفين !

فهاأنذا آخذ الطريق إلى الموت ،

الملكة

: وإنه لطريق أيضاً .

(يفترقان)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

مخدع

يدخل الملك ومالسبورى إلى الكاردينال وهو فى فراشه

الملك : ماذا بك يا سيدى اللورد؟ كلم يا بوفور مليكك .

الكاردينال : إن تكن الموت فسأهبك من كنوز إنجلتره

ما يكفيلك لشراء جزيرة أخرى مثلها

على أن تتركنى أعيش لا أحس بألم

الملك ٥ : آه هذه علامات حياة ملئت بالإثم

فكلما اقرب الموت رآه مثل هذا الإنسان بتعاً

مرعباً !

وريك : بوفور ، إن الذى يتحدث إليك هو مولاك

الملك .

الكاردينال : قدمونى للمحاكمة متى شئتم .

ألم يمت فى فراشه ؟ أين إذن كان ينبغي أن

يموت ؟

وهل كان فى وسعى أن أجعل الناس تعيش ،

أرادوا أو لم يريدوا ؟

لا تعذبوني أكثر من ذلك . . . سأعترف .

هل عادت إليه الحياة ؟ إذن أروني مكانه .

سأدفع ألف جنيه لألقى عليه نظرة .

ليست له عينان لقد أعماههما التراب .

رجلوا شعره ! انظروا . . انظروا إن شعره يقف ،

١٥

كأنما هو أعد ليكون شركاً لاصطياد

روحي الصاعد .

أعطوني شراباً وارجوا الصيدلى

أن يحضر السم الزعاف الذى اشتريته منه .

: إلهى يا فاطر السموات الأبدى ،

الملك

انظر بعين الرحمة إلى هذا التعس ،

٢٠

واطرد هذا الشيطان الدخيل

الذى يسد المسالك أمام روجه المعذب ،

وطهر صدره من هذا اليأس القاتل !

: انظر يا مولاي كيف تجعله غصة الموت

وريك

يكشف عن أسنانه .

: لا تقلقوه . . . ذروه يمض بسلام .

٢٥ سالسبورى

: فليزل السلام على روجه إذا شاء الله .

الملك

أيها الكاردينال ، إذا كنت تأمل في رحمة الله ،
 فارفع يدك علامة على أملك في الله .
 إنه يموت دون أن يرفع يده . . . اغفر له يا رباه .

: يا لها من مية شنيعة تدل على حياة آثمة .

٢٠ وريك

: إياكم والحكم فكلنا مذنبون ،

الملك

اغمضوا عينيه وأسدلوا الستر ،

ولنذهب جميعاً للصلاة .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

ساحل كنت

(صيحات حرب . . . قتال في البحر . . . ينطلق مدفع . . . يدخل ملارم وربان سعيته ومساعدته ووتر^(١) ويتمور وحيدوه ومعهم سافوك متخفياً وبعض الأسرى من السادة) .

الملازم : انطوى النهار بزخرفته وثرثرته ووخز ضميره ،

حتى استقر في جوف اليم :

وأيقظت الذئاب العاوية بأصواتها التنين العظيم ،

الذى لم يلبث أن حر وراءه الليل الحزين الكئيب ،

ودعا الليل الموتى من قبورهم .

فأخذوا يتشاءبون وينقثون في الهواء

الظلام المعدي السام من بين فكاكهم القائمة .

هلموا إذن وأحضروا الأسرى

(١) الاسم الأصلي ووتر (معناه الماء بالإنجليزية) ويريد سافوك أن يهرب من الذئوة بتغييره إلى حوقير .

- هنا ليدفعوا الفدية على هذه الرمال ،
 ١٠ ما دامت سفينتنا ستبقى راسية عند شرق كنت^(١)
 أو نلطح بدمائهم رمال هذا الشاطئ الشاحية .
 أيها الربان هذا الأسير لك ، أهبك إياه
 بلا مقابل
 وأنت يا مساعده انتفع بهذا الأسير غنيمة .
 أما هذا الأخير فهو من نصيبك أنت يا ووتر
 ويتمور .

- ١٥ السيد الأول : كم تكون فديتي أيها الربان ، عرفني ؟
 البحار : ألف جنيه وإلا أطحت رأسك .
 المساعد : ومثل هذا القدر ستدفع أنت أيضاً وإلا طار
 رأسك .

- الملازم : ماذا أتستكثران دفع ألفين من الجنيهات
 وأنما تحملا اسم الشرفاء وسمتهم ؟
 ٢٠ اضربوا عنقي هذين الوغدين ، فجزاؤهما الموت ،
 ولنقد أرواح الذين فقدناهم في القتال
 ولو كان ذلك بهذا الفداء الحقير !

(١) في الأصل Downs وهو مكان داخل في الشاطئ الشرق من ولاية كنت وهو
 مرسى معروف للسفن .

السيد الأول : سأدفع الفدية يا سيدي فأبق على حياتي .
 السيد الثاني : وسأدفعها أنا أيضاً وسأكتب لأهلي في طلبها
 فوراً .

٢٥ ويتمور : (١-افوك) لقد فقدت عيني في المعركة
 وأنا أقرب بسفينتي من سفينتك لنستولى عليها ،
 ولا بد أن أثار بقتلك لعيني المفقودة .
 بل ولا بد فداء لعيني أن يقتل هؤلاء أيضاً إذا
 كان الأمر بيدي .

الملازم : لا تهور ! خذ الفدية ودعه يعيش .
 ٣٠ سافوك : انظر إلى وسام سان جورج الذي أحمله على
 صدرى لتدرك أنني سيد .
 ولك أن تقدر فديتي كما شئت فستؤدى إليك .
 ويتمور : وأنا سيد كذلك ، إن اسمي ووتر ويتمور
 ما بك يا رجل ؟ ولم تتلوى من الألم ؟ هل يخيفك
 الموت ؟

سافوك : اسمك هو الذي يرعبني فإن في رنيته الموت .
 ٣٥ لقد حسب لي منجم بارع طالعي
 فأنبأني بأني بالماء سوف أموت :
 واسمك معناه الماء . ومع ذلك فأرجو ألا تجعلك

هذه النبوءة تصمم على الدماء . .

فإن اسمك جوتير إذا أحسن النطق به .

٤٠ ويتمور : جوتير أو ووتر سيان ، فليس يعينى أيهما
أكون

ذلك أن اسم بيتنا لم يلطخه العار أبداً ،

وسوفنا مشرعة بأيدينا ، تمحو كل وصمة .

فلو بعث ثارى بيع التجار

لاستحققت أن يتحطم سيفى وأن تنزق دروعى

وأن يجللها العار ،

وأن أدعى فى جميع أنحاء العالم الجبان الرعيد . ٤٥

سافوك : على رسلك يا ويتمور فإن أسيرك أمير ،

هو دوق سافوك ويليام دى لا يول ،

ويعتبر : دوق سافوك ملتف بالأسمال ؟

سافوك : نعم . ولكن الأسمال ليست جزءاً من الدوق .

٥٠ إن الإله نفسه كان يتجول متكرراً فى بعض الأحيان ،

فلم لا أتكرر أنا الآخر ؟

الملازم : ولكن الإله جوتير لم يذبح — كما ستذبح أنت

سافوك : أيها القروى الخسيس القذر ، إن دم الملك هنرى

دم أسرة لانكستر النبيل ليس لوضيع مثلك أن
يسفكه .

ألم تقبل يدي وتمسك بركاب جوادى
عارى الرأس وأنت تهول إلى جانب جلّه
وقد تدلى على الأرض (١) .
وغاية أملك ، ومنتهى سعادتك ، أن أومئ برأسى
إليك ؟

لطالما خدمتني على الشراب
وطعمت من طعامى الفاخر ، وجثوت على
الأرض

ساعة أتناول الطعام مع الملكة مرجريت .
تذكر كل هذا وطأطئ رأسك ،
وخفف من هذه الغلواء الشائنة ، التى ليست فى
موضعها ،

وتذكر كم وقفت فى أروقتنا ، ضارعاً تنتظر مقدمى .
إن هذه اليد قد امتدت إليك بالإحسان ؛
ومن ثم فهى مستخرس لسانك المتطاول البذىء

(١) كان يفرش تحت السرج ثوب يتدلى من الحصان على الأرض علامة على
الشرف والجاه واسمه بالعربية « جل » .

- ٦٥ و يتمور : تكلم أيها الملازم أأطعن هذا القروى الحقيير ؟
 الملازم : دعنى أأطعنه بلسانى كما طعنى بلسانه بادئاً .
 سافوك : كلماتك مفلولة مثلك أيها العبد الوضع .
 الملازم : احملوه من هنا ؛ واقطعوا رأسه على جنب أكبر
 مراكبنا .
 سافوك : إنك لن تجرؤ على ذلك خوفاً على سلامتك .
 الملازم : أجل يا بل^(١) .
 سافوك : بل پول الملازم
 ٧٠ الملازم : السيد پول ! أو اللورد پول !
 ويك أيها البؤرة القدرة ، والمستنقع النتن ،
 والبالوعة الدنسة .
 إن قدرك ونجسك ليعكر ينبوع الصافى الذى
 تشرب منه إنجلترة .
 لأسدن فلك المتائب هذا ،
 جزاء الهامك ثروة البلاد ؛
 ولأمرغن فى الثرى هذه الشفاه التى قبلت بها
 الملكة .

(١) تورية حول لفظة Pole و Pool اسم علم ، وبركة ، فأزلت إلى بؤرة

وأنت يا من فغرت فاك باسم الموت الدوق همفري
الكريم ،

١٥

لسوف تغفر فاك عبثاً في وجه الرياح القاسية
التي تصفر وتزأر من مطلبك في زراية واحتقار ،
وليكن إعراسك بكل عجوز شمطاء من
زبانية جهنم

جزاء اجترائك على تزويج الملك العظيم من
ابنة ملك حقير ،

٨٠

لا شعب له ، ولا ثروة ، ولا تاج .

لقد صعدت إلى مراقى العظمة بمؤامرات
خسيسة .

وبشمت كما بشم الإمبراطور «سلا»^(١) الجشع
بازدراء ملذات من قلب أملك الداهي .

لقد بعثت أنت «أنجو» و «مين» إلى فرنسا
وبعون منك استنكف النورمانديون الثائرون
المنافقون أن يدينوا لنا بالسلطان .

٨٥

(١) سلا هو كرنيلويس نولا الدكتاتور الروماني الأهرج القاسي . وهذا تحريف
في هجاء الاسم معروف في العصر الإليزابيثي وخطأ في تلقيبه «إمبراطوراً» .

وذبحت « پيكاردى »^(١) حكاها وأخذت قلاعنا
على عرة ،
ورُدّت جنودنا المنهوكة جرحى إلى أرض
الوطن .

لقد هب وريك النبيل ومن ورائه آل سيفل
جميعاً ،
وامتشقوا الحسام وما شهرت سيوفهم المهيبة
يوماً لغير ما سبب ،
كل ذلك من شدة بغضهم لك .

والآن فى عروق يورك الذى نحى عن العرش
بالقتل الغادر للملك برىء . وبالعصب القاهرة
المتجبر

يغلى دم الثأر . لقد نشروا ألويتهم المستبشرة
تحمل فى وجه الشمس المحجبة لتشرق هى دونها ،
وقد كتب تحتها « سأشرق رغم السحاب » .
ولقد هبت العامة هنا فى كنت وجردوا أسلحتهم ،

ونخاتمة الكوارث أن العار والذلة زحفتا على
قصر مايكتنا،

كل ذلك بسببك أنت . . . هيا احملوه من
هنا . . . !

١٠٠

سافوك : ليتنى كنت إلهاً فأرسل الصواعق

على رؤوس هؤلاء العبيد المناكيد الأذنياء السفلة ،
إن صغار الأمور تجعل الأذنياء متكبرين
متعجرفين

فهذا الوغد يتهدد ويتوعد أكثر من تهديد
بارجولوس قرصان^(١) «إليريا» الفتاك، وليس هو
إلا قائد سفينة صغيرة .

١٠٥

إن الزناير يا هذا لا تمتص دماء النسور ،

واكنها تسطو على خلايا النحل .

ومحال أن أموت على يد تابع حقير مثلك .

إن كلماتك تثير غضبي ولكنها لا تحملنى

١١٠

على الاستسلام

(١) قرصان مشهور في عصر شيشرون .

إني أحمل رسالة من الملكة إلى فرنسا :
وإني آمرك أن تنقلني بسفينتك في سلام وأمن
عبر المضيق .

الملازم : ووتر

ووتر : هلم يا سافوك فإن على أن أنقلك إلى مصرعك .

١١٥ سافوك : لقد ضعت ، وقضى الأمر ، وتمشت رعدة
الخوف في مفاصلي : . . .

أنت وحدك الذي أخشاه

ويتيمور : سيكون لك ما يدعوك إلى الخوف قبل أن
أتركك . . . ماذا!

هل غلبت على أمرك الآن وبدأت تنحني ؟

السيد الأول : سيدي اللورد الكريم التمس منه العفو ، وخاطبه
بلطف .

١٢٠ سافوك : إن لسان سافوك الملكي شديد مر تعود الأمر ،
ولم يألف أن يرجو ويستعطف .

هيئات أن نشرف أمثال هؤلاء بالضراعة والدعاء .
إني لأوثر أن يطاح برأسي ،

ولا تنثنى ركبتي لأحد سوى ربى وملكى .

ولأكرم لى أن أترنح فوق مهند قتال .

١٢٥

من أن أنزع قبعتى أمام تابع سوقى .

إن الشريف الأصيل لا يعرف الخوف ؛

وفى وسعى أن أصبر . وأحتمل أكثر مما يمكن

أن يوقعوا بى .

الملازم : اسحبوه من هنا وأخرسوا لسانه حتى لا يعاود

الكلام .

١٢٠ سافوك : هلموا ، أيها الجنود، أرونى أقصى ما تستطيعون

من قسوة ،

حتى لا ينسى موتى هذا أبداً !

فكثيراً ما اغتال العظماء السفلة المتسولون ،

فقد قضى « تلى^(١) » النبيل

بيد سيف روماني . . وعبد من قطاع الطريق ،

و « يوليوس^(٢) قيصر » طعنته يد السفاح

١٣٥

بروتس الأثيمة .

(١) تلى - اسم لثيرون الخطيب الروماني المعروف (Tully)

(٢) ويوليوس قيصر وبروتس : إمبراطور روما المعروف وبطلها .

و « پومپى ^(١) العظيم » قتله المتوحشون من سكان
الجزر .

وهذا سافوك يموت بأيدي القراصنة .

(يحرق ويتمور وآخرون إلى الخارج)

الملازم : أما أولئك الذين اتفقنا على فديتهم ،
فإننا نأمر بأن يرسل أحدهم .

أما أنت ، فتعال معنا ، ودع الآخر يذهب . ١٤٠

(يرسلون جميعاً عدا السيد الأول)

(يعود ويتمور ومعه جثة سافوك)

و يتمور : فليظل هنا هذا الرأس وليرقد هنا هذا الجسد
الهامد ،

حتى تدفنه خليلته الملكة .

(يذهب)

السيد الأول : يا له من منظر وحشى دسوى !

لأحملن جسده إلى الملك :

فإن لم ينتقم له فسينتقم له أصدقائه ، ١٤٥

وستنتقم له الملكة ، التى كانت تحبه فى حياته .

(يحمل الجثة ويخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثاني

بلدة « بلاك هيت »

يدخل بيفز وچود هولاند

بيفز : هيا واتخذ لك حساماً ، ولو من خشب .

فقد هب الجميع هذين اليومين .

هولاند : ما أحوجهم إلى الهجوع الآن ، إذن .

بيفز : أقول لك إن جاك كيد بائع الملابس

ينوى أن يلبس اللولة لباساً جديداً ،

وأن يغير طرازها ويصقل حواشيها .

هولاند : ما أحوجها إلى ذلك فقد بليت ثيابها .

والحق أقول إن الحالة في إنجلترة لم تعد تسر

منذ حلت بها طبقة السادة .

١٠ بيفز : تعساً له من عهد لا يقر فيه بفضل لأصحاب

الحرف .

هولاند : إن السادة يسخرون من الذين يلبسون رداء

الصانع .

- بيفز : والأدهى من ذلك أن مستشارى الملك أصبحوا
لا يحسنون حرفهم .
- هولاند : هذا صحيح ومع ذلك « يقال اعمل بنشاط فى
حرفتك . »
- ١٥ وهذا معناه أن الحكام يجب أن يكونوا من العاملين ،
ولهذا وجب أن نكون نحن الحكام لأننا عاملون .
- بيفز : قد أصبت فى رأى إذ ليس أحسن دلالة على
العقل الذكى من اليد الصناع
(يسمع قرع طبل يقترب)
- هولاند : إنى أراهم . . إنى أراهم . . هذا هو ابن
« بست »^(١) دباج ونجهام
- ٢٠ بيفز : سيفظفر بجلود الأعداء ، ليصنع منها القفازات .
- هولاند : وهذا هو ذلك القصاب
- بيفز : إذن سيفصرع الخطيئة كما يصصرع الثور ،
وسيقطع رقبة الإثم كما يقطع رقبة العجل ،
- هولاند : وهذا هو سميث النساج

٢٥ بيفز : إذن لقد نسجت خيوط حياتهم ومد لهم في العمر .

هولاند : هلم فلننضم إلى صفوفهم

(قرع طبول . يدخل كيد ودك القصاب وسميث النساخ ونشار وجماهير عديدة لا تحصى . يصعد كيد فوق برميل وتلتف الجماهير حوله وبينما هو يتكلم يعلق على كلامه هسا دك وسميث) .

كيد : نحن جون كيد طبقاً لاسم والدي المزعوم .

دك : (جانباً) بل الأخرى أنك سميث كذلك

لأنك سرقت برميلا من الرنجة^(١) .

٢٠ كيد : لأن أعداءنا سيسقطون بين أيدينا « ولأننا مشبعون

بروح إسقاط الملوكة والأمراء . . .

مرهم أن يسكتوا .

دك : السكون .

كيد : كان أبي من أسرة مورثيمر^(٢)

٢٥ دك : (جانباً) بل كان رجلاً أميناً وكان بناء ماهراً

كيد : وكانت أمي من آل بلانتاجنت

(١) كلمة « كيد » بمعنى برميل مشتمل على ١٢١ رنجة .

(٢) راجع آخر المنظر الأول من الفصل الثالث .

- دك : (جانباً) أعرفها جيداً . لقد كانت قابلة . .
- كيد : وانحدرت زوجى من نسل أسرة لاسس
- دك : (جانباً) نعم حقاً كانت ابنة بائع متجول
تبيع الكثير من الدنتلا . ٤٠
- سميث : (جانباً) والآن وقد أعجزها التجول ببضائعها
التي تحملها فى كيس من فراء الخراف
آثرت أن تصطنع غسل الملابس .
- كيد : لذلك فأنا من بيت شريف نشيف .
- دك ٤٥ : (جانباً) أى والله . لقد كان الغيظ نظيفاً شريفاً
وقد ولد فيه تحت السياج
فما كان لأبيه بيت سوى السجن .
- كيد : وأنا باسل
- سميث : (جانباً) لا شك فى ذلك فالتسول بسالة وإقدام .
- كيد : وفى وسعى أن أحتمل كثيراً .
- دك ٥٠ : (جانباً) لا نزاع فى ذلك فقد رأيته يجلد
ثلاثة أيام متتالية من أيام السوق العامة .
- كيد : ولست أخشى السيف أو النار .
- سميث : (جانباً) لا حاجة به لأن يخشى السيف ،
فسترته مطلية بالقار .

٥٥ دك

: (جانباً) ولكنه فيما أظن يجب أن يخشى النار ،
فقد وشموه بالنار في يده لأنه سرق أغناماً .

كيد

: كونوا شجعاناً إذن فإن قائدكم شجاع ،
وقد تعهد بالإصلاح . . ستباع في إنجلترا
السبعة الأرغفة

٦٠

من ذوات أنصاف القرش بقرش واحد .
وسنخفض ثمن البجعة بمثل هذه النسبة .
وسأجعل شرب البجعة القليلة أمراً محرماً .
فسيكون كل الناس في مملكتي سواء ،
وسيرعى حصاني الأعشاب في تشيسيد^(١) .
وعند ما أصبح ملكاً ، فأنا لا بد أن أكون ملكاً .

٦٥ الجميع

: حفظ الله جلالته . .

كيد

: أشكرك أيها الشعب الطيب ،
ولن تستعمل في عهدى النقود ،
وسياًكل الناس جميعاً ويشربون على نفقتي ،
وسألبسهم جميعاً زياً موحداً

(١) تشيسيد هي التجارة الغالية : أي سيكون هي المشتريات الغالية في لندن ،
أرضاً خراباً ، ترعى أعشابها .

ليكونوا جميعاً على وفاق كالإخوة .

٧٠

ليعبدوني أنا مولاهم .

دك

: (يصيح) إن أول شيء تفعله هو أن تقتل

جميع المحامين .

كيد

: أجل هذا ما عولت أن أفعله .

أليس من المحزن أن تصنع القراطيس من جلد

الحمل البريء ؟

٧٥

وأن يكتب على هذا الرق .

فيقضى بما كتب على الإنسان ؟

إن بعض الناس يقولون إن النحلة تلسع ،

ولكني أقول إن شمع النحلة هو الذي يلسع .

لقد ختمت مرة بهذا الشمع على شيء ،

ثم لم أملك من أمره شيئاً بعد ذلك . . .

٨٠

ماذا ! من هناك ؟

(يدخل بعض الناس يسوقون أمامهم كاتب « تشاتام »

: هذا كاتب تشاتام ^(١))

سميث

لأنه يستطيع أن يكتب وأن يقرأ وأن يحسب . .

- كيد : يا للهول !
- ٨٥ سميث : أمسكنا به وهو يعد دفاتر الأولاد .
- كيد : يا للندالة !
- سميث : ووجدنا في جيبه كتاباً بحروف حمراء .
- كيد : إذن فهو ساحر !
- دك : نعم فهو يستطيع أن يدون العقود ،
وأن يكتب الوثائق الرسمية . ٩٠
- كيد : آسف لما قلت . فالرجل عندي مستقيم شريف .
- ما لم أقف له على جرم .
- ولذلك لن يموت .
- تعال هنا أيها الرجل .
- يجب أن أختبرك بنفسى . ٩٥
- ما اسمك ؟
- الكاتب : عمانويل .
- دك : لقد اعتادوا أن يصدروا بهذا الاسم الرسائل .
- سيكون يخطبك شديداً .
- ١٠٠ كيد : دعوني وحدى . هل اعتدت أن تكتب اسمك ؟
- أو هل لك علامة تخطها ،
- كما يفعل كل رجل شريف مستقيم في معاملاته ؟

الكاتب

: أحمد الله ، يا سيدي ، على أفي ربيت تربية

حسنة مكنتني من أن أكتب اسمي .

١٠٥ الجميع

: لقد اعترف ، خذوه إنه خائن .

كيد

: خذوه من هنا ! واشتقوه ،

وعلقوا قلمه ودواته في عنقته

(يتاد الكاتب إلى الموت ، يدخل مايكل)

مايكل

: أين قائدنا ؟

كيد

: هأنذا أيها السائل !

١١٠ مايكل

: اهرب اهرب . . . إن سير همفري ستافورد وأخاه

ومعهم جيوش الملك على مقربة منا

كيد

: قف ، أيها الوغد ، قف وإلا ألقيتك صريعاً—

لأنه سيلقي مني ندأ له .

وما هو إلا فارس ؟ أليس كذلك ؟

١١٠ مايكل

: نعم .

: ولكي نتساوى سأجعل من نفسي فارساً على الفور

كيد

(يبحث) قم يا سير جون مورتيمر

فأنت فارس (ينهض) الآن

وقد ساويته فواجهه .

(يدخل سير همفري ستافورد وأخوه ومعهما مناد وطبل وجنوده)

١٢٠ ستافورد

: أيها الفلاحون العصاة يا حثالة « كنت » ،

ويا من ستكون المشائق نصيبهم ،

ألقوا بأسلحتكم وعودوا إلى أكوأخكم ،

وتخلوا عن هذا السوقى ،

فالملك رحيم إذا انفضضتم من حوله .

١٢٥ الأخ

: ولكنه غضوب ومريق للدماء

إذا مضيتم في تهورككم :

فإما أن تسلموا وأما أن تموتوا .

كيد

: أما هؤلاء العبيد الذين يرفلون في الحرير

فلست أحفل بهم ،

١٣٠

لأنى أخطبكم أنتم أيها الشعب الكريم ،

الذي أرجو أن أكون ملكاً عليه في مقبل الأيام ،

فأنا الوريث الشرعى للتاج .

ستافورد

: يا لك من وغد ، إن أباك يبيض الجدران

وأنت نفسك قصاص ملابس

أليس كذلك ؟

١٣٥

: وآدم كان بستانياً .

كيد

: وماذا فى هذا ؟

الأخ

: لعمرى تزوج آدموند مورتيمر لإيرل مارش ابنة

كيد

دوق كلارنس - أليس الأمر كما أقول ؟

: نعم يا سيدى !

١٤٠ ستافورد

: وانجب منها بهذا الزواج طفلين توأمين .

كيد

: هذا كذب .

الأخ

: هذا موضع الخلاف . فأنا أقول إن هذا صدق ،

كيد

وقد بعث الإيرل بأكبرهما إلى المراضع فسرقتة

امرأة متسولة ، وجهلا منها بكرم محنته وبوالديه

١٤٥

أصبح بناء عند ما شب وكبر .

وهأنذا ولده ، فأنكروا ذلك إن استطعتم .

: بل هو الحق الخالص ، ومن ثم سيكون ملكاً .

دك

: لقد بنى موقداً فى بيت أبى

سميث

ولا تزال أحجاره قائمة إلى اليوم ،

١٥٠

تشهد بأنه بناء فلا تنكر ما قال .

: أتصدقون كلمات هذا العبد الحقير ،

ستافورد

الذى يهرف بما لا يعرف ؟

: نعم نصدقك . فارحلوا من هنا .

الجميع

: لقد علمك دوق يورك هذا الذى تقوله يا جاك

١٥٥ الأخ

كيد .

كيد

: (حائبا) إنه يكذب فقد اخترعته بنفسى .

(بصوت عال) اسمع يا رجل اذهب إلى الملك
وقل له عنى إنى إكراماً لأبيه هنرى الخامس ،
الذى كان الصبية فى عهده يلعبون بالجنيهات
الفرنسية بدلا من الحجارة ،

١٦٠

قانع بأن يتولى هو الملك ،
على أن أتولى أنا الوصاية عليه .

دك

: ولاننا سنقطع رأس اللورد « سائى »
علاوة على ذلك لبيعه دوقية مين .

كيد

: هذا سبب وجيه . فإن فقدتها أضعف إنجلترا

١٦٥

وأصبحت تتوكأ على عكاز ،
لولا أنى أسندتها بقوتى .

: أيها الملوك والرفاق خذوا عنى :

إن اللورد سائى قد أفقد الدولة حيويتها وجعلها
كالخصى .

١٧٠

وفوق ذلك فإنه يتكلم الفرنسية
ومن ثم فهو خائن .

ستاورد

: يا للجهل المطبق الشنيع !

كيد

: بل أجب إن استطعت عن هذا السؤال ؟

أليس الفرنسيون أعداءنا ،

وهل الذى يتكلم بلسان الأعداء

يمكن أن يكون مستشاراً أميناً .

أجب بنعم أو بلا ؟

: لا . لا . ولذلك لا بد من قطع رأسه .

وما دامت الكلمات الطيبة لا تجدى

فاهجم عليهم بجيوش الملك .

أيها المنادى اخرج وأعلن للناس فى كل مدينة

أن الذين يناصرون كيد خونة ،

وأن الذين يفرون قبل أن تنتهى المعركة

سيشنقون على أبواب دورهم

بمراى من زوجاتهم وأطفالهم للمثلة والعبرة . .

وأنتم يا من تودون أن تكونوا أصدقاء الملك ،

اتبعونى .

(يخرج الأخوان ستافورد وجرسهما)

كيد

: وأنتم يا من تحبون العامة اتبعونى

وأثبتوا أنكم رجال ، إننا ننشد الحرية .

ولن نترك على ظهرها لورداً أو سيدياً .

١٧٥

الجميع

١٨٠ الأخ

ستافورد

١٨٥

١٩٠

لن ندع أحداً منهم يفلت .
 إلا أولئك الذين يلبسون أحذية مرقعة من الفلاحين ،
 لأنهم هم الرجال الشرفاء الفقراء ،
 وبودهم أن ينضموا إلى صفوفنا ولكنهم لا يجرأون .
 لقد انتظمت صفوفهم جميعاً وها هم أولاء
 يسIRON نحنونا .

١٩٥ دك

كيد

: ولكننا أشد ما نكون نظاماً ،
 عند ما نكون أشد خروجاً على النظام العام .
 هيا إلى الأمام !

(الثوار يحاربون آل ستافورد الذين عادوا على رأس قوات
 الملك . صيحات الحرب وقتال يذيع فيه كلا الأخوين ستافورد)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

يتقدم كيد

كيد

: أين دك قصاب آشفورد ؟

دك

: هأنذا يا سيدى .

كيد

: لقد سقطوا أمامك كما تسقط الأغنام والثيرة ،

وتصرفت فيهم كما لو كنت فى مذبحك الخاص ،

لذلك سأ كافئك على هذا النحو . . .

٥

سأطيل أيام الصيام إلى الضعف ،

وستمنع أنت تصريحاً بأن تذبح مائة رأس

إلا رأساً

كل أسبوع طيلة أيام الصيام .

دك

: لست أطمع فى أكثر من ذلك .

كيد

: الحق أقول إنك لا تستحق أقل من ذلك .

١٠

وسأحمل هذا على كتفى تذكاراً للنصر .

(يلبس لامة السير ستافورد ودرعه)

أما الجثنان فستحملان فى أعقاب حصانى ،

حتى أصل إلى لندن ،

حيث يحمل العمدة السيف ليسير أمامنا .

: إذا أردنا أن نوفق وأن ننجح

١٥ دك

فلنحطم أبواب السجون

ولنطلق سراح المساجين .

: لا تخش بأساً فهذا أمر لا شك فيه ،

كيد

ولتتحف إلى لندن .

(يسرون قدماً)

الفصل الرابع

المنظر الرابع

لندن - القصر

(يدخل الملك ويبيده عريضة استرحام ، والملكة ويبيدها رأس سافوك ، واللورد بكنجهام ، واللورد ساي)

الملكة : (جانباً) لطالما سمعت أن الحزن يضعف العقل ،

ويبعث فيه الخوف والانحلال ،

فكرى إذن في الانتقام وكفى عن البكاء .

ولكن منذ الذي يستطيع أن يكفكف دموعه

وهو ينظر إلى هكندا ؟

ستنام رأسه هذه هنا على صدرى الخفاق ،

ولكن أين جسده حتى أعانقه ؟

بكنجهام : ما جواب مولاي الملك على استرحام الثوار ؟

الملك : سأرسل بعض الأساقفة لمفاوضتهم ،

فعاذ الله أن أسمح بأن تزهق كل هذه الأرواح

البريئة

بجد السيف ! وإني لأؤثر أن أتفاوض بنفسى مع

« جاك كيد » قائدهم ،

١٠

على هذه الحرب الدامية التى ستفنيهم .

ولكن مهلاً سأعيد قراءة مظلمتهم ثانية .

الملكة

: (جاباً) يا لهم من أوغاد متوحشين !

أهذا الوجه الملبح الذى كان يسيطر على وكأنه

الكوكب السيار (١) ،

١٥

لم يستطع أن يحملهم على الإذعان له .

وهم ليسوا أهلاً لأن ينظروا إلى محياه .

: إن جاك كيد أقسم ليفوزن برأسك يا لورد ساي .

الملك

: ولكنى أرجو أن تظفروا برأسه يا مولاي .

ساي

: ما هذا يا سيدنى

الملك

ألا تزالين تنديين وتأسين لموت سافوك ؟

٢٠

أخشى يا حبيبتى أنك ما كنت لتجزعى على

كل هذا الجزع

لو أننى كنت الذى مات وليس سافوك .

: لا يا حبيبى لو أنك كنت الذى مات لما

الملكة

جزعت ؛

(١) كان الناس قديماً يعتقدون أن للكواكب والنجوم أثراً كبيراً فى مصائر الإنسان .

بل لفضيت بعدك من أجلك .

(يدخل رسول)

٢٥ الملك

: ما هذا ؟ وما وراءك ؟ ولم قدمت بهذه العجلة ؟

الرسول

: الثوار في « سذك » ^(١) . اهرب يا مولاي

لقد أعلن جاك كيد أنه أصبح لورد مورتيمر ،

و ادعى أنه ينحدر من بيت الدوق كلارنس ،

ويقول عن جلالته في صراحة إنك مغتصب ،

ويقسم أنه سيتزوج نفسه في وستمنستر .

٣٠

وجيشه يتألف من جمهور خشن من السوق

والفلاحين .

وهم جفاة غلاظ لا يعرفون الرحمة .

وقد شجعهم ، وقوى عزيمتهم على التقدم

موت السير همفري ستافورد ، وأخيه ،

وهم ينظرون إلى المتعلمين والمحامين ورجال

القصر والسادة ،

٣٥

على أنهم طفيليات جشعة ؛

ويعتزمون القضاء عليهم .

: يا للرجال الجفاة . . لأنهم لا يعرفون ما يعملون .

الملك

بكنجهام : مولاي الكريم تراجع إلى كلنورث^(١) ،

حتى تجند قوة لقمعهم .

٤٠

الملكة : آه . . . لو أن دوق سافوك كان حياً ،

إذن لقضى فوراً على هؤلاء الثوار « الكنتيين »

الملك : تعال معنا إلى كلنورث يا لورد ساي ،

فهؤلاء الثوار الخونة يبغضونك .

٤٥ ساي : قد يعرض هذا جلالتك للخطر ،

فإن منظري بغيض لعيونهم ،

ولذلك سأبقى هنا في هذه المدينة ،

وأعيش وحدي متخفياً قدر الاستطاعة .

(يدخل رسول ثان)

الرسول الثاني : لقد استولى جاك كيد على جسر لندن ،

وفر الأهليون وهاجروا من بيوتهم ،

٥٠

وانضم الأوغاد المتعطشون للغنائم

إلى الحائن وأقسموا معا ،

أن يخرّبوا المدينة ، ويحرقوا قصر الملك .

بكنجهام : لا تتوان إذن يا مولاي بل أسرع إلى جوادك .

الملك : هيا بنا يا مارجريت وفي الله أملنا ، وبيده نجاتنا .

الملكة : (جانباً) لقد ضاع أملى بعد أن مات سافوك .

الملك : وداعاً أيها اللورد ولا تثق بأحد من ثوار

« كنت » .

باكنجهام : لا تثق بأحد خشية أن يخونك .

ساي : إن ثقتي في براءتي

ولذلك ألقاهم بشجاعة وعزم .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الخامس

لندن . البرج ، يدخل اورد سكيلز ويتمشى من فوق البرج
ثم يدخل اثنان أو ثلاثة من الأهالي ويتمشون أسفل البرج

سكيلز : يا هؤلاء هل ذبح جاك كيد ؟

المواطن الأول : لا يا مولاي . . . ولا يحتمل أن يذبح ،

فقد استولوا على الجسر وقتلوا كل من قاومهم ،

واللورد العمدة يطلب معونتك من البرج

ليدافع عن المدينة أمام الثوار .

سكيلز : العون الذى أستطيع أن أستغنى عنه تحت أمركم ،

ولكنى مشغول هنا بأمر الثوار أيضاً .

فقد حاولوا الاستيلاء على البرج ،

فاذهبوا إلى سمنفيلد^(١) ، واجمعوا الرجال ،

وسأرسل إليكم هناك ماثيو جوف^(٢) .

قاتلوا فى سبيل مليكم وبلاذكم وأنفسكم .

وداعاً الآن إذ يجب أن أظل هنا

(يدخل القلعة ويخب الأهلون مسرعين)

الفصل الرابع

المنظر السادس

لندن . شارع كانون ، يدخل جاك كيد والآخرين ويضرب
بسيفه على النصب الروماني الأثرى عند مدخل لندن

كيد : الآن أصبح مورتيمر سيد هذه المدينة .

وهأنذا أجلس فوق حجر لندن .

فأنهى وأمر بأن تجرى هذه النافورة المتدفقة

بالنبيذ

بدلاً من الماء طوال السنة الأولى من حكمنا ،

على حساب هذه المدينة . . .

ومن الآن فصاعداً سأعتبرها خيانة عظمى

أن يناديني أحد باسم غير اسم لورد مورتيمر .

(يدخل جندي وهو يعلو)

الجندي : جاك كيد . . . جاك كيد . . . كيد

كيد : دقوا عنق هذا الرجل .

سميث ١٠ : لو أن هذا الرجل كان حكيماً

لما دعاك جاك كيد إطلاقاً .

ومع ذلك فأظنه قد حذر بما فيه الكفاية .

دك : مولاى اللورد إن هناك جيشاً يجند فى سميثفيلد

كيد :

هيا بنا نذهب لقتالهم .

١٥

ولكن فلنبداً أولاً بجسر لندن نشعل فيه النيران ،

وإذا استطعنا فلنشعل النيران فى البرج أيضاً ،

... هيا بنا ولنسرع للقائهم • (ياهبون)

(صيحات حرب ... مواطنون يتقدم مير ماثيو جوف يشتركون فى قتال مع الثوار

فيذبج ماثيو جوف ومن معه جميعاً) .

الفصل الرابع

المنظر السابع

استنفيلد

يقتل مايوجوف وكل من معه ثم يدخل « جاك كيد »
مع جماعته

كيد : والآن أيها السادة فليذهب فريق منكم ليهدم
قصر سافوي .

وليزذهب فريق آخر لهدم دور القضاء .
ولتجعلوها كلها أثراً بعد عين .

دك : إن لي ملتمساً لديك يا مولاي اللورد .

كيد : ليكن ملتمسك لقب اللوردية ،
فستجاب إليه بمجرد طلبه .

دك : إن ملتمسى أن تصبح الكلمات التي تخرج
من فمك

هي قوانين لإنجلترا .

هولاند : (جانباً) إذن ستكون قوانين معوجة ،

فقد رمى بحربة في فمه

لا يزال يعاني آثارها إلى الآن .

سميث

: (جانباً) ستكون قوانين عفنة .

لأن أنفاسك نفوح برائحة الجبن المحمر .

كيد

: لقد فكرت في هذا الأمر وسيكون ذلك .

هيا اذهبوا واحرقوا كل سجلات المملكة ،

١٥

وسيكون في هو مجلس بلاط إنجلترا .

هولاند

: (جانباً) إذن ستكون لنا قوانين عضاضة

ما لم تنزع أسنانه من فمه .

كيد

: ومن الآن فصاعداً سيكون كل شيء مشاعاً

للجميع .

(يدخل رسول)

٢٠ الرسول

: مولاي اللورد أريد جائزة ؛

هذا هو اللورد ساي الذي باع المدن في فرنسا ،

والذي أثقل كاهلنا بالضرائب الباهظة ،

والذي جعلنا ندفع شلناً عن كل جنيه ،

وهي الضريبة الأخيرة التي أقرها المجلس .

(يدخل جورج ومعه اللورد ساي)

٢٥ كيد

: سنقطع رأسه عشرات مرات جزاء له على ذلك

... آه ... أنت ساي ^(١) اللورد الصوف لورد

(١) يسخر من اسمه ، فكلمة ساي معناها نسيج الصوف .

القنب والكتان !

إنك الآن فى متناول يدنا وخاضع لأحكامنا
القضائية الملكية .

أستطيع أن تجيب جلالتي عن سبب تسليمك
نورماندى

إلى السيد « بازميكو » ولى عهد فرنسا . . . ؟

إلا فليكن معلوماً لديك ، فى حضرة هؤلاء ،

٣٠

وفى حضرتنا نحن اللورد مورتيمر ،

أنى أنا المكنسة التى ستكنس القصر

وتنظفه من أمثالك من القاذورات .

لقد أفسدت شباب هذه المملكة بخيانة عظمى ،

إذ أنشأت مدرسة ثانوية عامة ،

٣٥

ولم يكن لآبائنا الأولين من كتب

إلا العصا الخشبية ذات العقد^(١)

التي يقيدون عليها حسابهم .

فكنت سبباً فى استخدام الطباعة .

وعلى غير ما يليق بالملك أو تاجه أو وقاره

٤٠

(١) بأن يحفروا خطوطاً لتدل على ما لهم وما عليهم .

أنشأت مصنعةً للورق .

وسنبت في وجهك أنك جمعت حولك أناساً
من الذين يتحدثون عادة عن الاسم والفعل ،
ونحو ذلك من الكلمات البغيضة

التي لا يليق بأذن مسيحي أن تستمع إليها .

٤٥

وعينت قضاة للمحاكمات ليستدعوا الفقراء
أمامهم

ليسألوهم عن أشياء لا يحIRON لها جواباً .

وفوق ذلك ألقيت بهم في غياهب السجن ،
بل أمرت بشنقهم لأنهم لا يعرفون القراءة ،

مع أنهم لهذا السبب وحده كانوا يحذرون
بالحياة حقاً .

٥٠

وسمحت لنفسك أن تركب فوق سرج مبرقش

طويل الأذيال . أليس كذلك ؟

: وماذا في هذا يا سيدي ؟

سأى

: كان خليفاً بك ألا تلبس الحصان رداء

كيد

على حين يمشى أناس أشرف منك في سراويل

٥٥

وقمصان .

دك : ويعملون في نفس قميصهم كما أعمل أنا مثلاً
وأنا قصاب .

سأى : يا رجال « كنت » .

دك : ماذا تقول عن كنت ؟

لا شيء ، إلا هذا « أرض طيبة وشعب سيء »^(١) .

٦٠ كيد : خذوه من هنا . . . خذوه من هنا . إنه يتكلم
اللاتينية

سأى استمعوا لكلامي ثم احملوني إلى حيث شئتم .

إن مقاطعة « كنت » كما وصفها قيصر في
مذكراته التي كتبها

لهي خير البقاع في هذه الجزيرة آداباً ونظاماً .
وهذا ما يجعلني آمل في أن قلوبكم لن تخلو
من الرحمة .

٦٥ أنا لم أبع « مين » ولم أفقد « نورماندى »
بل أنا على استعداد لأن أبذل حياتي في سبيل
استردادها .

لقد كانت العدالة مع الرحمة رائدى دائماً ،
كانت الضراعات والدموع تحركنى ،

(١) قالها باللاتينية "Bonaterra, Malagens"

أما الهدايا فلم تؤثر في قط .

وما أخذت من أيديكم الأموال

٧٠

إلا لأحافظ على الملك والمملكة وعليكم .

ألم أمنح الهبات الضخمة للعلماء

لأن دراساتي هي التي جعلتني أثيراً عند الملك ؛

ولأني رأيت أن الجهل نقمة من الله .

وأن العلم هو الجناح الذي نظير به نحو السماء .

٧٥

يقيني أنكم لن تقدموا على قتلي

إلا إذا كانت الأرواح الشريرة قد ملكت

زمامكم .

إن هذا اللسان طالما تحدث مع الملوك الأجانب

من أجلكم أنتم -

: صه يا رجل وقل لي متى ضربت ضربة

كيد

ولو واحدة في ميدان حرب .

٨٠

: إن كبار الرجال لهم أياد بعيدة المدى ،

ساي

ولكم ضربت يدي أناساً لم أرهم ،

ومع ذلك لقوا مصرعهم .

: يا لك من جبان فظيع .

جورج

أنتهاجم الناس من الخلف ؟

٨٥

- سای : وهذه الوجنات شحبت من طول السهر
على مصالحكم .
- كيد : صلك أذنه لتعيد الحمرة إلى وجنتيه .
- سای : إن طول الجلوس للفصل في قضايا الفقراء
ملأني مرضاً وسقماً .
- كيد : سيشق أولاً ثم يقطع رأسه بعد ذلك .
- ٩٠ دك : لماذا ترتعد هكذا يا رجل ؟
- سای : إنه الفالج ، وليس الخوف ، هو الذي يرعلني .
- كيد : إنه يومئ برأسه كمن يقول سأنتصف منكم .
- سأرى أیكون رأسه ، أشد سكوناً على الخشبة
أم لا .
- أخرجوه واقطعوا رأسه .
- ٩٥ سای : أخبرني ، ما أكبر ذنب ارتكبته ؟
- هل طمعت في الثروة أو الجاه ؟ . . . تكلم .
- هل امتلأت خزائني بالذهب المغتصب ؟
- وهل ملابسي فاخرة لمراى العين ؟
- ومنذا الذى آذيت ، حتى تسعوا إلى موتى ؟
- إن یدى بريئتان من كل دم أريق بغياً ،
- وهذا القلب براء من كل شر أو خداع .
- ١٠٠

دعوني إذن أعش !

كيد : (جانباً) إن كلماته تجعلني أستشعر الرحمة .

لكني سأكبح جماحي . يجب أن يموت ،

ولو كان موته بسبب حسن دفاعه عن حياته . ١٠٥

(بصوت عال)

أخرجوه فإنه يخفي تحت لسانه شيطاناً .

وهو لا يتكلم باسم الله . اذهبوا به . . .

أخرجوه — أقول لكم — اضربوا عنقه فوراً .

ثم ادخلوا بيت زوج ابنته سير جيمس كرومر
عنوة

ودقوا عنقه هو الآخر ،

١١٠

ثم أحضروا الرأسين على عودين إلينا .

سبعاً وطاعة .

الجميع :

بنى وطني ! لو أن الله أبى أن يستمع إلى دعائكم

سأى :

وصلاتكم

كما صُمت آذانكم عن دعائي ،

فأى مصير ستلقاه أرواحكم عند ما تموتون ؟

ترفقوا بي ، إذن ، وأنقلوا حياتي .

١١٥

كيد

: أخرجوه ونفذوا ما أمرتكم به .

(يقودونه إلى الخارج)

إن أعلى النبلاء مكانة في هذه المملكة

لن يبقى رأسه على كتفيه ،

إلا إذا خضع لى وأدى الضرائب .

ولن تتزوج عذراء في هذه البلاد

١٢٠

إلا إذا قدمت بكارتها لى قبل أن يبنى بها . . .

سينظر إلى الناس على أنى مولاهم المطاع ،

وسنكلفهم ونأمرهم أن تصبح النساء حلا للجميع

كما يهوى القلب أو يتمنى اللسان .

١٢٥ دك

: مولاي اللورد متى نذهب إلى « تشيسيد »

ونأخذ السلع بقوائمننا^(١) ؟

كيد

: سنفعل ذلك فوراً .

الجميع

: يا لك من رجل شجاع .

(يدخل رجل ومعه رأسان)

(١) القوائم لها معنيان المعنى الأول الشراء على الحساب والمعنى الثانى قوائم العريف

وهو يريد المعنيين .

وتشيسيد فى ذلك الوقت هو الشارع الذى فيه الحوانيت الفخمة .

كيد

١٣٠

: ولكن أليس هذا الرجل أشجع ؟

دعوهما يقبلا أحدهما الآخر ،

فقد كانا متحابين في حياتهما . . .

لا بل فرقوهما ثانية خشية أن يتآمرا

على تسليم بعض مدن أخرى في فرنسا . . .

أيها الجنود أرجئوا نهب المدينة حتى الليل ،

وستسعى خلال شوارع المدينة ،

١٣٥

وهذه الرءوس محمولة أمامنا بدلا من الصوالمج

وعلى كل زاوية من شوارع المدينة

دعوا كلا الرأسين يقبل الآخر .

هيا اخرجوا من هنا .

(يتحرك الثوار ويواصلون السير)

الفصل الرابع

المشظر الثامن

(صيحات حرب وتراجع)

يعود كيد ثانية ومع الرعاع الذين يصحونه

كيد : اصعدوا إلى سوق السمك !

واهبطوا إلى زاوية سانت ماجنوس^(١) !

اقتلوهم واصرعوهم وألقوا بهم في التاميز

(صوت بوق المفاوضة)

ما هذه النعمة التي أسمعها ؟

هل يجسر أحد على إصدار الأمر بالتراجع

أو المفاوضة وقد أمرت بالقتال ؟

يدخل بكجهام وكلافورد الشيخ وحولهما (الحاشية)

بككنجهام : نعم ها هم أولاء الذين يجسرون على ازعاجك ،

وسيزعجونك دون شك ،

اعلم يا كيد - أننا جئنا سفراء من الملك

إلى هذه الجماهير التي أضللتها ،

ولنعلن العفو المطلق عن جميع الذين يتخلون

عنك ،

ويعودون إلى ديارهم في سلام .

كلفورد : ما تقولون في ذلك أيها المواطنون ؟ هل تعدلون

عن عزمكم ،

وتدعون للعفو الذي يعرض عليكم ،

أو تدعون هذا التأثير يقودكم إلى حتفكم ؟

١٥

من كان منكم يحب الملك ويريد أن يدخل في

عفوه ،

فليرفع قبعته وليهتف عاش الملك .

ومن كان منكم يكره الملك ولا يمجده أباه

هنرى الخامس ، الذى زلزل فرنسا كلها ،

فليهرز سلاحه مهدداً بين أيدينا وهو يمر .

٢٠

: حفظ الله الملك ! حفظ الله الملك !

الجميع

: ما هذا ؟ يا بكنجهام وكلفورد

كيد

أبلغت بكما المرأة إلى هذا الحد ؟

وأنتم أيها الفلاحون السفلة أتصدقونهما ؟

أتريدون أن تشنقوا وصكوك العفو مربوطة إلى

أعناقكم ؟

٢٥

وهل فتحت بسيني أبواب لندن عنوة لتخذلوني
هنا

عند حافة هوايت هارت في « سذك » (١) ؟
ظننت أنكم لن تلقوا السلاح حتى تستردوا
حريتكم القديمة ؛
ولكنكم جميعاً جبناء مرتدون ويسركم أن تعيشوا
عبيداً للشبلاء

ليقصموا ظهوركم بأحماهم وليغتصبوا بيوتكم
من فوق رؤوسكم
وليستبيحوا نساءكم وبناتكم تحت أبصاركم .

أما أنا نفسي فسأخرج من هنا ،
ولتنزل عليكم لعنة الله جميعاً .

الجميع : ستبيع كيد . . ستبيع كيد !

٣٥ كلفورد : هل كيد هذا هو ابن هنري الخامس

حتى تصيحوا جميعاً بأنكم ستبعونه ؟

وهل سيقودكم إلى قلب فرنسا

ليجعل أحقركم شأناً أميراً أو سيداً ؟

وا أسفاه ، إنه لا يملك بيتاً ولا يعرف مكاناً
يهرب إليه ؛

بل ولا يدري كيف يكتسب عيشه إلا بالسلب
وبسرقة أصدقاؤكم وسرقتنا . ٤٠

أليس عاراً أنكم في الوقت الذي تعيشون فيه
متنازعين ،

يهب الفرنسيون الخائفون الذين طالما قهرتموهم
ويقومون بالهجوم أخيراً على البحار ويهزمونكم ؟
وكأنى بهذه الفتنة الأهلية وقد مكنت لهم
وجعلتهم يسيطرون على شوارع لندن ؛ ٤٥

ويصيحون في كل من يمر بهم : « أيها الجبان
الحقير ! »

ولخير لكم أن يفشل عشرة آلاف من السفلة
من أمثال « كيد »

من أن تعنو رقابكم لرحمة الفرنسيين .
هيا إلى فرنسا . . . إلى فرنسا . . . واستعيدوا
ما فقدتم ، ٥٠

ودعوا لإنجلترا ، فهي وطنكم الحبيب .

إن عند هنرى أموالاً وأنتم أقوياء شداد ،
وما دام الله معنا فلا ترتابوا فى النصر . . .

الجميع : كلفورد ! كلفورد ! سنتبع الملك وكلفورد .

٥٥ كيد : هل هناك ريشة أكثر تطايراً مع الرياح من
هذه الجماهير ؟

إن اسم هنرى الخامس يجرحهم إلى مئات من
المفاسد ،

ويجعلهم يذروننى وحيداً ، وإنى لأراهم تتدانى
رعوسهم ويتهايمسون ليأخذونى على غرة .

٦٠ فلاشقى طريقى بسيقى فلم يعد لى هنا مقام ،
فلاأخترق جمعكم ولو كنتم أبالسة الجحيم !
ألا فلتشهد السموات ، وليشهد الشرف ،
أنى لم أرتد على أعقابى عن ضعف فى عزيمتى ،
بل لخيانة أتباعى السفلة الأصاغر .

(يشق لنفسه طريقاً بسيفه ثم يذهب)

بكنجهام : ماذا هل هرب ؟ فليذهب بعضكم وراءه ، اتبعوه ،
ومن يحضر منكم رأسه إلى الملك يفز بجائزة
ألف جنيه .

(يتبعه بعضهم) اتبعوني أيها الجنود وسأدبر وسيلة
 لإصلاح ما بينكم وبين الملك .
 (يا هبون)

الفصل الرابع

المنظر التاسع

قلعة كنتلورث - قرع طول - يدخل الملك والمملكة
وسمرست من فوق السور

الملك

: هل تمت ملك فاز بمثل هذا العرض الدنيوى
ثم لا يحظى من الرضى بأكثر مما نلت ؟
إني لم أكّد أحبو من مهدي حتى وليت الملك
ولما أزل في الشهر التاسع من عمري ،
وما في الرعية من مشتاق أن يكون ملكاً ،
قدر اشتياقي أنا الملك أن أكون فرداً من الرعية .
(يدخل بكنجهام وكلفورد الشيخ)

بكنجهام

: السلامة ، والأخبار السارة ، لك يا مولاي .
الملك : ماذا تقول يا بكنجهام هل قبض على الخائن
« كيد » ؟

أو تركتموه يفلت ليستجمع قوته ؟

(تدخل الجماهير أسفل القلعة وفي رقابها مقاود)

١٠ كلفورد

: لقد فريا مولاي واستسلمت كل قواته ،

وها هم أولاء بكل خشوع قد أقبلوا واضعين
المقاود في أعناقهم

ينتظرون حكمك عليهم بالحياة أو الموت . .

الملك : افتحى إذن أيتها السموات أبوابك السرمدية ،
وتقبل آيات حمدي وثنائى .

أيها الجنود لقد افتديتم اليوم حياتكم ،

١٥

وكشفتكم عن صادق حبكم للمليككم وبلادكم :

فتأبروا على هذا النهج السليم ،

واعلموا أن هنرى ، وإن خانه الحظ ، لن

تخونه الرحمة بكم .

ولذا فإنى آذن لكم بالانصراف جميعاً ؛

والعودة إلى بلادكم المختلفة ؛ مزودين جميعاً

٢٠

بشكرى وعفوى .

الجميع : حفظ الله الملك ! حفظ الله الملك !

(يدخل رسول)

الرسول : ائذن لى يا مولاي أن أبلغك

الرسول

أن الدوق يورك وصل حديثاً من أيرلندا

ومعه جيش قوى ضخم

مؤلف من جنود أيرلنديين من المشاة

٢٥

ذوى الأسلحة الثقيلة والخفيفة .

وهم يتقدمون نحونا في أتم نظام وخير أهبة .

والدوق لا يفتأ يعلن على طول الطريق

أنه لا ينبغي بأسلحته سوى تخليصك

من الدوق سمرست الذى ينعته بأنه خائن .

٣٠

الملك

: وهكذا قدر لمملكتي أن تشقى ، بين « كيد »

ويورك ،

كسفينة لم تكد تنجو من العاصفة

حتى أغار عليها القراصنة ؛ وغلبوها على أمرها .

فالآن لم يكد « كيد » يرد على أعقابها وتفرق

رجالها ،

٣٥

حتى تلاه يورك بأسلحته وجنوده .

أرجوك ، يا بكنجهام ، أن تذهب إليه وتلقاه

وتسأله عن الدافع إلى امتشاق الحسام .

وبلغه عنا أنا سنرسل دوق آدموند إلى البرج .

وأنت يا سمرست فلتعلم أننا سنودعك البرج

حتى يتفرق عنه جيشه .

٤٠

سمرست

: مولاي : سأسلم نفسي للسجن طائعاً مختاراً

بل للموت إن كان في هذا ما يحقق الخير

لبلادى .

الملك وعلى أى حال لا تخاشنه فى الحديث أكثر

مما يجب ،

فهو عنيف ولا يطبق اللهجة الجافية .

٤٥ : بكنجهام : سأفعل ، يا مولاي ، ولا يخامرك شك فى أنى

سأعالج الأمور جميعاً

بحيث تجرى كلها فى صالحك .

الملك : هيا يا زوجى ندخل . ولنتعلم أن نحكم حكماً

أفضل ،

حتى لا نلعن إنجلترة أيام حكمى الشقى . .

(قرع طبول وهم يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر العاشر

(كنت - حديقة إيدن - يدخل « كيد »

كيد

: خسشت المطامع ، وخسشت أنا ،

الذى أتقلد سيفاً ، ومع ذلك أتضور جوعاً .
لقد اختفيت هذه الأيام الخمسة فى هذه
الغابات ،

ولم أجرؤ على أن أطل برأسى ،
فالبلد كله طوع بنانى ، ولكن الجوع أضنانى ،
فلا أستطيع البقاء أكثر من ذلك ،
ولو منيت الحياة ألف سنة أخرى .
لهذا صعدت جداراً من القرميد ،
وتسللت إلى هذه الحديقة ،

لعلى أستطيع أن أكل العشب تارة ،
أو أن أجمع بعض خضر السالت^(١) . تارة

(١) يتلاعب كيد هنا بكلمة « Sallet » ولها فى الإنجليزية معنيان : الأول الخس - والاشتقاق هنا مشابه لكلمة ساطة ، والكث' فى خوضة . . ويقول إن الكلمة أفادته ، فبمعنى الحصة يأكلها ، وبمعنى الخوضة تقيه الصهام تارة ، ويجعل منها كوزاً للشرب تارة أخرى .

أخرى ،
وهو مستحب ، لترطيب معدة الإنسان في
مثل هذا الجو الحار .

وإني لأعتقد أن كلمة السالت هذه
ولدت لتكون مصدر خير لى ،

فكثيراً ما وقتنى ، ولولاها لنفذت السهام ومزقت
رأسى ،

وكثيراً ما ردت ظمئى وأنا أقطع الطريق في
شجاعة ،

فكنت أتخذها وعاء للشرب بدلا من الكوز ،
وها هى ذى الآن ترد جوعى وتقوم مقام الغذاء

عندى . . .

(يدخل إيدن)

: يا إلهى منذا الذى يؤثر عيش النَّصَب في

إيدن

البلاط الملكى

على نعيم الحياة في مثل هذه الجهات الهادئة ..؟

٢٠

هذا الميراث المتواضع الذى خلفه لى أبى

يملائى رضاً وقناعة فيعدل عندى ملكاً بأسره .

أأتطلع لأن أصبح عظيماً على حساب الآخرين ،

أو أجمع ثروة تنير على الحقد والحسد .

وحسبى أن أحافظ على مكانتى ،

٢٥

وأن يتعرف الفقراء على بابى راضين .

كيد : هذا رب المزرعة ، جاء ليقبض على

كأننى ضال تسلل إلى مزرعته الخاصة

دون إذن منه — ويلك أيها الوغد !

لسوف تشى بى لثفوز بألف جنيه

٣٠

جائزة الملك ثمناً لرأسى ؛

ولكنى سأحملك على أن تزدرد الحديد كالنعام ،

وأن تبلع سيفى هذا كأنه دبوس كبير ، قبل أن

نفترق .

إيدن : ولماذا أشى بك أيها الرفيق الجلف ، كائناتاً من

كنت ،

فأنا لا أعرفك حتى أشى بك ؟

٣٥

ألم يكف أن اقتحمت حديقتى

وتسورت جدارى ، لتسرق أرضى

كما يفعل اللص ، على رغمنى أنا صاحب

الضبيعة ،

ولم يكفك هذا حتى تتحداني بهذه الألفاظ
النايبة ؟

٤٠ كيد

: أجل بحق أزكى دم أريق ،

إني أتحداك بل أتجرأ عليك —

تأمل في جيداً — إنني لم أذق طعاماً طوال
أيام خمسة ،

ومع ذلك تعال أنت ورجالك الخمسة ،

فإذا لم أترككم جثثاً هامدة ،

٤٥

فلا جعلني الله أتلوق هذه الأعشاب مرة
أخرى .

إيدن

: لا ، لن يقال أبداً وإنجلترا في الوجود

إن « الكسندر إيدن » من أعيان « كنت »

استساغ لنفسه أن يحارب رجلاً فقيراً نال منه

الجوع ،

حديق بعينيك الشاخصتين في عيني ،

وانظر أستطيع أن تغلبنى بنظراتك :

٥٠

وقارن أطرافك بأطرافي يظهر لك قصورك ،

فيدك ليست إلا إصبعاً إلى جانب قبضتي ،

وساقلك ليست إلا عصاً إذا قورنت بهذه الهراوة ،

الغليظة ،

وفي قدمي من القوة ما يساوي كل ما تملك
أنت منها ،

ولو رفعت ذراعي في الهواء ،

٥٥

لحفر لحدك في الأرض فوراً -

وليست العظمة في المطاولة بالكلام ،

فدع سيني هذا يجبك بما عف عنه اللسان .

: بحق بسألتني إنه البطل المتناهي كمالاته ،

كيد

الذي لم يسمع بمثله قط !

٦٠

أيها السيف الحديد لئن نبا حدك ،

ولم تمزق هذا المهرج المستطيل العظام إرباً قبل

أن ترتد إلى غمدك ،

إذن لدعوت عليك جاثياً على ركبتني أن تتمزق

وتستحيل مسامير مثلومة للنعال .

(يشبهكان في قتال ويسقط « كيد »)

آه لقد ذبحت ! قتلتني الجوع ولا شيء غيره . .

٦٥

أطعموني الوجبات العشر التي فاتتني ،

ومروا عشرة آلاف شيطان مرید أن يقفوا في

وجهي ،

وأنا أتحداهم جميعاً . . . ألا فلتجنى أيها
الحديقة !

ولتتحول منذ الآن مقبرة تضم رفات سكان هذا
البيت جميعاً ،
فإن روح كيد الذى لا يقهر قد أزحق فيك .

٧٠

لايدن : أهو « كيد » الذى قتلت ؟ . . . ذلك الحائن
الرجيم ؟ . . .

أيها السيف سأجلك وأقدسك من أجل صنيعك
هذا ،

ولتنصب فوق قبري عند ما أموت ،

ولن أغسل هذا الدم من نصلك

بل أدعك تلبسه كأنه شعار المجد

٧٥

ينم عن الشرف الذى أحرزه صاحبك .

كيد : وداعاً يا لايدن ، ولتفخر بما أحرزت من نصر . . .

وقل لمقاطعة كنت عني : لقد فقدت خير
رجالك ،

وحث الناس جميعاً على أن يكونوا جبناء

لأنى أنا الذى لم أهب شيئاً قط ،

٨٠

قهرنى الجوع ولم تقهرنى شجاعة الشجعان .
(يموت) .

إيدن : ألا فلتحكم السماء بينى وبينك فلشد ما ظلمتنى !
مت أيها الصعلوك اللعين ، يا نكبة الأم التى
حملتك ،

وبودى وأنا أغمد سيفى فى جسدك الآن
أن أدفع بروحك إلى الجحيم ؛
ولأجرنك من هنا من عقبك وألقى بك على
كثيب من القمامة ،

٨٥

حيث يكون هذا لحلك ،
وهناك أقطع رأسك الحسيس الأخس ،
وأحمله فى زهو بالنصر إلى الملك ،
تاركاً جسدك طعاماً للغربان .

٩٠

(يجر الجثة إلى الخارج)

الفصل الخامس

المنظر الأول

بطحاء على الطريق ما بين لندن وسانت أولبنز في أذنائها حافة وفي أقصاها معسكر
للبيش بخيامه . ويرفرف العلم الملكي فوق خيمة من هذه الخيام .

(يدخل يورك وجيشه من الأيرلنديين يلقون الطبول ويحملون الرايات)

يورك : هكذا أقبل من أيرلندا يورك ليطالب بحقه ،
وينتزع التاج عن رأس هنرى الواهن .
دقوا الأجراس عالياً ، وأوقدوا النيران مشرقة
وضاعة ،

حفاوة بالملك الشرعى لإنجلترا العظيمة !
أيها الملكية المقدسة ، منذا الذى لا يشتريك
غالياً ؟

فالطاعة أجدر بمن لا يعرف كيف يحكم ،
إن هذه اليد لم تخلق لتمس شيئاً سوى الذهب ،
ولن أستطيع أن أقرن قولى بالعمل ،
مالم يستند قولى إلى قوة الحسام أو الصوبلحان ،

أجل وسيكون لى صوبلخان ، ما دام فى الجسم

روح ،

١٠

زهر الزنبق شعار ملوك فرنسا . . .

(يدخل بكنجهام)

من الوافد علينا ؟ بكنجهام جاء لإزعاجى ؟

لقد أرسله الملك بلا شك ، فلاصطنع الحيلة معه .

بكنجهام

: أى يورك ، إذا كنت تضرر خيراً فأنا أحبك

خير تحية .

١٥

يورك

: إنى أنقبل تحياتك ، يا همفرى دوق بكنجهام .

أأنت رسول أم جئت لمجرد الزيارة ؟

بكنجهام

: بل رسول من عند هنرى مولانا المهيب ،

لأعرف أسباب هذا التسلح فى زمن السلم .

ولماذا وأنت من رعيته مثلى

٢٠

جندت هذه القوات الكبيرة ، دون إذن منه

حائثاً بقسمك وولائك ،

وجرؤت على حشد هذه القوات على مقربة من

القصر ؟

يورك : (جانباً) أكاد أعجز عن الكلام لشدة غضبي

وسخطي ،

إن في مقلورى أن أقد الصخر وأقاتل بالصوان ،

لشدة سخطي على هذه التعبيرات الجوفاء .

ولكنى مع ذلك لا أملك إلا أن أفعل

كما فعل أياكس تيلامونيوس ^(١) ،

فأصب جام غضبي على الضأن والثيران .

أنا أعرق نسباً من الملك ، وأحق بالملك منه ،

ورأى أدنى إلى رأى الملوك .

ولكنى مع ذلك يجب أن أتظاهر بالمودة والولاء

إلى حين ،

حتى يزداد هنرى وهناً وازداد أنا قوة .

بصوت عال) اغفر لى يا بكنجهام طول صمتى

فذهنى مضطرب من الحزن والكآبة .

إن الذى حملنى على إحضار هذا الجيش

إلى هنا

(١) أياكس تيلامونيوس (Ajax Telamonius) هو ابن تلامن أحد أبطال حرب طروادة ، يضرب به المثل للمحارب النجى .

هو رغبتى فى إبعاد سمرست المتعجرف عن
الملك ،

٣٥

لأنه مثير للفتنة ضد جلالته وضد الدولة .

بكنجهام

: هذا عمل بالغ منتهى الجرأة .
ومع ذلك فإن لم تكن هذه القوات جندت
لأغراض أخرى

فإن الملك قد أجاب مطلبك .

فالدوق سمرست سجين فى البرج

٤٠

يورك : أتقسم بشرفك أنه سجين ؟

بكنجهام : أقسم بشرفى أنه سجين .

يورك : ما دام الأمر كذلك فأنا أسرح قواتى هذه ،
يا بكنجهام

أيها الجنود أشكركم جميعاً . والآن تفرقوا

ولا قونى غداً فى ميدان القديس جورج (١) ،

٤٥

وستنالون مرتباتكم وكل ما تريدون .

ولياخذ مولاي هنرى الصالح

ابنى الأكبر بل أبنائى جميعاً رهائن لمحبتى
وإخلاصى .

وسأبعث بهم جميعاً طائعاً مخناراً ما دمت حياً ؛
وسأضع تحت تصرف مولاي كل ما أملك
من أرض ومتاع وخيول ودروع ،

ليستخدمها كيفما شاء بحيث يموت سمرست .

بكنجهام : أى يورك إني لأمتدح فيك هذا الخضوع

الكريم ،

فلنذهب معاً إلى خيمة جلالة الملك .

(وفيما هما يقتربان من الخيمة الملكية يقل عليهما الملك
ويتقدم نحوهما للقائهما)

الملك : أى بكنجهام أوثقت أن يورك لا يبغى بنا

أذى

حتى تمشى معه ويدك في يده ؟

يورك : بكل خضوع واستسلام يقدم يورك نفسه

لجلائتكم .

الملك : إذن ماذا تعنى هذه القوات التى جئت بها ؟

يورك : جئت بها لأقصى الخائن سمرست من هنا ،

ولأشن الحرب على الثائر اللعين « كيد » .

الذى سمعت بعد ذلك أنه حبط سعيه .

(يدخل إيدن ومعه رأس كيد)

إيدن

: إذا سمح لرجل خشن رقيق الحال مثلى

أن يمثل فى حضرة الملك ،

فإنى بكل خشوع أقدم بين يدى جلالتك

رأس رجل خائن .

٦٥

رأس « كيد » الذى ذبحته فى مبارزة بيننا

: رأس « كيد » ؟ تباركت اللهم ما أعد لك !

الملك

أرنى هذا الوجه وهو ميت ،

هذا الوجه الذى كلفنى حياً كثيراً من المتاعب

الشديدة ،

وقل لى أيها الصديق أنت الذى قتلته حقاً ؟

٧٠

: نعم أنا ، إن أذنت يا مولاي .

إيدن

: وما اسمك ؟ وما رتبتك ؟

الملك

: اسمى ألكسندر إيدن

إيدن

رجل من أعيان كنت يحب مولاه الملك .

إن أذنت يا مولاي ولم يكن فى ذلك جرأة منى

بكنجهام

فإنه يستحق الإنعام عليه برتبة فارس

٧٥

جزاء له على خدماته الطيبة ،

الملك : اركع يا إيدن (يركع). قم فأنت فارس ،

ولك منى ألف جنيه جائزة على خدماتك ،

ومنذ اليوم ندعوك لتدخل فى معيتنا ،

إيدن : ليت إيدن يعيش ليثبت أنه جدير بهذه النعمة ،

ولا يعيش إلا محافظاً على الإخلاص والولاء ٨٠

لسيده ومولاه . . .

(تدخل الملكة وسمرس)

الملك : انظر يا بكنجهام إن سمرس قادم مع الملكة ،

فأسرع إليها ومرها أن تخفيه حالا عن عين الدوق

الملكة : لن ينحني رأسه من أجل ألف يورك ،

بل سيثبت له فى شجاعة ويلقاه وجهاً لوجه ..

٨٥ . يورك : ما هذا ؟ هل سمرس حر طليق ؟

إذن يا يورك أطلق أفكارك التى طال احتباسها ،

واجعل لسانك يوافق فيعلن ما به .

أيمكن أن أحتمل رؤية سمرس ؟

أيها الملك الكاذب ، لماذا نقضت عهدك معي ،

وأنت تعلم قلة احتمالى للخداع ؟

٩٠

هل دعوتك ؟ لا لست بالملك ،

ولست صالحاً لتحكم وتسود الجماهير

ما دمت قد جئنت بل عجزت عن أن تتحكم
 فى خائن واحد ،
 ولا يليق التاج لهذا الرأس الذى فوق كتفك ،
 ويدك هذه لم تخلق إلا لتحمل عكاز
 الدراويش

٩٥

لا أن يزينها صولجان الملك المهيب .
 وهذا التاج الذهبى يجب أن يحيط بجبهتى
 هذه التى تستطيع بتقطيعها فابثسامها
 أن تقتل وتشفى وكأنها رمح أخيل * .
 وهذه هى اليد التى تليق بحمل صولجان الملك
 عالياً

١٠٠

ولها به المقدرة على تنفيذ قوانين الدولة الصارمة .
 تخل عن مكانك ، فبحق السماء لن تكون بعد
 اليوم حاكماً
 على من خلقتة العناية الإلهية ليكون حاكماً
 عليك .

* آخيل « Achilles » البطل اليونانى المعروف الذى أزال ، فيما يقال ، الصداً إلا

على درع تليفوس « Telephus » من جرحه .

سمرست

١٠٥

: يا لك من خائن رجيم ، إلى أقبض عليك يا يورك
 بتهمة الحياة العظمى للملك والتاج ،
 أطع أيها الخائن الوقح ، واركن على ركبتك
 طلباً للرحمة .

يورك

: أتريدني أن أركع ؟ دعني أولاً أسأل هذين :
 هل يمتثلان أن تنثنى ركبتاي لمخلوق .
 يا غلام ادع إلى ابني ليكونا كفيلي
 (يخرج جندي من أعوان يورك)

١١٠

أنا أعلم أنه أهون عليهما أن يرهننا سيوفيهما
 من أن يسلماني للسجن

الملكة

: ادع كلفورد إلى هنا ، ومعه أن يأتي على الفور
 ليقول كلمته هل ابنا يورك الدعيان
 يصلحان لأن يكونا كفيلين لأبيهما .
 (يخرج جندي من أعوان لانكستر)

١١٥ يورك

: إيه يا طريدة نابولي ، المملوطة بالدم !
 يا وباء نزل على إنجلترا !
 إن ابني يورك يفضلانك مولداً ومحتداً
 وسيكفلان أباهما والويل لمن يرفض كفالة ابني لي .
 (يدخل كلفورد ورتشارد)

انظر لانهما قادمان . أقسم أنهما سيصلحان الأمور .
(يدخل كلفورد الشيخ وابنه)

١٢٠ الملكة : وها هو ذا كلفورد قادم ليرفض كفالتهمما .

كلفورد : الصحة والسعادة لك يا مولاي الملك (يركع)

يورك : أشكرك يا كلفورد . . قل ما وراءك من أنباء . .

لا . . لا تروعنا بهذه النظرات الغاضبة ،
فنحن مولاي الملك ، اركع ثانية ،

ونحن نتجاوز عما أقدمت عليه من خطأ . ١٢٥

كلفورد : هذا هو مليكي يا يورك وأنا لا أخطئه

إنك أنت الذي تخطئ إذ تظن أني أغضب
خطأ .

اذهبوا به إلى مستشفى المجاذيب

فلا بد أنه قد أصابه جنون .

١٣٠ الملك : نعم يا كلفورد إنه الجنون ونزوة الطمع

جعلاه يقف هذه الموقف العدائي من ملكه .

كلفورد : إنه خائن فألقوا به في البرج ،

واقطعوا هذا الرأس المثير للفتنة .

الملكة : إنه مقبوض عليه ولكنه لا يريد أن يدعن ،

- ١٣٥ ويدعى أن ولديه سيكفلانه
يورك : ألا تفعلان ذلك يا ولدى ؟
- إدوارد : أجل يا أبى إذا كانت تعهداتنا تجدى .
- رتشارد : فإن لم تجد الكامات فستجدى سيوفنا
- ١٤٠ كلفورد : لعمري أى ذرية من الخونة نلقى هنا ؟
- يورك : انظر فى المرأة وانعت خيالك بهذا الذى تقوله .
- إنى ملكك وما أنت إلا خائن خبيث الطوية .
- ادع إلى هنا دبنى الأصيلين ،
- ليخيفا بصلصلة سلاسلهما هذه الكلاب
المتلصصة الخبيثة .
- ١٤٥ ادع سالسبورى ووريك أن يحضرا إلى .
- (يدخل ايرل ورك وسالسبورى)
- كلفورد : أو هذان هما دباك ؟ سنطاردهما حتى الموت
- ونصفذك بأغلاهما إذا جرؤت على إحضارهما
إلى ساحة النزال
- رتشارد : لطالما رأيت الكلب المسعور المختال
- يرتد ليعض من حوله حين يطلق سراحه ،
- ثم لا يكاد تصيبه لكمة من مخلب الدب القوى ،
- حتى يولى الأدبار وذيله بين فخذه وهو يعوى .

وسوف تلقون هذا المصير

إذا سولت لكم نفوسكم أن تتحدوا لورد وريك

كلفورد : اخسأ يا جماع الحقده . . أيها الكتلة الشوهاء ،
أيها المعوج في خلقك خلقتك . ١٥٥

يورك : أجل سنزيد من هيبك في أقل من لمح البصر .

كلفورد : حذار وإلا أحرقكم طيبكم هذا .

الملك : ماذا جرى يا وريك حتى نسيت ركبتك
الركوع لنا ؟

وأنت يا سالسورى عار على شيبتك

أيها المضلل الخرف لابنك المخبول ! ١٦٠

ما بك ، أتسلك مسلك المتمرد الشرير وأنت على
حافة القبر ،

وتسعى وأنت مفتاح العينين وراء الإثم والمنكر ؟

أين الإخلاص ؟ بل أين الولاء ؟

وأنى يكون لهما مأوى إذا توليا من رأسك

الأشيب ؟

أتحفر بيدك القبر باحثاً عن الحرب

١٦٥

وتدنس وقار شيخوختك بالدماء ؟ . . .

أتبلغ هذه السن ولما تزل تعوزك التجارب ؟
وإلا فكيف تسيء استخدام التجارب بعد
أن نلتها ؟

يا للعار اثن ركبتيك بدافع من واجبك نحونا ،
فقد أحناهما كبر السن وأدناهما من القبر .

١٧٠

سالسبوري : مولاي ، لقد بحثت بنفسى

حق هذا الدوق الواسع الشهرة ،
وأنى أعتبره من أعماق ضميمى
الوارث الشرعى لعرش إنجلترا .

١٧٥ الملك : ألم تقسم يمين الولاء لنا ؟

سالسبوري : نعم أقسمت .

الملك : وكيف تقف بين يدى رب السماء

وأنت تحنث بهذا القسم ؟

سالسبوري : إنه لإثم كبير أن تقسم على باطل ،

ولكن الإثم الأعظم أن تصر على هذا القسم
الباطل .

١٨٠

ومنذا الذى يتقيد بقسم مقدس ،

إذا هو أقسم على ارتكاب جريمة قتل أو سرقة

إنسان ،

أو اغتصاب عذراء بريئة ،
 أو على حرمان يتيم أموال أبيه ،
 أو حرمان أرملة حقها الشرعى ، ١٨٥
 إذا لم يكن لديه من دافع على هذا الجرم
 إلا مجرد الارتباط بقسم مقدس ؟

الملكة : إن الخائن الفطن لا يحتاج إلى محام ماهر .

الملك : ادع بكنجهام ومره أن يتسلح .

١٩٠ يورك : ادع بكنجهام ومن شئت من الأعوان
 فقد اعتزمت أمراً فلأما الموت أو المجد .

كلفورد : أولهما بلا ريب أن صحت الأحلام .

وريك : خير لك أن تأوى إلى فراشك وأن تعاود الأحلام ،
 لتقى نفسك العاصفة التى ستهب فى الميدان .

١٩٥ كلفورد : قد صبح عزمى على أن أحتمل عاصفة

أشد هولا مما تستطيعون إثارته اليوم ،

وسأسجل هذا العزم فوق خوذتك

إن أتيح لى أن أميزك بشعار بيتك .

وريك : قسما بشعار أبى شعار بيت « نيفل » العريق .

٢٠٠ وهو اللب الواقف : المقيد إلى عمود ذى عقد ،

لأضعن اليوم خوذتي على رأسي عالية ،
كشجرة الأرز فوق قمة جبل :

تظل محتفظة بأوراقها رغم العواصف ،
حتى أبعث الخوف فيك من هذا المنظر .

٢٠٥ كلفورد : وأنا سأمزق هذا الدب من خوذتك ،
وأطأه بقدمي بكل زراية ،

على الرغم من حارسه الذي يحميه .

كلفورد الابن : والآن هلم إلى أسلحتنا أي أبي المظفر ؛
لنقهز الثوار وأعوانهم .

٢١٠ رتشارد : ويحك تحدث بالخير لا بالحقه هكذا

وأنت ستتناول عشاءك الليلة مع السيد المسيح .

كلفورد الابن : أيها المشوه الممسوخ لست كفؤاً لهذا القول .

رتشارد : إن لم يكن عشاؤك في اللجنة فسيكون قطعاً في

الجحيم . (يخرجون)

(ينسحبون مع جيوشهم استعداداً للمعركة ثم تسمع بعد فترة

قصيرة أصوات القتال على بعد ثم ترتفع صيحات الحرب
رويداً رويداً) .

الفصل الخامس

المنظر الثانى

دعوة للقتال

يدخل . . . وريك

وريك : أى كلفورد دوق كمبرلند، هذا وريك يناديك ،
 فإذا لم تبادر إلى الاختفاء من وجه الدب ، فأقدم
 حينما تدق طبول الحرب الغاضبة ،
 ويمتلئ الفضاء بصيحات القتلى ،
 أقدم ونازلى أنا ، أى كلفورد ،
 أيها اللورد المتعجرف المنحدر من الشمال ،
 لقد بح صوت وريك وهو يدعوك للقتال
 (يدخل يورك)

أى سيدى اللورد ! أتسعى على قدميك ؟

يورك : لقد ذبح كلفورد بيده السفاكة حصانى ،
 ولكنى جازيته بمثل صنعه ،
 وجعلت مهره الحبيب الذى يؤثره بالحبة ،
 فريسة للغربان والحداء الضارية ، (يدخل كلفورد)

وريك : لقد حان أجل أحدنا أو كلانا .

يورك : أمسك يا وريك وابحث عن صيد آخر ،
إذ يجب أن أطارد بنفسى هذا الوعل حتى
أصرعه . ١٥

وريك : إذن لك المجد يا يورك فأنت تنشد تاجاً
وأنت يا كلفورد فإنى — وقد عزمتم أن يحالفنى
النصر اليوم —
ليحز فى نفسى أن أتركك دون أن
أهاجمك (يتركهما)

كلفورد : ماذا ترى فى يا يورك ؟ وفيم وفوقك ؟
يورك : وددت أن أكون معجباً بما تبدى من الشجاعة ،
لولا أنك عدوى اللدود . ٢٠

كلفورد : وشجاعتك أيضاً فى غنى عن كل مدح ،
لولا أنها برزت فى الخيانة والغدر .

يورك : فلتكن هذه الشجاعة عوفى إذن ضد سيفك هذا
فأنا لا أصطنعها إلا دفاعاً عن العدالة المحضة
والحق الخالص . ٢٥

كلفورد : وأنا ألقاك بروحى ودمى جميعاً .

يورك : يا له من رهان مخيف ! خذ أهبتك على الفور .

(يقتتلان ويسقط كلفورد)

كلفورد : النهاية تتوج الحياة (بموت)

يورك : وهكذا أسلمتك الحرب إلى الراحة فأنت الآن

في هدوء ،

٢٠

فليرفرف السلام على روحه ،

إذا كانت تلك هي مشيئة السماء . (يبرقداً)

(يدخل كلفورد الابن)

كلفورد الابن : يا للعار والدمار ! لقد لاذ الجميع بالفرار
بلا نظام .

فانخوف يبعث الفوضى والفوضى تجرح

حيث ينبغي الحذر ، أيتها الحرب يا ابنة

جهنم

التي تتخذها السماء الغاضبة أداة ووسيلة ،

٣٥

لتقذف في صدورنا الباردة ،

جمر الانتقام المضطرم ،

لا تدعى جندياً يفر على أعقابيه .

إن من وهب نفسه للحرب صادقاً

لا يعرف الأنانية ، أما الذي يحب نفسه

٤٠

فلا يكون بطلا مقداماً إلا بمحض الصدفة .

(يبصر أباه الميت)

ليت هذه الدنيا الحقيرة تنقضى !

وليت نيران اليوم الآخر تأتى قبل أوانها ،

فتصل السماء بالأرض .

ولينفخ في الصور ،

ليخرس كل صوت ويهدأ كل جرس ،

أكتب عليك يا أبى العزيز

أن تقضى شبابك فى سلام ، وأن تبلغ المجد فى

الرجولة ،

تموت هذه الميتة فى معركة أثيمة ،

وأنت فى شيخوختك الوقورة ؟

إن هذا المنظر ليحيل قلبى صخراً ،

وسيظل هذا القلب صخراً ما حييت .

إن يورك لم يرحم شيوختنا ،

فلن أرحم أطفالهم . لن تؤثر فى دموع العذارى

إلا كما يؤثر الندى فى النار ،

وسيكون الجمال الذى كثيراً ما يخضع الجبابة

وقوداً يزيد نار غضبي المشتعل اضطراماً .

ومن الآن فصاعداً لن يكون للرحمة سبيل إلى
قلبي ،

ولو صادفت طفلاً من آل يورك
لقطعته إرباً كما قطعت ميديا^(١) المتوحشة أخاها
أبسرت

٥٥

ولأبلغن مجدى بالقسوة .
تعال أيها الحطام الحديد لبيت كلفورد التليد :
أحملك على كتفي القويتين كما حمل إنياس
أنكيسيز العجوز^(٢) .

وإن كان حمل إنياس حياً يوزق .
ولا عبء أثقل من هذه الهموم التي أحملها .

٦٠

(يحمل جثة أبيه ويخرج)
(يدخل رتشارد وسمرس ليقبلا فيقتل سمرس)

رتشارد : أرقدها هنا يا سمرس
تحت لافتة هذه الخانة الحقيبة التي عنوانها
« حصن في سانت أولبنز »

(١) Medea قتلت أخاها أبمرتوس وقطعته أرباً لتؤخر أباه في اقتفائه أثرها لما فر
مع جين وصحبه أثناء رحلتهما في البحث عن الجزيرة الذهبية .

(٢) Aeneas ابن آخيل حمله أبوه من طروادة وهي تحترق .

فلقد مجدت بموتك اسم ذلك الساحر^(١).
وجعلت صيته ذائعاً .

٦٥

أيها السيف احتفظ بحدة نصلك ،
ويا أيها القلب استبق غضبك .

إن الصلاة على الأعداء من شأن القساوسة ،
أما الأمراء فصلاحتهم أن يقتلوا الأعداء (يسير)

٧٠

(قتال . . . خروج المتقاتلين . . يدخل الملك والملكة
وآخرون)

الملكة : يا للعار ! أسرع يا مولاى ! إنك بطيء ، أسرع .

الملك : وهل يمكن أن نسبق الأقدار يا مرجريت ،

امكثى !

الملكة : من أى جيلة أنت ؟ إنك لا تريد أن تقتل

ولا تريد أن نفر

إن الرجولة والحكمة والدفاع ،

فى أن نتقهقر أمام العدو وأن نحمل أنفسنا

٧٥

بكل ما نستطيع ، وليس فى وسعنا أكثر من أن نفر

تسمع صيحات الحبيب من بعيد)

ولو أنهم قبضوا عليك ، إذن رأينا نهاية كل أملنا

ولكن إذا قدر لنا الهرب ،
وأحسب أن هذا في إمكاننا إذا لم يسلمنا
إهمالك للعدو ،

فسنبليج لندن حيث يحبك الناس ،
وحيث نستطيع أن نرأب هذا الصدع الذى
أصبنا به فى آمالنا .

٨٠

(يدخل كلفورد الابن ثانية)

كلفورد الابن : لولا أن قلبى مصمم على الشر فى المستقبل ،
لفضلت أن أكفر على أن أنصح بالفرار ،
ولكن الفرار لا بد منه . فلهزيمة النكراء
التي لا معدى عنها تسيطر على قلوبنا جميعاً ،

٧٥

فأسرعوا بالفرار طلباً للخلاص ،
وسنعيش لننال نصراً كنصرهم ،
وينالوا هزيمة كهزيمتنا .
الفرار الفرار يا مولاي .
(يصرعون بالفرار)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ميادين بالقرب من سانت اولينز
صيححات الحرب . انسحاب . يدخل يورك
ورثارد ووريك وحنود معهم طبول وأعلام

يورك

: من مبلغى أنباء سالسبورى ،

هذا الأسد العجوز الذى ينسى فى حدة غضبه

وهن الشيخوخة وعدوان الأيام ،

ويهجم كالمغوار فى أوج الشباب ؟

إن هذا اليوم السعيد لن يكمل صفوه ،

من نكون قد كسبنا شبراً ،

نؤ أننا فقدنا سالسبورى يا أبى النبيل .

لقد عاونته ثلاث مرات اليوم على ركوب

حصانه ،

وحميته ثلاث مرات ، وثلاث مرات أبعدته

عن المعركة ،

وحاولت إقناعه أن يكف عن خوضها مرة أخرى ،

ولكنى لم أزل ألقاه حيث يكمن الخطر ،
 إن عزيمته القوية في جسمه الواهن الضعيف
 كالتحف النفيسة في البيت المتواضع .
 ولكن انظرها هوذا قادم نبيلاً كريم كالعهد به .
 (يدخل مالسبورى)

والآن بحق هذا السيف لقد أحسنت القتال ١٥
 اليوم .

مالسبورى : بحق سيقى لقد قاتلت اليوم خير قتال ،
 وبحق الكتاب المقدس لقد أباننا جميعاً أحسن
 البلاء .

فشكراً لك يا رتشارد .

الله وحده يعلم ما تبقى من عمري .
 ولقد أرضيت الله ثلاث مرات اليوم ٢٠
 حين حميتنى من الموت المحقق .

أيها الاوردات إننا لم نبلغ بعد كل ما نريد ،
 فليس يكنى أن يفر أعداؤنا ، فنحن نخصوم
 لسياسة التريث والتأنى .

أنا أعلم أن سلامتنا في تعقبهم ، ٢٤
 فقد سمعت أن الملك فر إلى لندن

يورك

يبدعو إلى اجتماع للبرلمان .

فلنقتف أثرهم قبل أن ترسل الدعوات ،

فما رأيك في هذا يا لورد وريك أنتبعهم ؟

: نتبعهم بل نسبقهم إذا استطعنا .

٣٠ وريك

قسماً أيها اللوردات لقد كان يوماً مجيداً .

فقد كسب يورك الذائع الصيت معركة

سانت أولبنز

وسيخلد هذا اليوم على مر الأزمان .

٣٥

فلتدق الطبول ولينفخ في الأبواق ،

ولتتجه جميعاً إلى لندن ، وليكن نصيبنا موفوراً من

مثل هذه الأيام . (يسرون)

« ختام »

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩

Bibliotheca Alexandrina



0670957

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة - ٣ شارع ماس